
مركز نماء للبحوث والدراسات
ترجمات (٣٩)
المناهج في الفلسفة
جاكلين روس
ترجمة / د. عبد العزيز ركح
ترجمات (٣٩)
المناهج في الفلسفة
جاكلين روس
ترجمة / د. عبد العزيز ركح



ترجمات (٣٩)

المناهج في الفلسفة

جاكلين روس

ترجمة

د. عبد العزيز ركح

مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies



المناهج في الفلسفة



ترجمـــات (٣٩)

المناهج في الفلسفة

جاكلين روس

ترجمة

د. عبد العزيز ركح

مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies

المناهج في الفلسفة.
المؤلف: جاكلين روس / ترجمة: د. عبد العزيز ركح.

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٢٠م

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن وجهة نظر مركز نماء».

مركز نماء للبحوث والدراسات
Nama Center for Research and Studies

بيروت – لبنان
E-mail: info@nama-center.com

روس/ جاكلين (مؤلف)
المناهج في الفلسفة، جاكلين روس(مؤلف)، د. عبد العزيز ركح (مترجم).
٣٤٨ ص، (ترجمات ٣٩)
١٧×٢٤ سم

١.المناهج في الفلسفة. أ. العنوان.
ISBN: 978-996-198-270-9

المحتويات

الموضوع	الصفحة

طريقة المقالة الفلسفية

طريقة تحليل النص

الموضوع	الصفحة

مُقَدِّمَة

يشتكي الطلبة عادةً من كونهم «لا يتلقون أي توضيح عن المنهج» (جريدة لوموند، التربية، أكتوبر ١٩٩٠).

إنَّ هدف هذا الكتاب هو تقديم منهج، ومبادئ وقواعد للفعل والعمل؛ غرضها توجيه السير الحسن للنشاطات الفلسفية، وهو كتاب موضوع لإفادة الطلبة الذين يحضرون امتحانات ومسابقات الدخول إلىٰ المدارس العليا (التعليم، التجارة، السياسة . . . إلخ)، وكذا شهادة الليسانس في الفلسفة والعلوم الإنسانية.

ولتقديم عناصر تفكير كاملة ارتأينا اتّباع طريقة مزدوجة في العرض، نظريةٍ وعمليةٍ. تدرس نظرية المنهج، مفهوم المنهج الفلسفي ذاته، وكذا مختلف العناصر الفلسفية التي توضح هذا الأخير. بينما يرتبط القسم العملي بالمنهج الفعلي، ويسعىٰ بالاستعانة بطرق مختلفة (دراسة المراحل التحضيرية للتحرير . . . إلخ) إلىٰ إيضاح الطريقة التي يجب اتباعها. إننا نعتقد أن هذه المقاربة المزدوجة النظرية والعملية ضرورية، إذ تسمح معرفة أسس المنهج للطلبة بتكييف القواعد والطرق العملية مع حاجاتهم الشخصية بشكل أفضل.

هذا الكتاب هو استجابة لمشروع يتمثل في إعانة طلبة الفلسفة علىٰ فهم معنىٰ الاستراتيجية التي تتطلبها طبيعة النشاطات الفلسفية ذاتها. إنَّ هذه الاستراتيجية هي المطروحة في هذا الكتاب.



مـدخـل
الطريقة المناسبة للنشاطات الفلسفية

يتمثل النشاطان الأساسيان اللذان يسمحان بممارسة نشاط التأمل الفلسفي وإنجازه بدقة وصرامة، في المقالة وتحليل النص. بماذا يتعلق الأمر في الحالتين؟ «بالجرأة علىٰ التفكير»، والقيام بذلك بشكل مستقل وشخصي، مثلما تؤكد علىٰ ذلك جميع لجان التصحيح ومن ضمنها لجنة تصحيح امتحان النظام العام للدخول إلىٰ «مدرسة العلوم السياسية»: «مهما كان الموضوع (مقالة أو تحليل نص) تنتظر لجنة التصحيح من المترشحين تفكيرًا شخصيًّا مُبرهنًا، متناسقًا وديناميكيًّا، وقدرةً علىٰ تقدير رهان السؤال أو النص المقترح واستخلاص نتيجة. كما تُذَكِّر مُجدَّدًا بغاية الامتحان وهي: أن يتجرأ المترشحون علىٰ التفكير» (١٩٨٨).

ما موضوع هذا الكتاب إذن؟ موضوعه اقتراح منهج عمل مناسب لطبيعة الأنشطة الفلسفية علىٰ طلبة الليسانس، وكذا علىٰ الأقسام التحضيرية، وتفصيل هذا المنهج وتطبيقه بواسطة أمثلة مختلفة (مقالات وتحليل نص)، يكون فيها التحضير والتحرير مُفَصَّلَيْن بعناية.

استـراتـيـجـيـة الأنـشـطـة

*** يقوم هذا المنهج علىٰ استراتيجية بسيطة تتمثل في:**

- **أولًا:** فهم وكشف المشكلة الأساسية التي يطرحها منطوق السؤال بوضوح؛ إنَّ هذا الجهد يرتبط بمسعىٰ مزدوج: يتعلق الأمر في المحل الأول بتحليل وتفكيك الصعوبات المرتبطة بمختلف المواضيع، والقيام في المحل الثاني بإعادة تشكيل كلية تُحقِّق فهمًا أفضل للمعنىٰ الشامل لمنطوق السؤال.

- **ثانيًا:** بعد شرح طبيعة المشكلة من خلال إيضاح الصعوبات المختلفة، اقتراح حل (لا دوغمائي) في حالة المقالة الفلسفية، للمشكلة الرئيسية المطروحة. والتفكير في حالة تحليل النص، في الحل المقترح من طرف صاحب النص للمشكلة الضمنية التي يطرحها النص.

*** تعتمد هذه الطريقة بالأساس علىٰ:**

(١) معارف فلسفية مكتسبة خلال السنة الجامعية، من خلال الاحتكاك بنصوص الفلاسفة الكبار علىٰ وجه الخصوص، ولأجل هذا الغرض سنتناول بالإضافة إلىٰ ذلك، منهجًا مُوَجَّهًا لتنمية فن القراءة الجيدة.

(٢) أدوات مختلفة تهدف إلىٰ إيصال أفكارنا وإلىٰ إقناع القارئ أو المستمع؛ سنتناول في هذا الإطار أيضًا، قواعد بلاغة محددة وكذا نظامًا بيِّنًا لعرض الفكر: لا يمكن لأية «تقنية» فلسفية أن تكون فعَّالة دون تحكُّم فعلي في الثقافة، كما أنَّ كل نشاط مدرسي هو «نشاط روحي» أيضًا، بالمعنىٰ التام لهذه العبارة. (حول موضوع النشاط الروحي هذا، يرجع إلىٰ بيير هادو، الأنشطة الروحية والفلسفة القديمة).

المقالة الفلسفية وتحليل النص

إنَّ إظهار المشكلة الفلسفية المتضمنة في منطوق الموضوع هو الذي يحدد النشاطَيْن. في كلتا الحالتين يتعلق الأمر بإبراز إشكالية (إشكالية يجب وضعها في المقالة، ويجب الكشف عنها في تحليل النص)، لكن رغم هذا المسار المشترك فإنَّ المقالة وتحليل النص يختلفان. والحال أنَّ وضع إشكالية يفتح الطريق في المقالة نحو حرية تفكير كبيرة. علىٰ الطالب أن يعرض، بالاستعانة بجملة من البراهين المنظَّمة بدقة، وجهة نظره حول المشكلة الفلسفية التي وضعها، وهي مشكلة سيسمح تحديدها بالإجابة عن السؤال الصريح أو الضمني لمنطوق الموضوع. بالمقابل، يعتبر الالتزام بالوفاء المُطْلَق لفكر الكاتب، كما هو معروض في النص، ضروريًّا في التحليل. وسيكون للطالب حرية تفكير خاصة عندما يُقيِّم، في قسم منفصل، الرهانات المرتبطة بالمشكلة الفلسفية التي يرفعها الكاتب. (يبدو هذا المستوىٰ الثاني من الدراسة مطلوبًا حتىٰ وإن لم يكن إجباريًّا في التعليم الجامعي).

يُشكِّل الشرح الدقيق لاستراتيجية النشاطين والعمل علىٰ تطبيق هذه الأخيرة علىٰ المقالة وعلىٰ تحليل النص، العناصر الأساسية التي وجَّهت بناء الكتاب.

القسم الأول
نظرية المنهج



(١) فكرة المنهج

تسمح الطريقة الفلسفية (التحليل، التساؤل، الإشكالية، التفكير ... إلخ) للطالب بالإفلات من مصادفات البحث التجريبي، والعمل وَفْقَ مقاربة منظمة ومضمونة.

لماذا المنهج؟
الأسباب العامة: المنهج والوجود

هذا الكتاب مخصَّص للمنهج: إنَّ هدفه ليس اقتراح قراءة لعدد من النشاطات الفلسفية المحررة انطلاقًا من مواضيع معينة، بل وضع طريقة تفكير شخصية لكل طالب. فلأجل التمرُّن علىٰ التفلسف يجب في منظومتنا التعليمية القيام بذلك بواسطة نوعين من الأنشطة هما: المقالة وتحليل النص. فلنقدِّم تعريفًا سريعًا ومؤقتًا للمنهج، بغرض الإحاطة بموضوع الكتاب.

ما الذي يعنيه المنهج بالضبط؟ إنه قبل كل شيء، كما يخبرنا بذلك الأصل الاشتقاقي للكلمة، طريق أو سبيل (odos) نحو (meta)، أي جملة من المسارات والإجراءات المنطقية والعقلانية التي تسمح بالتوصل إلىٰ غاية. بهذا نتحدث في هذا التحديد العام جدًّا عن «منهج عمل». فلنتوقف حاليًا عند هذا المستوىٰ من الدلالة الأولية ولنبدِ بعض الملحوظات حول الأسباب العامة التي تقود كل شخص إلىٰ تفضيل المنهج: إن هذا الأخير لا يظهر أداة حاسمة في المجال الفلسفي والنظري فحسب، بل في كل توجُّه حياة. فعندما لا يمتثل سلوك إنساني إلىٰ خطة مركزة ومحددة مسبقًا (وهو ما يقتضيه المنهج)، فإنه يكون في أغلب الأحيان عرضة للفشل.

يشير المنهج بعيدًا عن كونه محددًا بحقل ضيق، إلىٰ أداة عامة تقتضيها متطلبات الحياة والوجود ذاته. ولذلك فإنه للقيام بدراسات ومسابقات علىٰ

أحسن وجه يجب اتِّباع استراتيجية فعالة، وعندئذ تقود الخطة المركزة المدعومة بالإصرار، إلىٰ النجاح. تبدو مواضيع التوجيه الحسن والاستراتيجية المعقولة هذه أساسية للوجود الإنساني كله، متبوعة بفكرة خطة مُركزة تخضع لمراحل إن أرادت أن تكون عقلانية وفعالة. وهذا صالح في المسار المهني (carrière)، في المشروع الاقتصادي، في التأليف . . .إلخ. يرتبط مفهوم المنهج في الواقع بعيدا عن كونه منحصرًا علىٰ المجال النظري بنظام الحياة كلها، من حيث إنه يجسِّد عمل العقل والذكاء. فلا وجود لحياة، لممارسة ولعمل لا يتطلب «طريقًا نحو» أي منهجًا. يمكننا بالطبع تجاهل هذا المنهج أو تجنبه أو وضعه بين قوسين، إلا أن هذا التجاهل أو التناسي سيؤدي بنا إلىٰ العجز.

في الواقع تتجذر الأسباب العامة التي تجعل المنهج ضروريًّا في كل ظرف، في وضع الإنسان ذاته، كائن التوسط هذا الذي يُعرف بكونه منتجًا لوسائط، وبقدرته علىٰ وضع مراحل تضمن الارتباط بين لحظات مختلفة من خطابه أو من وجوده. وعليه فعوض التجربة المباشرة النادرة، نجد لدىٰ الإنسان المجبول علىٰ العمل والفعل، تجربة وممارسة غير مباشرتين، تفترضان حلقات ومراحل منظَّمة ومسارًا شاقًّا. إن معنىٰ الحياة هو العمل وكل عمل يتطلب خطة ووسائط.

الأسباب الجامعية

يضاف إلىٰ هذه الأسباب العامة أسباب جامعية خاصة. إنَّ المنهج -المُدَرَّس غالبًا في أقسام «المدارس التحضيرية»- لا يُدرس دائمًا في وحدات البحث والتكوين (الكليات)، ولذلك تبقىٰ قواعد العمل كذلك غامضة. الأمر الذي ولَّد الحاجة إلىٰ هذا الكتاب الموجَّه للطلبة الراغبين في معرفة قواعد العمل الجامعية (في المجال الفلسفي)، وهي قواعد ضمنية في الغالب، يتعلق الأمر بكشف المعايير والمبادئ غير المصاغة، التي تنظِّم تحضير الامتحانات والمسابقات، وبالقيام بنقدٍ تأملي للعمليات المنجزة في الأنشطة الفلسفية، وكذا تحليل العمليات الأولية التي ينبغي علىٰ كل طالب أن يعرفها.

يُجرِّب الطالب في «المدارس التحضيرية» أو في الجامعة، أي بعد حصوله علىٰ شهادة البكالوريا، إما نظامًا يتميز بحرية كبيرة (الجامعة) أو نظامًا علىٰ قدر عالٍ من التنافسية (المدارس التحضيرية)، ويتطلب هذا النظام في الحالتين معرفة النهج السليم.

الأسباب الفلسفية الخاصة

وكما هو ضروري لأسباب عامة وجامعية، فإنَّ المنهج ضروري أيضًا لأسباب خاصة بطبيعة النشاط الفلسفي ذاته، من شأنها أن تشوِّش ذهن الطالب.

ترجع خصوصية هذا النشاط لماهية الفلسفة ذاتها، التي تستعمل مفاهيم مجردة، وتعمل إذن استنادًا إلىٰ تمثلات غير مستقاة مباشرة من الواقع بما هو كذلك.

يُفهم النشاط الفلسفي في هذه المنظورية المزدوجة، باعتباره صقلًا للمفهوم، يتم من خلال مسار دقيق. بالمقابل يمكن لهذا النوع من المقاربة (الذي لا يُختزل في معرفة أو علم)، أن يضلِّل الكثير من طلبة الأقسام التحضيرية وطلبة الليسانس، وهو يتطلب نوعًا من المنهج وجملة من القواعد الملائمة لصعوبات النشاط الفلسفي المتصور في تجريده.

لكن ما هي فرضية وماهية هذا المنهج الفلسفي؟ لنحاول تقديم وصف أوَّلي له.

الفرضية «الإرادوية» للمنهج الفلسفي

يعتقد كثير من الطلبة أن النجاح في إنجاز النشاط الفلسفي ليس معطىً للجميع، وأن القيام به علىٰ أكمل وجه هو ميزة خاصة ببعض الطلبة «الموهوبين». وباعتباره عسيرًا في ذاته، فإن هذا النشاط غير متاح إلا «للنخبة» القادرة علىٰ تنظيم وتوجيه التحليل المجرد والمفهومي بدقة وثبات.

وعلىٰ خلاف هذه الاعتقادات المنتشرة والساذجة يستند العمل المنهجي علىٰ فرضية متفائلة: والحال أن الاستناد إلىٰ المنهج يعني افتراض أن النجاح هو قضية إرادة وعمل، ويسمح هذان الأخيران، من خلال تفعيل القواعد، بحل المشكلات واحدة بواحدة. تصبح كل من المقالة وتحليل النص في هذه الرؤية، وبعيدًا عن تمثيلهما كأنشطة صعبة، مسألة صبر وجهد. إنّ العمل وَوَفْق منهج يعني افتراض أن كل طالب بإمكانه التحكم في الصعوبات. هنا تكمن فرضية المنهج كما تتجلىٰ لدىٰ ديكارت أو ألان (Alain): «مَن ذا الذي لا يمكنه، مهما كانت قلة ذكائه، أن يتحكم في أصول الهندسة إذا تدرَّج بنظام وإذا لم يفشل؟»[1].

يقوم المنهج الفلسفي إذن علىٰ فرضية «إرادوية»، تؤكد علىٰ أن الأمر لا يتعلق بالارتجال أو بإبراز مواهب أو خصائل طبيعية بل بالتحكم في

(١) Alain, Propos sur l'éducation, P.U.F., pp 52 et sq.

الصعوبات واحدة تلو الأخرىٰ، وبالعمل بتدرج، وبالاعتماد علىٰ الإرادة. يمكن لكل طالب من خلال توظيف القواعد أن ينجز عمله بنجاح. إن مبدأ المنهج ذاته، يقر بأن كل فرد يتمتع بملكة العقل، بإمكانه أن يتحكم في النشاط الفلسفي مهما كان مستوىٰ تجريده.

ماهية المنهج الفلسفي
التوجيه الحسن للعقل بالاستناد إلى قواعد

إن تطبيق النشاط الفلسفي هو قبل كل شيء، التوجيه الحسن للعقل والتفكير بالاستعانة ببعض القواعد الأساسية، التي سنحاول إجمالها قبل تفصيلها في الفصل المخصص «للأسس الفلسفية للمنهج» (ص/ ٣٢).

التوجيه الحسن للعقل: نحن هنا في صلب المنهج الديكارتي. إنّ امتلاك فكر موهوب لا يمكن أبدًا أن يكون كافيًا، ذلك أن ما يهم هو التوجيه السليم لهذا الفكر. يُوصف العقل، الذي هو ملكة التمييز بين الصحيح والخاطئ، في كتاب «مقالة الطريقة» بكونه من أعدل الملكات قسمة بين الناس. غير أن الاستعمال الناجح لهذه الأداة ليس متساويًا بين الجميع! «إذ لا يكفي أن يكون الفكر جيدًا وإنما المهم هو أن يُطبَّق تطبيقًا حسنًا»[١].

كيف يتم التوجيه الحسن للعقل وللفكر؟ لا يمكن لهذا العمل أن يتم بشكل سحري، هو أمر قابل للتحقيق ولكنه ليس سهلًا ولا معطىً أبدًا، بل يُخلق ويُنظم ويُحقق بالاستناد إلىٰ ما نسميه قواعد، أي صيغ أمرية دالة علىٰ الطريق الذي يجب اتباعه لبلوغ غاية معينة، إنها معايير توجيهية توضح طريقة

---

(١) René Descartes, Discours de la méthode, in Descartes, Œuvres, Lettres, "La Pléiade", Gallimard, p 126.

رينيه ديكارت، مقالة الطريقة، ترجمة جميل صليبا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ١٩٩١، (ص/ ٣).

العمل للتوصل إلىٰ نتيجة. لنقدِّم أمثلة علىٰ ذلك: تخضع التراجيديا الكلاسيكية لقاعدة الوحدات الثلاث، وتخضع العلاقات الإنسانية لقواعد اللياقة . . .إلخ. وعليه، تندرج فكرة توجيه العقل من خلال الالتزام بقواعد في سياق عام جدًّا، كان كانط قد أبرز معالمه بشكل جيد في مقدمة كتاب «**المنطق**». كل شيء في الطبيعة وفي عالم الأحياء يتم وَفْقَ قواعد، حتىٰ وإن كنا لا نعرفها دائما. فالقول بغياب القواعد يعني فقط أنها غير معروفة لدينا (وهي حالة تنطبق علىٰ الممارسة الفلسفية، فالطالب الذي يعتقد بغياب القاعدة في الفلسفة هو ببساطة جاهل لها فحسب). «حتىٰ ممارسة ملكاتنا تتم وَفق قواعد معينة نتَّبعها أولًا دون وعي [. . .]. إن للفهم علىٰ وجه الخصوص، مثل جميع ملكاتنا عمومًا، أفعاله المنظمة بقواعد يمكننا التنقيب عنها»[١].

لكن ما الذي تعنيه تحديدًا القاعدة والصيغة الأمرية؟ إنها الشرط العام الذي يسمح بتوحيد محتوىٰ ما. فأمام معطىٰ معين يجب ضبط شرط تنظيم ممكن. إن القاعدة هي في العمق بنية ممكنة. عندما يُقترح علينا موضوع فلسفي -سواء تعلق الأمر بتحليل نص أو بسؤال مقالة- فإن أمورًا مشتتة نوعًا ما تُطرح أمامنا. وتمثل القاعدة الفلسفية الشرط الذي يسمح بتوحيد هذا المحتوىٰ وتشكيله.

---

(١) Kant, Logique, Vrin, p. 9.

القواعد العامة والأساسية للمنهج

(١) التحديد الدقيق لكل مفهوم:

لنذكُر بشكل سريع ومختصر بعض القواعد المكوّنة للمنهج، أي بعض مبادئ التنظيم النابعة من العقل والتي تسمح بوضع المحتوىٰ المعطىٰ في صورة ما. سوف نتعمق في هذه المواضيع في الفصل الثالث (الأسس الفلسفية للمنهج) وفي بقية أقسام الكتاب.

القاعدة الأولىٰ التي تجد مصدرها في عمليات الذهن والتي نراها مطبَّقة في الرياضيات، وفي الآداب وفي الحقوق ... إلخ، هي التالية: يجب ضبط حدود كل موضوع تفكير وكل مفهوم جوهري. تعتبر قاعدة التحديد والتعريف هذه ضرورية جدًّا ومكونة للمنهج. ويسمح ضبط الماهية والفهم بالتحديد الجيد للمفاهيم المقصودة واستخراج معناها (أو معانيها) حتىٰ لا نزيغ في طرق غريبة عن النص أو عن منطوق السؤال المقترح. بالإضافة إلىٰ ذلك تُلِح جميع لجان التصحيح علىٰ هذه القاعدة، من ذلك التقرير التالي: «يتضح في مجمل أوراق الإجابة نفس النقص المتمثل في [...] القصور عن التحليل المفاهيمي، سواء أتعلق الأمر بتحليل الجزئيات أم بتحليل مصطلحات منطوق السؤال». (المدرسة العليا للتجارة١٩٩٠، الموضوع: «حق الضعيف». تقرير لجنة التصحيح).

سنجد هنا معالم الطريق موضحة من طرف أساتذة كبار مثل أرسطو في كتاب «**الميتافيزيقا**» أو سبينوزا في كتاب «**الأخلاق**» (ينظر الجدول أدناه).

سبـيـنـوزا

(١) بعض التعريفات:

(١) أعني بعلة ذاته ما تنطوي ماهيته علىٰ وجوده، وبعبارة أخرىٰ: ما لا يمكن لطبيعته أن تتصور إلا موجودة.

(٢) يُقال عن الشيء إنه متناهٍ في ذاته عندما يمكن حده بشيء آخر من نفس طبيعته. يُقال مثلا عن جسم من الأجسام إنه متناهٍ؛ لأننا نتصور دائمًا جسمًا آخر أعظم منه، والفكر أيضًا إنّما يحده فكر آخر، لكن الجسم لا يحده الفكر، والفكر لا يحده الجسم.

(٣) أعني بالجوهر ما يوجد في ذاته ويتصور بذاته، أي: ما لا يتوقف إنشاء تصوره علىٰ تصور شيء آخر.

(٤) أعني بالصفة ما يدركه الذهن في الجوهر مقومًا لماهيته.

(٥) أعني بالحال ما يطرأ علىٰ الجوهر، وبعبارة أخرىٰ: ما يكون قائمًا في شيء غير ذاته ويُتصور بشيء غير ذاته.

(٦) أعني بالإله كائنًا لا متناهيًا إطلاقًا، أي جوهر يتألف من عدد لا محدود من الصفات تعبر كل واحدة منها عن ماهية أزلية لا متناهية»[١].

---

(١) Spinoza, éthique, 1 partie, in Œuvres de Spinoza, Garnier-Flammarion, T.3, p 21.

سبينوزا. علم الأخلاق. ترجمة: جلال الدين سعيد. دار الجنوب للتوزيع. تونس. د.ت. (ص/ ٢٩، ٣٠).

تُحيل قاعدة إنتاج التعريفات والتحديد الدقيق للمفاهيم هي ذاتها إلىٰ قواعد التحليل والتركيب التي يجب أن نقول فيها هنا كلمة.

(٢) قاعدة التحليل:

عندما نكون أمام موضوع مقالة أو تحليل نص فإن المُقاربة التحليلية تفرض نفسها من حيث إنها وسيلة نظرية خصبة، تمامًا كما في نظام الحياة كله. ما الذي يجب فعله تحديدًا؟ يجب القيام أولًا بتفكيك منطوق السؤال أو النص المقتطف إلىٰ عناصره المكونة له. فاتِّباع طريقة تحليلية هو إذن فصل الأجزاء والإحاطة بالعلاقات التي تحكمها (وهو ما يبيِّن لنا أن التركيب متضَمَّن في التحليل)، ومِن ثَمَّ تحضير الأدوات الأساسية للمراحل اللاحقة. يُشكل هذا التفكيك إلىٰ عناصر تكوينية عَصَب كل بحث وخصوصًا النشاط الفلسفي.

(٣) قاعدة التركيب:

لا يمثل التحليل -الذي سنعود إليه مرارًا في هذا الكتاب- شيئًا بدون طريقة تركيبية تهدف إلىٰ إعادة بناء الكل انطلاقًا من أجزائه البسيطة. وبالطبع، تقتضي إحدىٰ قواعد المنهج العمل بطريقة تركيبية، أي بإرساء علاقات وجسور ووسائط بين مختلف العناصر التي تم تحليلها.

يسمح مثال بسيط بفهم ماهية قاعدة التركيب هذه. لدينا السؤال التالي حول «النظام والفوضىٰ». إن الطريقة التحليلية تتعمق في كل مفهوم علىٰ حدة. غير أنَّ قاعدة التركيب هي التي تسمح (أثناء التحضير) بالتفكير في المفهومين في وحدتهما وفي علاقتهما المشتركة. ويتم الأمر نفسه أثناء تحليل النص. فإذا غربلنا المفاهيم والعناصر المختلفة فإننا لم نقم سوىٰ بجزء من العمل. يهدف التحليل إلىٰ إعادة تشكيل ديناميكية لاستراتيجية التفكير. وهو يتطلب في هذه النقطة تطبيق قاعدة التركيب بشكل كلي.

في الواقع تُطبق قاعدة التركيب دائمًا في النشاطات الفلسفية. إنَّ المفترض في كل شرح مفاهيمي، هو تحديد علاقة مفهوم بمفهوم آخر أو بمفاهيم أخرىٰ. كذلك الأمر في المقالة، فما يُهم هو العلاقة بين الأجزاء، والجمل، والفصول . . .إلخ. يعطي نمط التدرُّج التركيبي معنىٰ من زاوية معينة، للقاعدة التحليلية، بمعنىٰ أن قاعدة التركيب توضِّح قاعدة التحليل.

(٤) قاعدة النظام:

لا تنفصل قاعدة التركيب عن قاعدة النظام. ويُعرَّف هذا الأخير بأنه ترتيب وتنسيق مطابق لمقتضيات العقل. إن إنجاز نشاط فلسفي علىٰ أكمل وجه، يعني القيام بذلك وَفق نظام، وذلك بالانطلاق من الأكثر بساطة إلىٰ الأكثر تعقيدًا. تكمن الطريقة كلها في تنظيم وترتيب المفاهيم والعناصر المختلفة (انظر الفصل الثالث حول «الأسس الفلسفية للمنهج» (ص/ ٣٢). إنَّ هذه القاعدة ذات التطبيق الثابت بيّنة -علىٰ الخصوص- في طريقة إنجاز المقالة (ولكن أيضًا في طريقة إنجاز تحليل النص)، التي تفترض ترابطًا منتظمًا بين الأفكار. تتوقف نوعية كل نشاط فلسفي وخصوصًا المقالة علىٰ النظام المُرسىٰ بين الأفكار وعلىٰ طريقة انتظام هذه الأفكار.

(٥) العودة إلىٰ فكرة عامة أساسية حاملة للوحدة:

لكن مِمَّ تتولد دقَّة ووضوح النظام؟ مِن وحدة الفكرة المنظِّمة لكل عرض ولكل نشاط فلسفي. إننا هنا أمام قاعدة حاسمة للمنهج: يتمثل العمل بمنهجية في الرجوع إلىٰ وحدة ضرورية، تلك المتعلقة بالفكرة المنظمة للعرض كله. ليس للمقالة أو لتحليل النص من قيمة إلا إذا كانا موحَّدَيْن بهذه الفكرة. يمكن التعبير عن إحدىٰ قواعد المنهج إذن كالآتي: لإنجاز نشاط فلسفي بشكل حسن يجب رصد الفكرة المنظمة التي تسمح بالتوجيه

الرشيد والعقلاني لغاية بلوغ النتيجة. تمنح هذه الفكرة بشكل ما البنية الفلسفية للكل: إنها توحّد وتجمع وتؤلف.

(٦) تنظيم دينامية داخلية للمفاهيم ذاتها:

تشير مصطلحات الفلسفة إلىٰ مفاهيم وتحيل إلىٰ مشكلات. ونادرًا ما تتطلب هذه الألفاظ المتعددة المعنىٰ والمتغيرة تعريفات ثابتة ومُطْلَقَة. أما المشكلات فإنها لا تُحلّ بشكل تام أبدا، بل تتحول وتتغير بنيتها، كما سنرىٰ ذلك في الفصل الثاني.

إن الكشف عن هذه الديناميكية يشكل فعلًا منهجيًّا حاسمًا، أي فعلًا مبدعًا لاستدلال يخضع لتطور طبيعي ومُؤدٍ لاقتناع القارئ: يظهر إذ ذاك تسلسل الأفكار والحجج دقيقًا ومجردًا تمامًا من الطابع المصطنع أو الاعتباطي.

تشكل جميع قواعد المنهج هذه -التحديد، التحليل، التركيب، النظام، البحث عن الفكرة الأساسية، تنظيم دينامية داخلية- جملة من المعايير أو الصيغ الأمرية الصالحة لعدد من الأنشطة الفكرية. إن أردنا التوصل إلىٰ نتيجة إيجابية في الأدب، التاريخ، الحقوق ... إلخ، فإن هذه الطرق تبدو ضرورية. فما هي إذن القواعد الفلسفية الخاصة؟

النواة الفلسفية الخاصة بالمنهج
الإشكالية والتفكير إشكالية النشاطين

إنَّ الأساس الفعلي الخاص بمنهج النشاطين الفلسفيين يتشكل عن طريق قاعدة طرح الإشكالية. يتعلق الأمر بطريقة وببناء من شأنهما أن يسمحا بتوجيه مُنظم للفكر، يُفضي إلىٰ غرض مضبوط للبحث وإلىٰ بنية متوافقة مع الغرض، وتكون بالنتيجة مناسبة تمامًا.

تقوم الإشكالية كلها علىٰ الفكرة الأساسية الآتية: مهما كان شكل النشاط فإنَّ الموضوع المقترح -سواء تعلق الأمر بموضوع مقالة أو بتحليل نص- يخفي خلف صيغة السؤال أو الاستدلال الدقيق الموضح لقضية، مشكلة فلسفية حقيقية يجب الكشف عنها. تسمح المشكلة، بعد ضبطها والتعرف عليها، بتحديد طريقة التفكير والتنظيم التي توجِّه سير العمل من البداية وحتىٰ صياغة الحل. يمكن تعريف الإشكالية بكونها فن وعلم كشف المشكلة الفلسفية، ثم محاولة حلها.

لكن ما الداعي للبحث عن المشكلة وتحديدها في الوقت الذي يبدو فيه أن صيغة السؤال تطرح بذاتها مشكلة؟

في الواقع إن الذي بين يديك هو سؤال يسائل العالم، سؤال مصوغ في حالة المقالة في صور متعددة (تناولناها بالتفصيل في الفصل السابع). في حالة التحليل يشكل النص المقترح عرضًا يطرح صلاحية إجابة عن سؤال صريح

أو ضمني. في كلتا الحالتين يجب الانتقال من السؤال إلىٰ المشكلة، ذلك أننا لا نستطيع الإجابة عن السؤال إلا بعد حل المشكلة الفلسفية، هذه الأخيرة تشير إلىٰ إحراج، أي إلىٰ صعوبة حيوية، إنها «سؤال السؤال» الذي يعرضه السؤال الأوَّلي أو يطرحه. وبهذا سيشكل البحث عن حل للمشكلة -حل يمنح بذاته عناصر الإجابة عن السؤال- بنية النشاط المقترح علىٰ الطالب. تُترجَم هذه البنية في خطة تسمح بعرض دقيق للاستدلال وللبرهنة المفضية إلىٰ الحل. هذا هو أساس المقالة، أما في حالة تحليل النص فإن الأمر يتعلق بإبراز المشكلة المتضمنة في النص والمؤسِسة لسياقه. وهنا أيضًا سيقود البحث عن المشكلة إلىٰ هيكلة النشاط.

لنقدم مثالًا علىٰ ذلك. سنعالج لاحقًا موضوع مقالة صيغة سؤاله هي: «هل يمكن أن توجد حقائق جزئية؟» من الواضح أن هذا الموضوع يطرح سؤالًا محددًا جدًّا حول معرفتنا بالعالم. لكن كيف نجيب علىٰ مثل هذا السؤال إذا كانت عدة تساؤلات مرتبطة بطبيعة الحقيقة ذاتها أو إمكانيتها (هل هي كونية؟ هل هي واحدة؟ هل تتمتع هي ذاتها بواقع أو بوجود؟ أيمكن أن توجد أمور صادقة وكاذبة في الوقت نفسه؟ إلخ)، تشكل هي ذاتها مشكلات فلسفية، أي معضلات حقيقية محايثة للفكر، تفلت من الفحص الذي يسمح بالإجابة بشكل دقيق عن السؤال المطروح. وعليه، فمن خلال حل أو تحديد إحدىٰ المشكلات التي أتينا علىٰ ذكرها، فإننا ننظم بنية النشاط ويكون في استطاعتنا تقديم إجابة عن السؤال. إنها المشكلة التي تعطي معنىٰ للسؤال أو لمنطوق الموضوع وتنهي كل نقاش.

للتوصل إلىٰ المشكلة، يجب استعمال منهج يقتضي «مساءلة السؤال» وطرح «تساؤل»، أي تلاعبًا منتظمًا بالأسئلة، ويشكل تحليل الموضوع نقطة الانطلاق.

بالمقابل يمكن أن تُقيِّم المشكلة بالنظر إلىٰ أهميتها -للفكر، وللتأمل، وللتطبيق ... إلخ- وقيمتها ... إلخ، وهذا ما يشكل رهان النشاط.

تمثل المشكلة، والتساؤل، والرهان والخطة، العناصر الداخلية الأربعة الخاصة بالإشكالية الفلسفية. إن فائدة هذه العناصر تبدو ضرورية جدًّا لإنجاز النشاط الفلسفي، وهو جعلنا نخصص مجمل الفصل الثاني المعنون «القواعد والمفاهيم الخاصة بالمنهج الفلسفي» للعناصر الثلاثة الأولىٰ.

تتوقف المرحلة الرابعة، أي تسطير بنية النشاط الفلسفي (الخطة)، والتي تنتج عن حل حذر للمشكلة في حالة المقالة، بشكل ضيق جدًّا علىٰ نوع النشاط الذي ستتناوله الفصول: الثامن، والثاني عشر، والخامس عشر، المخصصة كلها للمقالة ولتحليل النص.

إلا أن الإشكالية تقوم، تماما كما في أي نشاط للفكر الفلسفي، علىٰ مسار تأمل يجب أن نقول فيه كلمة هنا.

العمل بتأمل

ليس لمجمل القواعد السابقة سواء أكانت عامة (تحليل، تركيب، نظام . . . إلخ). أم فلسفية بشكل أخص (التساؤل، الأشكلة)، من معنىٰ حقيقي إلا من خلال فعل التأمل الفلسفي. تقتضي الطريقة التأملية في معناها الفلسفي، إرجاع المواضيع الخارجية إلىٰ الذات المفكرة، بمعنىٰ آخر تطبيق فعل العودة إلىٰ الذات: تعيد الذات، انطلاقًا من نشاط موضوعي، ومن قيم أو وقائع مطروحة في «خارجيتها»، إدراك الذات المفكرة، أي الـ «أنا أفكر»، والمبدأ الموحد للكوجيتو: وبهذه الحركة يتحدد مسار الذي يستعمل المنهج التأملي من الخارج إلىٰ الداخل، ومن العالم إلىٰ الأنا المفكر. في الواقع تظهر هذه الطريقة التأملية بشكل أو بآخر، في كل نشاط فلسفي منجز بشكل حسن. سنحاول تعريف التأمل مع «بول ريكور» قبل أن نقدم بعض الأمثلة: «التأمل هو ذلك الفعل الارتدادي علىٰ الذات، والذي تعيد به الذات في وضوح فكري ومسؤولية أخلاقية، إدراك المبدأ الموحد للعمليات التي تُتشتت هي بينها، وتنسىٰ ذاتها باعتبارها ذاتًا»[١].

يشير كانط أيضًا في تحليله للتمثلات، إلىٰ أن الـ «أنا أفكر» بإمكانه أن يصاحب تلك التمثلات. وإجمالًا نقول: إنه عند فحص كل منطوق يجب أن نحاول الارتقاء إلىٰ المبدأ الموحد للفكر.

---

(١) Paul Ricoeur, l'univers philosophique, P.U.F., p 68.

خلاصة

رفض «أسلوب اللهجة المتعالية»

ألا يمكننا القول إذا أردنا تلخيص ماهية المنهج: إن هذا الأخير يقوم قبل كل شيء علىٰ رفض «أسلوب اللهجة المتعالية»؟ لنتأمل قول كانط هنا: «يعتقد الجميع أنهم أسياد؛ وذلك لأنهم يعتقدون أنهم في غنىٰ عن العمل، ووَفقا لهذا المبدأ فقد توغل البعض في هذا الطريق بحيث ظهرت بشكل صريح ومعلن فلسفة مزعومة ليس لأحد حاجة للعمل بها، تقرّ بأنه: يكفي فقط الإنصات إلىٰ داعي الوجدان داخل الذات والاستعانة به، لنضمن تملكًا فعليًّا للحكمة التي نرجوها من الفلسفة»[1]. إن المنهج يعني ما يلي: لا يجب لداعي الوجدان في داخلنا أن يعفينا من العمل الذي توجهه الإرادة المركزة ببصيرة.

---

(١) Kant, D'un ton grand seigneur adopté naguère en philosophie, Vrin, p 90.

جـدول
ملخص للقواعد الأساسية للمنهج

ما يجب تجنبه	ما يجب القيام به
العمل دون التحديد الواضح للمصطلحات.	وضع تعريفات هدفها ضبط مفاهيم رئيسة.
العمل دون تمييز.	تحليل وتفكيك كل منطوق بتحديد عناصره.
تناسي فكرة الرابطة المفهومية.	وضع وسائط مفهومية وروابط.
تشتيت الفكر.	العمل في كل نشاط فلسفي بفكرة رئيسة تمنح وحدة أساسية.
تجميع الفقرات والأجزاء بدون الربط بينها.	تفعيل الديناميكية الداخلية للمفاهيم.
التفكير والعمل بلا نظام ولا تسلسل في الكل المفهومي.	العمل وفق النظام العقلاني.
الاكتفاء بالتحليل «الوصفي» «التقريري» أو «الدوغمائي».	احترام قاعدة «التساؤل» ووضع كل موضوع محل مساءلة.
تناسي المشكلة الفلسفية المتميزة عن السؤال.	الأشكلة: بالارتقاء بالأسئلة حتىٰ بلوغ المشكلة الأساسية.
البقاء «منغمسًا» في الموضوع وفق مقاربة وضعية أو شيئية.	تطبيق نشاط تأملي بالانتقال من الموضوع إلىٰ الذات.



(٢) القواعد والمفاهيم الخاصة بالمنهج الفلسفي

إنَّ المفاهيم والعناصر الخاصة بالمنهج الفلسفي هي بالأساس: التساؤل، والمشكلة، والرهان، والخطة متصورة كامتداد لهذه العناصر. وهي تُشكِّل مكونات الإشكالية المُعرَّفة في الفصل السابق بكونها فن وعلم الكشف عن المشكلة الفلسفية المُتضَمَّنَة في منطوق النشاط، ثم اقتراح حل لا دوغمائي للمشكلة المستخرجة.

هذا الفصل مُخصَّص للعناصر الثلاثة الأولىٰ من الإشكالية.

أهمية الإشكالية

تُجمِع لجان التصحيح علىٰ أهمية إبراز الإشكالية والمشكلة. سنذكر هنا بعض التقارير الصادرة عن هذه اللجان التي تأسف جميعها لغياب إشكالية منظمة وتجعل من هذه الأخيرة المطلب الأساسي.

تقارير حول المقالة

الموضوع

«هل الطبيعة مبدأ للشرعنة؟»

«لقد أثار الموضوع المقترح لدىٰ الطلبة نوعًا من الحيرة. يجب التذكير بالمقابل، بأن مبدأ امتحان الطلبة في مضامين البرنامج لا يعني أنْ لا يتمتع هؤلاء، فضلًا عن المعارف التقنية الضرورية، بملكة تفكير تسمح بتكيُّفهم مع إشكالية خاصة يمكن أن تتخذ شكل المفاجأة». (مسابقة الدخول إلىٰ سان كلود/ فونتناي. امتحان مشترك ١٩٨٨).

الموضوع
«هل الاستحقاق شرط للتمتع بالحقوق؟»

«إن التكديس اللاإشكالي للمعارف حول القانون والمجتمع، والمعالجة شبه التاريخية للمسألة أو فحصها التجريبي المحض أمر غير مقبول. علىٰ الطلبة أن يبرِّروا ما يؤكدونه، أن يُنظِّموا ويرتبوا أفكارهم بالنظر إلىٰ المشكلة المطروحة، وأن يتابعوا عملية البرهنة بدقة ومنهجية حتىٰ النهاية». (معهد الدراسات السياسية، باريس، مسابقة الدخول إلىٰ السنة الأولىٰ، امتحان عام ١٩٨٨. ملحوظات لجان التصحيح).

الموضوع
«هل تحتاج الحرية إلى أدلة؟»

«نلاحظ أنه عندما تكون المعارف حاضرة [. . .] فإن هناك بالمقابل صعوبة أساسية في بناء الإشكالية». (مسابقة الدخول إلىٰ فونتناي/سان كلود، ١٩٨٧).

الموضوع
«هل نحن من يصنع التاريخ؟»

«يمكن لسهولة الموضوع الظاهرة أن تزيد من أخطار التفاهة والابتذال. كان بالإمكان أن يقود مثل هذا السؤال إلىٰ التفكير حول فكرة موضوع التاريخ من مظهرين أساسيين: فمن جهةٍ يطرح التساؤل حول قدرة الإنسان علىٰ المبادرة، مشكلة الحرية في علاقتها مع حتميات تاريخية محتملة [...]. ومن جهةٍ أخرىٰ ما كان يجب تجاهل الطابع الجماعي [...]. يمكن لإشكاليات عديدة أن تجدَ مكانًا لها حول هذه المحاور». (مسابقة الدخول إلىٰ فونتناي/سان كلود. امتحان مشترك، ١٩٨٦).

تقارير حول تحليل النص

«يعني تحليل النص ضبط منظوريته، أي إشكاليته». (امتحان نظام عام، مسابقة الدخول إلىٰ مدرسة العلوم السياسية بباريس. تقرير لجنة التصحيح، محرر في فيفري ١٩٩٠).

«يستحسن بكثير من المترشحين أنْ يتذكروا أنّ الهدف الرئيس للشرح هو استخراج المشكلة الفلسفية التي يطرحها أو يتناولها النص. ومن الضروري إبراز أن هذه المشكلة هي مشكلة تعنينا؛ لكي يتبين لنا أنَّ هذه القراءة هي قراءة مُوجَّهة لنا. إنَّ تحديد المشكلة الرئيسة هو الذي يجب أن يساعد علىٰ تسطير محور الشرح وتحديد مراحله، وهو ما يقصي المسار الخَطي المَحْض الذي لا يتعرَّف علىٰ الأفكار إلا بالنظر إلىٰ صدف القراءة». (ش ك م ت ث فلسفة، تقرير لجنة التصحيح، ١٩٧٩).

معنى الإشكالية
الإشكالية والنشاطات الفلسفية

لنقرر أولًا أنَّ لجان التصحيح لا تميز، فيما يخص الإشكالية والمشكلة، بين المقالة وتحليل النص رغم شكليهما المختلفين جدًّا. والحال أننا نجد في كليهما سؤالًا صريحًا أو ضمنيًّا يتعلق بالعالم وبالأشياء، ويُشكِّل موضوع تفكير للطالب سواء بتوسط موضوع المقالة أو من خلال أسطر النص (الذي أحيانا ما تُطرح فيه إجابة أيضًا). ويفترض هذا السؤال من أجل معالجته الفعلية، جهدًا موضحًا للمشكلة الفلسفية الأساسية التي يرفعها (مشكلة ضمنية في منطوق المقالة أو في النص).

علىٰ الطالب في حالة المقالة، أن يحدد المشكلة ويجتهد في الإجابة عنها دون أن يغفلها أبدًا، وذلك من خلال استدلال منظم. أما في حالة تحليل النص فإنَّ الاستدلال هو ما يُطرح أولًا، ويتعين علىٰ الطالب عندئذ تفكيكه من أجل إبراز المشكلة المتضمنة في النص. وبالتالي فليس للمقالة ولا لتحليل النص من معنىٰ إلا بالنظر إلىٰ المشكلة الفلسفية المُنضوية تحتهما.

تنجُم أهمية الإشكالية -التي يفترض أن تساعدنا علىٰ إبراز المشكلة- عن علاقة التبعية هذه، ومن هذه الرابطة الضيقة: علىٰ النشاط الفلسفي ألَّا «ينسىٰ» أبدًا المشكلة، فما إن ينسىٰ حتىٰ لا يعود أمامه إلَّا حل عام مجرد[١].

---

(١) Gilles Deleuze, Différence et répétition, P.U.F, p 211. =

* ماذا نقصد بالإشكالية؟

يفترض طرح الإشكالية عمل تحليل تحضيري للسؤال أو للنص، وهو ما سنتناوله بالتفصيل في الفصلين التاسع والرابع عشر.

العنصر الأساسي الأول ممثل بسلسلة من الأسئلة المنظمة أو «بتساؤل»، علىٰ الطالب فيما يخص منطوق الموضوع المُحلل والمدرك بوضوح، أن يعرض وينظم تلاعبًا بالأسئلة المنظمة، المرتبطة فيما بينها والمتسلسلة منطقيًّا انطلاقًا من السؤال المطروح. يتعلق الأمر بالتوضيح الجيد لعدد من الأسئلة المهمة التي تُفضي لاحقًا إلىٰ طرح المشكلة (وهي العنصر الأساسي الثاني من الإشكالية). تشير المشكلة إلىٰ «سؤال السؤال»، أي الإحراج الأصلي الذي يقلب كل البديهيات، إنها ليست السؤال العصي فحسب، بل اللامُتصور تقريبًا والذي لا يمكن وفق المنطق السليم، أن يُحل بشكل كلي: إنه اللغز والسر الملازمان للموضوع.

يكشف تلاعب الأسئلة المنظمة بذلك عن وجود أسئلة تستفهم الموضوع ذاته وتطرحه كموضوع للبحث، أسئلة «مُربكة» (يعني الإحراج في اللغة الإغريقية الارتباك أو التردد في البحث أو النقاش بالأخص) تواجهنا ولا يمكننا تفاديها. سنحلل فيما بعد مفهوم المشكلة بطريقة واضحة جدًّا. تجدر الإشارة من الآن، إلىٰ أن المشكلة تشير إلىٰ السؤال الذي لا يمكننا لا تفكيكه ولا تفتيته. يمكننا إضافة حُكم قيمة إلىٰ هذه المشكلة يتعلق بأهميتها، بوزنها، بفائدتها ...، في تاريخ الفلسفة أو في فكر صاحب النص: يُشكل حُكم القيمة هذا رهان النشاط. يحيل شرح المشكلة/المشكلات الفلسفية التي يتضمنها الموضوع ضمنيًّا إلىٰ عملية جوهرية: فمن خلال محاولة

= جيل دولوز، الاختلاف والتكرار، ترجمة وفاء شعبان، مراجعة جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩، (ص/٣٢٠).

حل إحدىٰ المشكلات المطروحة هكذا نمنح النشاط الفلسفي بنية فعالة تترجم في خطة نقاش واضحة ودقيقة.

تشير الخطة إلىٰ تدبير وتنظيم للأقسام، بمعنىٰ أنها إطار وهيكل أو هي نوع من الخطاطة. غير أن الخطة كثيرًا ما تتصور من وجهة نظر ساكنة وجامدة. يجب النظر إليها علىٰ العكس من ذلك باعتبارها بنية دينامية تعكس وتعبر عن التساؤل والمشكلة الفلسفية. تظهر الخطة الحقيقية حركة الفكر، ولا يجب أن تُختزل أبدًا في مجرد هيكل بلا حياة، مثلما سنرىٰ ذلك في الفصول: الثامن والثالث عشر والسادس عشر. سنحلل هنا العناصر الثلاثة الأولىٰ من الإشكالية بالتفصيل.

قاعدة التساؤل

يشير التساؤل إلىٰ قاعدة أساسية يجب أن تكون مطبقة ومنظمة لمجمل النشاطات الفلسفية. وبدونها لا يمكن حتىٰ الحديث عن عمل فلسفي بالمعنىٰ التام للكلمة. يتعلق الأمر بالعمل دائمًا علىٰ تحويل الموضوع المطروح كتحليل «وصفي» أو «تقريري» بسيط إلىٰ «استفهام»، حتىٰ وإن كانت صيغته لا توحي بذلك.

كل هذا يمكن أن يُلخَّص في كلمة واحدة هي: التساؤل. إنَّ إدراك السؤال خلف الموضوع، والاستفهام خلف التقرير، والصعوبة خلف الوضوح الظاهر هو التفلسف بعينه. بماذا يتعلق الأمر تحديدًا؟ يتعلق الأمر بتحويل الموضوع المقترح الذي يبدو تقريريا أو «دوغمائيًا» إلىٰ استفهام وإلىٰ سؤال. نعلم أن السؤال في الفلسفة يعتبر بطريقة ما أهم من الجواب. ومهما كان نوع النشاط الفلسفي -مقالة، تحليل نص، أو درس- فإنَّ التساؤل هو الذي يدلنا علىٰ أن الطريقة الفلسفية قيد إنجاز. سنرىٰ لاحقًا هذه القاعدة الأساسية فيما يخص المقالة وفيما يخص تحليل النص. لا وجود لمقالة بدون فعل الاستفهام هذا، أي بدون جعل الموضوع يظهر إما في صيغة سؤال (مثال: ما الفكرة؟)، وإما في صيغة درس (مثال: الحقيقة في العلوم)، وإما في صيغة أمر (مثال: حدِّد مفهوم الصدفة)، في كل الحالات تعتبر قاعدة تحويل منطوق الموضوع إلىٰ سؤال ضرورية جدًا. يؤدي عدم الامتثال لهذه القاعدة إلىٰ البقاء في مرحلة «سؤال الدرس»

أو «نشاط الإلقاء»، دون بلوغ الطريقة الفلسفية الخاصة والتساؤل المُعرف كسلسلة من الأسئلة المنظمة.

إنَّ إنجاز عمل فلسفي هو بالدرجة الأولىٰ طرح لسلسلة من الأسئلة المنظمة، المحايثة للموضوع واللامكررة. تتجذر هذه القاعدة في منشأ الفلسفة ذاتها، فقد نشأت هذه الأخيرة من الناحية التاريخية في المدن الأيونية في القرن السادس قبل الميلاد، من «مساءلة» الأساطير والمبادئ المفسِّرة للأشياء عبر كائنات تُجسِّد في شكل رمزي قوىٰ الطبيعة. كان طاليس وأناكسيماندر وغيرهما، يستعيضون بالتفسير العقلاني عن الأساطير. ثم مع سقراط سيتشكل «التساؤل الفلسفي» في راديكاليته بأتم معنىٰ الكلمة. كان سقراط يُسائل محاوِريه حول قضايا من طبيعة أخلاقية «هل يمكن تعليم الفضيلة؟» «ما الشجاعة؟» «ما العدالة؟»، جمالية «ما الجميل؟» . . . إلخ. لقد كان يربك محاوريه من خلال طرح أسئلة عليهم يبدو حلها في الظاهر سهلًا. إنَّ التهكم السقراطي يشير إذن بالماهية إلىٰ أسلوب تساؤلي واستفهامي غالبًا ما يُفضي إلىٰ إحراجات وصعوبات يستحيل تجاوزها. في محاورة هيبياس الكبرىٰ مثلًا، لم يتم التوصل في النهاية إلىٰ التعريف المرجو للجميل: عندئذ يجد المرء نفسه أمام نوع من الصيغ الإحراجية التي تبرز المقاربة الفلسفية في نواتها البنيوية.

بهذا يظهر التساؤل عنصرًا مكونًا للفلسفة ذاتها. فما هي غايته علىٰ المستوىٰ البيداغوجي؟ في الحقيقة إننا نسعىٰ من خلال التساؤل إلىٰ تحقيق هدفين: إبراز المشكلة التي هي مركز النشاط الفلسفي ذاته من جهة، ومن جهةٍ أخرىٰ الكشف عن سلسلة الحجج، والعرض اللاحق، وذلك من خلال تنظيم تلاعب الأسئلة. فلنبدأ بشرح الهدف الأول.

المشكلة في الأنشطة الفلسفية
القاعدة المتعلقة بالمشكلة

تتحدث جميع لجان التصحيح عن هذه القاعدة كما لو أن أغلب المترشحين يفشلون في الامتثال لمطلبها وتطبيقها: «يبدو أن كثيرًا من المترشحين «لا يرون المشكلة» ولا يدركون أن قيمة تحليلهم متوقفة بشكل كبير علىٰ قدرتهم علىٰ التمييز (تمييز أفكار، حالات، أمثلة، مفاهيم، براهين . . .)، فكثير منهم يكتفي بمستوىٰ جد ضعيف من الاقتضاء الفكري. يجب تنمية حس المشكلة، فهذا الأخير لا يتولد يوم الامتحان، كما أن العمل علىٰ تطويره يجب أن يكون أحد أهداف الدراسات العليا». (المدرسة العليا للتجارة ١٩٩٠، امتحان ثقافة وعلوم إنسانية، الموضوع: «هل القانون هو المبدأ الوحيد للحق؟» رأي المصححين).

فيمَ تتمثل هذه القاعدة وهذا الهدف؟ كل نشاط وكل تساؤل فلسفي يجب أن يفضيَ إلىٰ «سؤال السؤال»، الضروري بشكل مُطْلَق. إنَّ «الأشكلة» تعني الارتقاء بجملة من الأسئلة المنظمة إلىٰ المشكلة المكوِّنة للموضوع، إنها ربط التساؤل الفلسفي، ليس بمعضلة لحظية ومؤقتة، بل بلغز جوهري يوضح الكل التصوري المقصود، وهي أيضًا إبراز لصلب استفهام وتساؤل منظم.

تعني الأشكلة تشكيل حقل استفهامي موحد بمشكلة، بمعنىٰ آخر: إحراج الإحراجات، معضلة تكوينية، جوهرية، شبه ميتافيزيقية، ليس في إمكاننا تلافيها. إن عدم إدراك المشكلة يعني البقاء متشبثا بأسئلة متجزئة دون ملامسة الجوهر، بمعنىٰ آخر: نسيان صلب المطلب الفلسفي ذاته.

تعريف المشكلة

مع المشكلة نبلغ النواة الديناميكية والفلسفية الخالصة للنشاط الفلسفي. مع الأسف! يبدو أن كثيرًا من المترشحين والطلبة لا يرون ولا يدركون أن أهمية ما هم بصدد إنجازه متوقفة علىٰ قدرتهم علىٰ إبراز المشكلة؛ لذلك سنتوقف عندها مليًا. في الواقع يوجّه إدراك معنىٰ المشكلة نوعية التفكير.

يجب أن يُفضيَ التلاعب بالأسئلة المنظمة طبيعيًّا إلىٰ مشكلة أو مشكلات رئيسة مفترضة في نظام الأسئلة ذاته. بهذا يُبرز تحليل الموضوع والتساؤل بعض الأسئلة الأساسية ويبدو عندئذ منطقيًا تفضيل إحراج ما، هو موضوع الإشكالية الرئيس. إنَّ المشكلة هي التي تمنح الأساس الفلسفي الحقيقي للنقاش: تشكل هذه النواة النهائية للفهم، القاعدة الصلبة للنشاط وخيطه المُوجّه والتعليمي. فبفضله يُوحَّد الكل بواسطة فكرة عامة تحكمه وتوجّهه من المقدمة إلىٰ النتيجة. يُشكِّل حل المشكلة الحذر، غير الدوغمائي والمعتدل جدًّا، أسهل طريق للتفكير الفلسفي المُنظم للمقالة، وهو يوجّه أيضًا النص المطلوب تحليله ضمن استراتيجية حقيقية.

* هل المشكلة الفلسفية موجودة حقًّا؟

في العلم يمكن للمشكلة أن تتلاشىٰ في حلها. بينما في الفلسفة يستمر وجود هذه الأخيرة حتىٰ في «الحل» الذي تقتضيه. تمثل المشكلة، بعيدًا عن كونها عائقًا يجب التخلص منه، إحراجًا ثابتًا في الكل المفهومي الذي تم تحليله وتوضيحه.

بالنسبة إلىٰ غابريال مارسيل لا وجود سوىٰ للمشكلة العلمية. وفيما وراء المشكلة العلمية هناك «الميتاإشكالي»، (أي المتموضع فيما وراء كل أشكلة). سنكون إذاك أمام نظام «الغموض» وليس نظام «المشكلة». فبابتعادنا عن عالم الشيء من أجل التوجه نحو عمق الذات والروح، نكون قد تخلينا عن المشكلة من أجل بلوغ الغامض، أي السؤال الذي تعتبر معطياته خارجة عني، من أجل بلوغ ميتاإشكالية ليست سوىٰ الغامض. **بمعنىٰ آخر**: إن المشكلة تُصادف: إذ يمكن الإحاطة بها واختزالها، في حين أنه لا يمكن أن يوضع الغامض أمامي كموضوع بشكل مثالي. «أينما وُجدت مشكلة فإنني أعمل علىٰ معطيات موضوعة أمامي، ولكن في نفس الوقت كل شيء يتم كما لو أنني لست في حاجة إلىٰ الاهتمام بهذا الأنا في العمل. لكن الأمر ليس بذلك الشكل عندما تكون المشكلة متعلقة بالوجود [...]. هنا نحن نَلجُ عالم الميتاإشكالي، أي الغامض. إنَّ الغامض هو مشكلة تتعدىٰ معطياتها الخاصة، وتكتسحها وتتجاوز بذلك ذاتها كمشكلة»[1].

هل يجب نفي وجود وواقعية المشكلة الفلسفية مجاراة لغابريال مارسيل، ومِن ثَمَّ حصر المشكلة في حقل المعرفة العلمية فقط؟ وفق هذه الرؤية ستشير المشكلة إلىٰ صعوبة دقيقة ومؤقتة يمكن للمعرفة العلمية في النهاية أن تحلها. ولا يكون للفلسفة من اهتمام سوىٰ بالغامض. لا يمكننا مجاراة غابريال مارسيل في هذا الطرح نظرًا للدلالة التيولوجية لمصطلح الغامض ذاته. كان «هيغل» يرىٰ فيه عقدة علىٰ العقل أن يحلها من خلال إعادة صياغتها. يمكننا أن نرىٰ فيه أيضًا إحراجًا.

لكن ما الذي يعنيه هذا الإحراج الذي ينزع إلىٰ الالتباس مع المشكلة الفلسفية، إحراج يجب أنْ يكون في صلب النقاش الفلسفي؟ سوف نرجع إلىٰ أفلاطون لضبط ماهيته.

---

(١) Gabriel Marcel, Etre et avoir, Aubier, p 250.

الإحراج الأساسي (أمثلة أفلاطونية)

هناك بالفعل إحراج داخل المشكلة الفلسفية: في المحاورة الأفلاطونية تتهاوىٰ البديهيات الكاذبة في لحظة معينة وبحركة متكررة دائمًا، ويعاد النظر في الحقائق والتعريفات الأوَّلية، وتزاح اليقينيات المبتذلة. يطرح سقراط أسئلة تبدو سهلة الحل، لكنَّ مُحاوِرِيه يعجزون عن الإجابة عنها (وهو ما يُعرَف بالتهكم السقراطي كما نعلم) ويدفع محاوِريه في النهاية إلىٰ حالة من الإحراج تعكس الارتباك الناجم عن التهكم. يشير ارتباك المُحاور إلىٰ وجود مشكلة، وأنَّ سُقراط هو ذلك الشيطان الذي يزعج الأثينيين ويضعهم في تناقض مع أنفسهم، كما تشير إلىٰ ذلك محاورة مينون: «أوه يا سقراط، تعودت الإخبار عنك قبل أن أعرفك، إنك كنت تُشكّك نفسك دائمًا وتجعل الآخرين يَشُكُّون، والآن فأنت تلقي بسحرك عليّ، ولقد أصبحت مسحورًا ومفتونًا بكل بساطة، وفي نهاية ذكائي. وإذا ما أمكنني أن أغامر بمداعبتك، فأنت تبدو لي في مظهرك وفي سلطتك علىٰ الآخرين كليهما مثل سمك الرعّاد الكهربائي، الذي يخدر أولئك الذين يقتربون منه ويلمسونه»[1].

فباعتباره سمك الرعّاد المسبب للتخدير بحسب تعبير مينون، يخلق سقراط لدىٰ محاوريه هذا الارتباك وهذا الإحراج، القريب من الصعوبات

---

(١) Platon, Ménon, 80a, Budé-Belle Letteres, p 248.

أفلاطون، مينون، ضمن: أفلاطون، الأعمال الكاملة، ج ٣، ترجمة شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤، (ص/٢١٣).

والأسرار الداخلية للمشكلة الفلسفية التي نحللها. ففي لحظة ما تبدأ الفرضيات المقترحة في الدوران في «حلقة مُفرَغة» ويعتري الشخص الدوار. ويجعلنا هذا الارتباك والدوار والاضطراب ندرك أننا أمام واقع ذي طريق مسدود، أمام «مشكلة-إحراج» مُكوّنة للمسار الفلسفي، وليس مجرد معضلة ثانوية أو غير جوهرية.

لنعرض أمثلة أفلاطونية أخرىٰ تساعدنا علىٰ فَهم أفضل لمعنىٰ هذه المشكلة- الإحراج. في محاورة أوطيفرون يتعلق السؤال الجوهري الذي يطرحه سقراط علىٰ أوطيفرون (عرّاف مشهور عاش نهاية القرن السابع ق.م) بطبيعة التقوىٰ. ماذا يعني بالضبط؟ لقد تم طرح تعريفات عدة بهذا الصدد، وبالخصوص التعريف التالي: ما يُرضي الآلهة تقي، وما لا يرضيهم غير تقي (وهو التعريف الثاني المطروح للنقاش)، أما التعريف الثالث الدقيق جدًّا فهو: المستهجن من طرف جميع الآلهة غير تقي والمستحسن لديهم تقي، وفي النهاية ما هو مستحسن من طرف البعض ومستهجن من البعض الآخر لا هو تقي ولا هو غير تقي. يقود هذا التعريف الثالث في نهاية الأمر إلىٰ حالة إحراجية يعجز فيها العرّاف (أوطيفرون) عن التعبير عن فكره: «لأن التعريفات التي تُقدَّم بطريقة ما أو بأخرىٰ، وعلىٰ أيما قواعد نركزها، تبدو أنها تدور في حلقة مُفرَغة وتفلت منا علىٰ الدوام»[1].

وفي محاورة «هيبياس الكبرىٰ» يتعلق التعريف العام الذي يسعىٰ سقراط إلىٰ ضبطه، بماهية الجميل. يطرح الفيلسوف السُّفسطائي «هيبياس» تعريفات ثلاثة للجميل: فالعذراء الجميلة هي الجمال، والذهب هو الجمال، والحياة الكريمة هي الجمال. يرفض سقراط هذه التعريفات ويُقدِّم هو ذاته تعريفات أخرىٰ منها علىٰ الخصوص، الانتظام والتناسق. ألا يعبر الجميل عن الانتظام والتناسق؟ يُفضي هذا التعريف غير المرضي إلىٰ معضلة شخَّصها سقراط

---

(١) Platon, Euthyphron, 11b, Budé-Belle Letteres, p 198.

أفلاطون، أوطيفرون، ضمن: أفلاطون، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ج ٣، (ص/٢٦٨).

بالقول: «يا لطيف! إذن فإن فرصة اكتشاف ما هو الجميل في الحقيقة انسلّت من بين أصابعنا وتلاشت [...]. هيبياس: ما كان عليّ أنْ أتصوره أبدًا يا سقراط، بِناءً علىٰ كلمتي!»[1]

كثير من المحاورات الأفلاطونية تتخللها، بهذا الشكل، لحظات يظهر فيها ارتباك المحاور، وربما ارتباك سقراط ذاته. نعرِّف تلك اللحظة التي يجد فيها المرء نفسه في مواجهة معضلة قاهرة بكونها لحظة إحراج أو مشكلة، اللحظة التي يصطدم فيها الفكر بمعضلة عسيرة التجاوز. ولذلك يقع علىٰ عاتق النشاط الفلسفي الحقيقي إبراز تعصّي الفكر هذا. ولكن يجب الذهاب أبعد من ذلك وإقرار فكرة التفكير الإشكالي.

---

(١) Platon, Le Grand Hippias, in Platon, Œuvres complètes, "la pléiade", Gallimard, t.1, p40.

أفلاطون، هيبياس الكبرى، ضمن: أفلاطون، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ج ٤، (ص/ ٢٢١).

ضد الصورة الدوغمائية للتفكير: الفكر الإشكالي

هكذا تحيلنا المحاورات الأفلاطونية كثيرًا إلىٰ دائرة غامضة يضطرب فيها الفكر، ويتخذ طرقًا محيّرة ومشوشة، هي دائرة الإحراج أو المشكلة الفلسفية. كل شيء يوحي إذن أننا لسنا فعليًا أمام أسئلة يفترض حلها بالمعنىٰ الدقيق للكلمة، بل أمام صعوبات مكوّنة لـ «وجودنا في العالم». إن المشكلة الفلسفية ترفض بطبيعتها فكرة الإجابة النهائية التي يتلاشىٰ فيها كل سؤال داخل حل نهائي يكون فيه كل شيء واضحًا ومبيّنًا مطلقًا.

بمعنىٰ آخر: إن ما يعبر عنه في الفلسفة هو تفكير إشكالي بعيد كل البعد عن الاستعمال الدوغمائي للتفكير. إنَّ الطريقة الفلسفية لا تقتضي التخلص التدريجي من المشكلة في «إجابة» أو في «حل»، يُتوصل إليه بطريقة دوغمائية في نهاية مسار ما. والحال أنه في الفلسفة لا وجود لأجوبة نهائية. يجب بالتالي رفض كل صورة دوغمائية للتفكير.

علىٰ الطالب الذي يحضّر مقالته ويستخرج الإشكالية المؤدية إلىٰ هيكلتها، أن يتنزه عن الحكم المسبق الآتي: وهو أن الأستاذ لم يطرح مشكلة يجب حلها، أي نوعًا من «السلطة القاهرة» التي تضمن التمييز بين الصحيح والخاطئ. في مقابل هذه الصورة الدوغمائية والطفولية في الوقت نفسه -من حيث إن المشكلة متصورة كعائق، والطالب كطفل- يرفض التفكير الإشكالي فكرة الحل النهائي.

حوصلة

المشكلة كفكرة وكفعل حي، نواة الفكر الإشكالي

إجمالًا نقول: «إنه يوجد دائمًا في المشكلة الفلسفية الحقيقية بعدًا كونيًّا وغير قابل للتجاوز، يتموضع فيما وراء كل رؤية تجزيئية. يمكننا أيضًا -إذا حاولنا وضع حصيلة نهائية تخص المشكلة المكوّنة للإشكالية- تقريب المشكلة والفكرة. أليست المشكلة «فكرة» كما بيّن ذلك جيّدًا كلٌّ من كانط ودولوز؟ كما أن الفكرة تتجاوز التجربة الظاهراتية كما يشير إلىٰ ذلك كانط في «نقد العقل المحض»: إنها مطلب لإتمام تصوراتنا.

فهي لا تشير إلىٰ معرفة بالمعنىٰ الدقيق، بل إلىٰ اتجاه، وهذا هو الحال مثلًا مع فكرتي «النفس» و«الله». لكن إن كان هناك استعمال غير شرعي للفكرة -عندما أعتقد معرفة هذه «الأشياء في ذاتها»- فهناك أيضًا وظيفة تنظيمية لهذه الأخيرة، وذلك عندما أتصور الفكرة لا كموضوع معرفة، بل باعتبارها مُنظمة للمعرفة. تفترض الفكرة عندئذ تشكيل حقل بحث موحّد: إنها توجه التفكير في سعيه التنظيمي، وتمنعه دائمًا من السقوط في حالة الرضا.

نقول إجمالًا: إن هناك رابطة عميقة بين الفكرة والمشكلة. ألا يمكن أن تكون المشكلة فكرة، ثم ألا تقتضي الأشكلة الإحالة إلىٰ الفكرة، متصورة في استعمالها الناظم؟ لا يتوقف كانط عن التذكير بأن المُثل هي في جوهرها «إشكالية». وبالعكس المشكلات هي المثل ذاتها، [...] تمتلك المثل تماشيًا

مع طبيعتها النقدية المفهومة استعمالًا مشروعًا بشكل كامل يُدعىٰ «ناظمًا» تبعًا له تكون مشكلات حقيقية أو تطرح مشكلات مؤسسة»[1].

وكخلاصة نقول: إنَّ أشكلة الأسئلة تشير إذن إلىٰ اللحظة الفلسفية بامتياز، ذلك أن هذه الأشكلة تجعلنا نلمس شيئًا ما جذريًّا، مرتبطًا «بوجودنا في العالم». هذه الأشكلة ترتبط بممارسة تفكير إشكالي، معرّف بكونه تأملًا متصلًا بالصعوبات الوجودية وغير موارٍ أبدًا للإحراج.

---

(١) Gilles Deleuze, Différence et répétition, op.cit., p 218.

جيل دولوز، الاختلاف والتكرار، مرجع سابق، (ص/٣٢٩، ٣٣٠).

قاعدة الرهان
مطلب لجان التصحيح

هو مطلب غير محترم بقدر تكراره، توصي لجان التصحيح المترشحين بالإشارة إلىٰ رهان السؤال (أو النص) عند تقديم عرضهم. مثال ذلك تقرير امتحان النظام العام للدخول إلىٰ السنة التحضيرية لمعهد الدراسات السياسية بباريس: «مهما كان الموضوع (مقالة أو تحليل نص) [...] تنتظر لجنة التصحيح من المترشحين قدرةً علىٰ تحديد رهان السؤال أو النص المقترح» (١٩٨٩). الأمر نفسه نجده في تقرير شهادة الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي تخصُّص فلسفة، أن تركز لجنة التصحيح سنة بعد سنة علىٰ أخطاء المنهج المتمثلة في «مقدمات تافهة تُكرر ببساطة منطوق السؤال دون تحديد معناه ورهانه» (١٩٨١).

ولكن ما الذي يشير إليه هذا «الرهان» الذي يبدو تحديده حاسمًا في طريقة توجيه المقالة أو تحليل النص؟

تعريف الرهان (L'Enjeu)

ينحدر هذا المفهوم كما نعلم من الصيغة «علىٰ المحك». ويعبّر في الأصل عن المال الذي يوضع كرهان عند بداية اللعبة ويكون من حق الفائز، واستنادًا إلىٰ ذلك فهو يعبّر عما يمكن كسبه أو خسرانه في منافسة أو في شركة . . . إلخ.

ما الذي سيشير إليه هذا المفهوم إذا نقلناه إلىٰ حقل الفلسفة؟ إنَّ البعض يرىٰ فيه المشكلة الفلسفية التي هي علىٰ المحك في السؤال المطروح ولا يميزونه عنها. غير أن هذا الخلط بين الرهان والمشكلة يبدو لنا غير مقبول. فالرهان لا يعبر عن السؤال بل عن أهمية المشكلة المطروحة أو السؤال المصاغ، أي الأمر الحاسم الذي يطرحه كل منهما علىٰ مستوىٰ التفكير أو الممارسة، الصدىٰ الخاص بالفكرة المتميزة بقدرتها علىٰ خلق نتائج: بمعنىٰ آخر ما نجنيه أو ما نخسره علىٰ مستوىٰ الفكر إن أجبنا عن هذا السؤال أو ذاك، علىٰ هذه المشكلة أو تلك.

تخفي بعض المصطلحات مواضيع أو أجوبة غنية نوعًا ما، وتحتم علينا الدخول في أسئلة وفي سبل ومحاور بحث خصبة نسبيًا. ويكون رهان السؤال حاسمًا عندما يغطي هذا الأخير مواضيع تفكير مهمة. في الواقع يضع السؤال علىٰ المحك تصورات نظرية، أخلاقية وسياسية. إن هذا «الوضع علىٰ المحك» (الضمني) ليس أبدًا مصوغًا بشكل صريح، ولذلك فمن الضروري إذن إبرازه انطلاقًا من التحليل الدقيق لمعطيات السؤال.

أمثلة

* **الموضوع**: «**ألا توجد حقيقة إلَّا في العلم؟**»، هل يؤدي العلم من حيث هو معيار الموضوعية ذاتها، إلىٰ القضاء علىٰ كل تدخل ذاتي إلىٰ حقائق جوهرية للإنسان؟ هذه إحدىٰ المشكلات التي يطرحها الموضوع. غير أنَّ الإجابة بنعم علىٰ السؤال وعلىٰ المشكلة، تؤدي إلىٰ رفض المعاش متصورًا كتجربة أساسية للحقيقي. يجرنا هذا الرد الإيجابي عندئذ إلىٰ الطرح الوضعوي أو العلموي القائل بأن العلم الذي سيطر علىٰ جميع أشكال التفكير الأخرىٰ يتمتع بقيمة مطلقة، في حين ينمحي الدين والفن باعتبارهما ذاتيين.

* **يشير الرهان هنا إلىٰ كل ما يخفيه السؤال والمشكلة من أهمية:**

- رفض ما هو ذاتي؛
- الانجرار وراء الطرح الوضعوي أو العلموي. والانتقال إلىٰ نوع من الولع العلموي؛
- إلغاء ورفض الإجابة التي يقدمها الدين والفن؛
- إيلاء امتياز حصري للأبحاث العلمية والتكنولوجية؛
- الانحراف الأسطوري للعلم: هل من المشروع أن يتحول العلم إلىٰ أسطورة؟
- ... إلخ.

* **الموضوع: «هل هناك متعة في ممارسة الحكم؟»**، يثير هذا السؤال مشكلة أصل إرادة الحكم: هل هو البحث عن المتعة، وعن المال، أو إرضاء «لإرادة القوة». لكن ألا يؤدي بنا التركيز علىٰ المتعة المحايثة للحكم بهذه الطريقة، إلىٰ تغييب خصوصية المشكلة السياسية في النهاية؟

*** يشير الرهان هنا إلىٰ أهمية الإجابة عن السؤال، أي إلىٰ ما يتضمنه السؤال من مواضيع ومشكلات حاسمة:**

- هل جذور الحكم سيكولوجية في جوهرها؟
- ألن تضيع «الحكومة» بذلك وسط عدد لا محدود من الأحداث (العقلية)؟
- ألا يؤدي ذلك إلىٰ اختزال السياسة في جملة من التحفيزات والظواهر النفسية العرضية؟
- . . . إلخ.

يشير الرهان، في مقالة أو نص، إما إلىٰ أهمية السؤال وإما إلىٰ أهمية الإجابة المقدمة للسؤال أو المشكلة: أي ما يتضمنه السؤال أو النص من أمر حاسم علىٰ المستوىٰ الفكري أو العملي (الحكمة)، وما يضعه مثل هذا التفكير علىٰ المحك يجعلنا نكسب علىٰ المستوىٰ التفكيري (النظري).

الإشكالية في المقالة والنص
جدول مقارن

المقالة	تحليل النص
تساؤل (يجب وضعه).	تساؤل (من النص).
مشكلة (تكتشف في التساؤل).	مشكلة (تكتشف في النص من خلال التساؤل).
رهان.	الرهان: بالإضافة إلىٰ كونه جزءًا من الإشكالية وارتباطه بالمقدمة، يفسح الرهان المجال لتفسير داخل الحصيلة النقدية (المحتملة)
الخاصة بقيمة النص.	خطة (تتضمن فكرة عامة).
خطة دينامية (طريقة استدلال المؤلف).	الفكرة العامة (الأطروحة).

إجمالًا نقول: إنَّ الإشكالية في المقالة يجب وضعها. أما في تحليل النص فيجب إبرازها. (انظر الفصلين التاسع والخامس عشر المخصصين للجانب التحضيري).

(٣) الأسس الفلسفية للمنهج

يُقصد بالتفلسف القيام ببحث عقلاني ووضع برهنة دقيقة. ولكن كيف يتم تحقيق ذلك؟ يجدر بنا هنا التعمق أكثر في القواعد الفلسفية للمنهج وشرح مبادئ البحث التي أشرنا إليها بشكل موجز فقط في الفصول السابقة: إنَّ النظام، الوضوح، ومبادئ الجدل . . . إلخ. تُشكل كلها وسائل تسمح للذي يستعين بها بتحقيق دقة العرض أو المحاجة.

مـدخـل
هل تقوم القواعد الفلسفية على مجرد تقاليد؟

هل يجب اعتبار القواعد الضابطة للأنشطة الفلسفية مجرد تقاليد أكاديمية؟ إنَّ مثل هذا الاعتقاد هو تجاهل للأسس الفلسفية والمنطقية للمنهج. في الواقع إن القواعد الضابطة للأنشطة الفلسفية نابعة من الأنساق الكبرىٰ التي تشكَّل فيها الفكر الغربي. إنها تفترض أساسًا نظريًّا قويًّا جدًّا، تعبّر عنه بكل وضوح. فإذا أراد الطالب الإفلات من الاضطراب أمام القواعد التي تبدو له مصطنعة وحتىٰ متجاوزة أحيانا، فمن واجبه أن يعي إذن هذه المبادئ أو الآليات التي تعين تفكيرنا. فمن خلال تحكمه في هذه القواعد وإدراكه لهذا النظام المنطقي الذي يحكم تفكيرنا يكون في إمكانه إذاك الدخول في صلب المنهج.

لنعرض مثالا مختصرا قبل الدخول في هذا العرض: كثير من الطلبة لا يتجاوزون الصورة الكاريكاتورية للطريقة الجدلية ويتوقفون عند الإيقاع الثلاثي المصطنع جدًّا والآلي نوعًا ما، الممثل بالأطروحة، النقيض والتركيب (انظر الصفحة ٩٤). غير أن المنهج الجدلي الحقيقي يفترض من أجل تحقيقه علىٰ أحسن وجه -أي كتركيب فعلي- معرفة بالجدل في معناه الهيغلي، أي باعتباره حركة تجاوز ذاتي للفكر، تنفي وتبقي في الوقت نفسه علىٰ اللحظات السابقة. وبهذا يمنح التحكم في المسار الذي تكون فيه كل لحظة في نفس الوقت منفية ومدمجة، متجاوزة ومحفوظة، للنشاط

الفلسفي إيضاحًا قويًّا. يبرز لنا هذا المثال، من بين أمثلة كثيرة أخرىٰ، أنه لا توجد مجرد «تقنيات» للمقالة أو للتحليل الفلسفي بدون تفكير في قوانين الفكر ذاته. سنستعين في هذه النقطة بمفكرين عظيمَيْن هما ديكارت وهيغل.

المنهج والنظام: المكاسب الديكارتية

التعريف الديكارتي للمنهج

* **الإفلات من الصدفة.** إنَّ غياب المنهج هو الخضوع للصدفة، ولذلك فهو يبدو ضروريًا جدًّا. من المؤكد أنه يمكننا اكتشاف الحقيقة من خلال سلسلة من الصدف، غير أن بحثنا سيتوقف عندئذ علىٰ عناصر مستقلة عنا، من الصعب التحكم فيها. «إن البشر وقد تملكهم فضول أعمىٰ غالبًا ما يزجون بعقولهم في مسالك مجهولة لا يرجىٰ منها أمل، فهُم يخاطرون بأنفسهم من أجل العثور علىٰ ما يبحثون عنه فحسب، مثلهم في ذلك مثل إنسان يتحرق للعثور علىٰ كنز، فيهيم علىٰ وجهه في الساحات العامة؛ لعله يعثر صدفة علىٰ شيء أضاعه أحد المسافرين [...] وفي الحقيقة لا أنفي أنه رغم أخطائهم صادفهم الحظ في العثور علىٰ بعض الحقائق. غير أنني لا أجزم أنهم بلغوها لمهارة يحذقونها أفضل من غيرهم، وإنما لأنهم كانوا أسعد حظًّا منهم، لا غير»(١).

لذلك يجعلنا البحث العقلاني والسبيل المنهجي نحو الحق، نفلت من تعاقب الصدف ونعثر علىٰ «كنوز»، ليس «بالصدفة» أو «الحظ»، بل بطريقة

---

(١) René Descartes, Règles pour la direction de l'esprit, règle IV, in Œuvres, Lettres, "La Pléiade", Gallimard, p 46.

رونيه ديكارت، قواعد لتوجيه الفكر، ترجمة سفيان سعد الله، دار سراس، تونس، ٢٠٠١، (ص/٣٩).

أكيدة، وذلك من خلال الالتزام الصارم بالقواعد. هذا هو هدف الطلبة الذين يتبعون التعاليم الديكارتية.

* «**قواعد أكيدة وسهلة**». يشير المنهج الضروري لبلوغ الحقيقة، إلىٰ سلوك عقلاني واحترام صارم للقواعد أو المبادئ التي تبيِّن المسار الواجب اتباعه للتوصل إلىٰ نتيجة إيجابية: إنه مسار واضح ومتحكم فيه، يسمح بتجنب كل ما هو غير معقول أو مجهول في تجربة أو بحث ما. إن المنهج ليس شيئا آخر سوىٰ عمل الفكر الذي يسمح باقتصاد الجهد الإنساني وإحراز تقدم خصب وأكيد. لا يجب أن نفوض الحظ والصدفة لتوجيه مشاريعنا. بل علىٰ العكس يجب علينا التسلح بأدوات مناسبة. يقول ديكارت «أما بالطريقة فأعني جملة قواعد يقينية سهلة تعصم كل من يراعيها بصرامة من حمل الخطأ محمل الصواب، فيتوصل إلىٰ معرفة ما هو أهل لمعرفته بتنمية علمه بكيفية متدرجة متواصلة دون أن يهدر أي جهد ذهني»[1].

---

(١) Ibid., p 46.

المرجع نفسه، (ص/ ٤٠).

المبادئ الأربعة لـ «مقالة الطريقة»

* **منطوق القواعد الأربعة.** في كتاب «مقالة الطريقة» تختزل هذه «القواعد الأكيدة والسهلة»، الموافقة للاستعمال العادي للعقل والتي يحدثنا ديكارت عنها في كتاب «قواعد من أجل توجيه الفكر»، في أربعة مبادئ تحدد الطابع المتميز للمنهج العقلاني الحقيقي (انظر الجدول ص ٤٠). فلنذكر هذه الطرق ونحلّلها باختصار: تظهر هذه الأخيرة مفيدة لكل طالب أو لكل ذهن يسعىٰ وراء الحقيقة؛ لأنَّ ديكارت يكشف هنا عمل الذهن ذاته في سعيه المنهجي، وعندما يتطهر التفكير المستقل والفعَّال من كل الأحكام المسبقة الخاطئة، ومن كل الأمور التي تصوّرها دون أن يكون قد اكتشفها فعليًّا. **هذه المبادئ الأربعة هي إذن:**

(١) أن لا نتقبل أي شيء غير بديهي.

(٢) أن نعمل استنادًا إلىٰ التحليل.

(٣) أن نوجّه أفكارنا بنظام، أي من البسيط إلىٰ المعقد.

(٤) أن نقوم بإحصاء شامل لعناصر المشكلة المدروسة.

* **تخص القاعدة الأولىٰ البداهة،** أي الحدس العقلي للفكرة الواضحة والمتميزة. يجب الابتعاد هنا عن الاتصال التلقائي بمضامين التمثل، ويجب تعليق الحكم وعدم تقبل أي شيء علىٰ أنه صحيح ما لم يتم تبيّن ذلك

بالبداهة، أي بوضوح وتميّز. كما لا يجب الخلط بين البداهة العقلانية والشفافية المفترضة للوضوح الأمبريقي.

إنَّ الفكرة البديهية هي تلك الفكرة الحاضرة والظاهرة أمام فكر يَقِظ، وهي تقابل الغامض. والفكرة المتميزة هي تلك الفكرة التي هي من الضبط والتميّز عن الأفكار الأخرىٰ، بحيث إنها لا تتضمن في ذاتها إلّا ما يظهر جليًّا للذي يتمعّنها كما ينبغي[1]. وعليه فلا يمكن خلط الفكرة المتميزة مع أية فكرة أخرىٰ. إنها تتعارض مع الفكرة المبهمة.

تتضمن قاعدة البداهة ملاحظتين أساسيتين بالنسبة إلينا: يتعلق الأمر بتفادي التسرع -وهو عيب يتمثل في التسرع في الحكم قبل التبيّن بالبداهة- وكذا الحكم المسبق -أي الاستمرار في إصدار أحكام لا معقولة نابعة من مرحلة الطفولة-. هذه الأخيرة تمثل فعلا مصدر عدد كبير من الصعوبات والأخطاء. لقد كوّنا في مرحلة الطفولة أحكامًا مسبقة لا يزال أثرها كبيرًا فينا، ومنه هذا المطلب الرئيس: يجب تعليق الحكم لأجل الابتعاد عما كان يعتقد أنه صادق بتأثير تلك الأحكام الأولىٰ، التي لم تكن نابعة من الذات الحرة والمسئولة، المبدعة لحقائقها في وضوح وبداهة.

* **القاعدة الثانية هي قاعدة التحليل**: يجب علىٰ العقل أن يقسّم المفاهيم المعقدة إلىٰ عناصر بسيطة وإلىٰ مسائل أوّلية، وأن يُفكِّك الكل العصيّ علىٰ الفكر، إلىٰ أجزاء مكوّنة، وبذلك يظهر المجهول في مشكلات جزئية يسهل حلها منعزلة.

يجب القيام أمام موضوع صعب ومُعقّد أو سؤال يبدو مبهمًا وملتبسًا، بتقسيم الصعوبات إلىٰ جزئيات عدة وَفق ما يقتضيه الحال، ثم العمل علىٰ حل

---

(١) Descartes, Principes de la philosophie, I 45, in Œuvres, Lettres, "La Pléiade", Gallimard, p 591.

كل مشكلة جزئية، وستبدو هذه الأخيرة عندئذ طيّعة للفكر. تظهر عملية تقسيم وحل الكل إلىٰ أجزائه إحدىٰ أفضل الطرق بالنسبة إلىٰ الطالب الباحث عن منهج. إن قاعدة التحليل تفترض المبدأ الرابع (أي الإحصاء)، كما أنها لا تكتسي معناها الفعلي إلا بقاعدة النظام.

* **قاعدة النظام**. تعتبر طريقة ديكارت في الواقع عملية تنظيم. ومن خلال هذه الفكرة نصل إلىٰ عنصر أساسي لموضوعنا، ذلك أنه لا وجود لنشاط فلسفي متناسق وموجّه لا يفترض احترام النظام. فلنُشِرْ هنا باختصار إلىٰ أصل الكلمة. ينحدر لفظ النظام (ordre) من الأصل اللاتيني (ordo)، أي: الخط، الانتظام والتتابع. وبذلك فهو يشير إلىٰ سلسلة من المصطلحات التي يتقبلها العقل. فعن أي نظام يتحدث كتاب «مقالة الطريقة»؟ هو تحديدًا التنظيم المستمر للأفكار، الذي ينطلق من الأكثر بساطة إلىٰ الأكثر تعقيدًا. إنَّ الفكر يعيد إذن تشكيل المركب انطلاقًا من البسيط وبفرض النظام حتىٰ في الأمور غير المنتظمة.

يظهر إذن أن العقل هو الذي يُقدِّم النظام. وأن هذا الأخير يعبّر، من حيث كونه مبنيًا ومختلقا أكثر منه معطىٰ، عن نشاط العقل الكامل، أو هو صورة العقل ذاته، ومقدرة الفكر المستقل الساعي وراء الحقيقة. فالنظام والمنهج إذن مفهومان غير منفصلين يستدعي كل منهما الآخر. ويُشكّل تطبيق النظام نواة المنهج: إنها تكوّن العقل بطريقة صارمة وأكيدة في مسيرته العقلانية نحو الحق.

كان ديكارت قد ألحّ في كتابه «قواعد من أجل توجيه الفكر» علىٰ هذا البعد التكويني. ذلك أنّ كل العقول لا تتساوىٰ في «اكتشاف الحقيقة اكتشافًا عفويًا بمحض قواها الخاصة». فعدد منها يبقىٰ سلبيًا. ولذلك وجب تشغيلها بنظام، من أجل استعمالها وتحسينها. وينصح في هذا الإطار بالدراسة المنهجية للارتباطات التسلسلية -مهما كانت متواضعة-، فهي تعوّد العقول في

النشاطات الفلسفية علىٰ العمل بالنظر إلىٰ العلة. «وحتىٰ يكتسب الفكر الفِطنة، ينبغي أنْ ندرّبه علىٰ تحصيل ما كان قد اكتشفه الآخرون، وأن ندرس وَفق طريقة ما كل فنون الناس ومهنهم، حتىٰ أقلها أهمية، وخاصة منها تلك التي يظهر فيها النظام أو يفترض وجوده فيها. [...] ينبغي أن لا نهتم منذ الوهلة الأولىٰ بالأشياء الشائكة الأكثر صعوبة من غيرها. بل ينبغي أن نبدأ أولًا بتفحص الفنون الأقل شأنا والأكثر يسرًا، وخاصة منها تلك التي تحتكم إلىٰ نظام أكثر من غيرها»[1].

وعلىٰ ذلك فإن السير بنظام يمثل «عادة ذهنية يجب اكتسابها» (جلسون)، من خلال نشاطات بسيطة مختلفة. يقدم لنا ديكارت في كتاب «القواعد» بعض الأمثلة عنها: تأمل النظام السائد في فن الصناع الذين ينسجون الأقمشة والزَّرَابِي أو في فن التطريز لدىٰ النساء. علىٰ طالب الفلسفة أيضًا أن يتأمل فن إدراك الانتقال التدريجي من البسيط إلىٰ المركب، ويعتبره مثل أي شيء آخر علىٰ أنه وصفة بسيطة، أي علىٰ أنه صورة عقلية يجب التحكم فيها تدريجيًّا واكتسابها من خلال نشاطات مختلفة أو وضعيات بسيطة. لماذا لا يجب التمسك بالأقل تعقيدًا من الأسئلة والنصوص الفلسفية، والتدرب عندها علىٰ ملاحظة النظام في هذه الحالات البسيطة والخصبة؟ كذلك لن يكون فحص سلسلات رياضية غير مُجدٍ لاكتساب آلية فكرية دقيقة. علىٰ المخيلة حين يتوارىٰ النظام ويختفي، أن تبتكر التتابع الضروري لحل المشكلة. يشير ديكارت في كتاب «القواعد»، إلىٰ ضرورة التنظيم هذه النابعة من المخيلة ومن الفكر، وكذلك هو الحال عندما يتعلق الأمر بقراءة نص مكتوب برموز نجهلها (وهو مثال أكثر تعقيدًا من تلك الأمثلة المقدمة من قبل).

---

(١) René Descartes, Regles, op.cit., pp 69-70.

ديكارت، قواعد، المرجع نفسه، (ص/٧٤، ٧٥).

* **مثال**: الكوجيتو كمبدأ للنظام. يؤكد ديكارت أنه يجب الانطلاق دائمًا من المفاهيم البسيطة، والارتقاء التدريجي نحو المفاهيم المركبة، التي تتوقف معرفتها علىٰ المفاهيم السابقة. هنا يقدم لنا الكوجيتو تمثيلًا واضحًا للطريقة الديكارتية. فهو يشير إلىٰ عنصر (الوعي ذاته دائمًا) أكثر بساطة جدًّا من المضامين المعقدة والمختلفة. يمثل هذا المبدأ إذن نقطة انطلاق صلبة، وبديهية، وواضحة ومتميزة. وترتبط بهذا المبدأ الأول، وَفق النظام، جميع الحقائق الأخرىٰ. يشير الكوجيتو إلىٰ الحقيقة الأولىٰ الماثلة للعقل المفكر بنظام. ويطابق الانطلاق من هذا المبدأ الأول مضمون القاعدة الثالثة لمقالة الطريقة. هذه هي إذن نقطة انطلاق المسار التدريجي من البسيط إلىٰ المعقد: إنَّ المبدأ البسيط الذي يحيل إلىٰ نظام الأفكار، هو الكوجيتو.

* **فكرة التركيب**. يعبر المبدأ الثالث إذن، بشكل كلي، عن ضرورة النظام، مثلما يوضح ذلك مثال الكوجيتو. إلا أنه يفسر أيضًا مفهوم التركيب. ففي حين تخص القاعدة الثانية التحليل -تقسيم المشكلات إلىٰ عناصر منفصلة- نجد أن القاعدة الثالثة تستدعي الاستنتاج، أي تسلسل القضايا، كما تستدعي التركيب أيضًا، الذي هو عملية ذهنية تقتضي الانتقال من عناصر بسيطة إلىٰ النتائج وذلك بإعادة التوحيد التدريجية لتلك الأفكار البسيطة.

إنَّ إعادة تشكيل المعقد انطلاقًا من البسيط، وفق مقاربة تركيبية، هي طريقة أساسية في الفلسفة.

يفضل البعض أحيانا مثل ليبنتز التحليل، ويرون فيه الطريق الموصل إلىٰ المعرفة: «نصل أحيانًا إلىٰ حقائق جميلة عن طريق التركيب وذلك بأن ننتقل من البسيط إلىٰ المركب، ولكن عندما يتطلب الأمر أن نجد الوسيلة لعمل ما نقترح فلن يكفي التركيب عادة [...]. التحليل إذن هو الذي يعطينا مخرجًا من هذا التيه إذا كان هذا ممكنًا»[1].

---

(١) Leibniz, Nouveaux essais sur l'entendement humain, Garnier-Flammarion, liv. IV, chap. 2, § 7, p 291. =

ورغم هذا الحصر، يعتبر التركيب مثل التحليل طريقة أساسية للفكر، تطبق في كل نشاط فلسفي. فالتحليل يفكّك الكل إلىٰ عناصره، والتركيب يجمع العناصر البسيطة. ولا وجود لأي نظام منطقي أو عقلي بدون تطبيق هذين المسارين.

* **المبدأ الرابع: العد أو الإحصاء**: تقتضي هذه القاعدة، وهي الرابعة في كتاب «**المقالة**»، إحصاء مختلف أجزاء الكل، والانتقال من حكم إلىٰ آخر بحركة متواصلة للفكر، وبطريقة توضّح الكل.

لقد ألحّ كتاب «قواعد من أجل توجيه الفكر»، قبل كتاب «مقالة الطريقة»، علىٰ حركة الفكر المتواصلة واللامُنقطعة هذه، الموجهة إلىٰ تفادي الاعتماد علىٰ الذاكرة، والسماح بإدراك أمور متعددة في الوقت نفسه وبشكل متميز، وذلك بحصر المجموع في حدس. يُقدّم ديكارت في القاعدة الحادية عشرة مثالًا عن عدد من العلاقات. لدينا علاقة بين مقدار أول ومقدار ثانٍ ثم بين مقدار ثانٍ وثالث، إلخ، فكيف لي أن أدرك بوضوح العلاقة بين المقدار الأول والمقدار الأخير؟ من الضروري إذن أن أتفحص السلسلة الاستنتاجية كلها بفكري، «إلىٰ الحد الذي أكون فيه قد مررت من المقدار الأول إلىٰ المقدار الأخير بسرعة فائقة، حتىٰ يظهر لي أنني أدرك الكل في الوقت نفسه بحدس دون أن يكون للذاكرة دور»[1].

تُحقق هذه القاعدة مطلب الخصوبة، فهي تزيد من قوة واتساع الفكر من حيث إنها تسمح بتصور واضح لعناصر عديدة في وقت واحد، ومنه التحكم في حقيقة سلاسل استنتاجية طويلة. ومن خلال الإحصاء، يضفي طالب

= ليبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، ترجمة أحمد فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٣، (ص/ ١٤٨).

(١) René Descartes, Regles, op.cit., p 74.

ديكارت، قواعد، المرجع نفسه، (ص/ ٨٠).

الفلسفة علىٰ المجموع الاستنتاجي، الصعب والعصي علىٰ الفَهم وعلىٰ العقل، وضوحًا يحوّله إلىٰ موضوع معرفة قابل للإدراك. يؤدي تصفح مختلف تمفصلات «التأملات» أو «الأخلاق» في حركة متواصلة للفكر إلىٰ حصر الكل في حدس واضح ومتميز تنيره البداهة الفكرية.

غير أنَّ قاعدة الإحصاء تسمح أيضًا بالتيقّن من أنه لم يتم إغفال أي شيء. إذ كيف نضمن في الواقع، بأن لا شيء قد أفلت منا عند حل عدد كبير من الأسئلة؟ نقوم بواسطة الإحصاء ببحث منهجي لكامل المفاهيم المطروحة. وحدها عملية الإحصاء بإمكانها أمام سلسلة طويلة، أن تضمن أنه لم يتم إغفال أية نقطة جزئية -ولكن أساسية-. وبالتالي تظهر قاعدة الإحصاء في استراتيجية المقالة علىٰ الخصوص، خصبة جدًّا ومحققة بشكل مدهش.

ديكارت
المبادئ الأربعة لمقالة الطريقة

«**الأولىٰ**: أن لا أتلقىٰ علىٰ الإطلاق شيئًا علىٰ أنه حق ما لم أتبين بالبداهة أنه كذلك، أي أن أُعنىٰ بتجنب التعجل والتشبث بالأحكام السابقة، وأن لا أُدخل في أحكامي إلّا ما يتمثل لعقلي في وضوح وتميز لا يكون لدي معهما أي مجال لوضعه موضع الشك.

والثانية: أن أقسّم كل واحدة من المعضلات التي أبحثها إلىٰ عدد من الأجزاء الممكنة واللازمة لحلها علىٰ أحسن وجه.

والثالثة: أن أرتب أفكاري فأبدأ بأبسط الأمور وأيسرها معرفة وأتدرج في الصعود شيئًا فشيئًا حتىٰ أصل إلىٰ معرفة أكثر الأمور تركيبًا، بل أن أفرض ترتيبًا بين الأمور التي لا يسبق بعضها بعضًا بالطبع.

والأخيرة: أن أقوم في جميع الأحوال بإحصاءات كاملة ومراجعات عامة تجعلني علىٰ ثقة بأنني لم أغفل شيئًا»[١].

---

(١) René Descartes, Discours de la méthode, II partie, in Œuvres, Lettres, "La Pléiade", Galiimard, pp 137-138.

ديكارت، مقالة الطريقة، ترجمة جميل صليبا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (ص/ ٢٢).

خلاصة
حول المنهج الديكارتي

الشك المنهجي	عدم تقبل أو رفض أي أمر في غياب البداهة الكاملة.
البداهة:	ما يطرح بشكل واضح ومتميز.
الوضوح:	المعرفة الحاضرة والظاهرة للفكر المنتبه.
التميّز:	معرفة مختلفة عن كل المعارف الأخرىٰ.
الحدس:	إدراك العقل الخالص والمنتبه.
التحليل:	تفكيك معضلة ما إلىٰ العناصر المكونة لها.
التركيب:	إعادة التركيب التدرجية انطلاقًا من العناصر.
الاستنتاج:	العملية التي نتوصل بها إلىٰ نتيجة ضرورية انطلاقًا من مقدمة أو مجموعة من المقدمات.
النظام:	«إن النظام يتمثل فقط، في واقع أن الأمور المقترحة أولًا يجب أن تكون معروفة دون حاجة إلىٰ الأمور اللاحقة لها، وأن هذه الأخيرة يجب أن تُنظم بعد ذلك بهذه الطريقة أي أن تُفسّر بالأشياء السابقة عنها فقط»[١].

(١) René Descartes, Secondes réponses, in Œuvres, Lettres, "La Pléiade", Gallimard, p 387.

حوصلة
حول المنهج الديكارتي

*** كيف يمثل هذا المنهج وسيلة عمل ضرورية للطالب في كل بحث أو إعداد فلسفي؟**

- **الدعوة إلىٰ التفكير الذاتي**. يتداخل المنهج مع التنظيم والالتزام الشخصي بالنظام، النابع من عمل الفكر المستقل والدقيق. ويجب لإيجاد النظام أو بالأحرىٰ لابتكاره أو تصوره، التمرن علىٰ اللجوء إلىٰ قدراتنا الخاصة، أي إلىٰ الفهم والعقل. يشير المنهج إذن، بعيدًا عن اختزاله في جملة من الوصفات، إلىٰ مسار اكتساب النظام المنطقي.

وعليه يشكل المنهج الديكارتي، باعتباره دعوة للتفكير الذاتي والإبداع الشخصي للأحكام الدقيقة القائمة علىٰ نظام الأسباب، أحد أركان العمل الفلسفي. (انظر جدول المبادئ الديكارتية).

- **الحدس والاستنتاج**، في صلب المنهج. وظيفة المنهج هي السماح بإصدار أحكام صارمة، وممارسة التفكير بطريقة مضمونة. ولذلك فهو يحيل إلىٰ فعلين من أفعال الفَهم، يمكن بواسطتهما تحقيق معرفة دون الخشية من الوقوع في الزلل،

هما الحدس والاستنتاج. فلنُعرّف هاتين العمليتين في معناهما الديكارتي. إنَّ كلًّا منهما يلعب دورًا أساسيًّا في العمل وفي الأنشطة الفلسفية. فالحدس يشير إلىٰ نمط من المعرفة المباشرة والعقلانية، وإلىٰ التصور الذي ينشئه الفكر الخالص المنتبه، المتولد عن نور العقل وحده.[1] ويكتنف هذه الصفة المباشرة في المعرفة الحدسية، بعيدًا عن كونها معطاة، عمل كبير للذات (الشك المنهجي والانتباه). أما الاستنتاج فيمثل حركة الفكر المنتقل من حدس إلىٰ آخر بشكل يجعل الأطراف الجانبية للسلسلة مرتبطة فيما بينها برابطة ضرورية. ويتميز الاستنتاج بالحركة والتتالي، بينما يتميز الحدس بكونه آنيًا. إنَّ قاعدة الإحصاء تسمح برد القضايا المستنتجة إلىٰ حدس فعلي، وإلىٰ إدراك مباشر.

بتأكيده علىٰ الحدس والاستنتاج يكون ديكارت قد دخل في صلب المنهج، مثلما تشير إلىٰ ذلك بشكل جيد القاعدة الثالثة: «ينبغي في الموضوعات المقترح درسها، أن نبحث فيما نستطيع أن نحصل عليه حدسًا في وضوح وبداهة أو ما نستطيع أن نستنتجه في يقين، لا أن نبحث فيما فكّر فيه الآخرون أو فيما خمّناه نحن أنفسنا، ولا يُدرك العلم علىٰ غير هذا الوجه»[2].

---

(١) René Descartes, Regles, op.cit., pp 43-44.

ديكارت، قواعد، المرجع نفسه، (ص/٣٦).

(٢) René Descartes, Regles, op.cit., p 42.

ديكارت، قواعد، المرجع نفسه، (ص/٣٤).

من التركيب العقلاني إلى التركيب الجدلي: الجدل ومنهجه
الانتقال إلى الجدل: ضرورة دراسته

في قواعد ومبادئ كتابَيْ «القواعد» و«المقالة»، يلعب التركيب العقلاني من حيث هو طريقة تتم بتدرج ووفق نظام الأسباب، دورًا مركزيًا. لكن الأنشطة الفلسفية تقتضي وتتطلب التركيب الجدلي أيضًا، الذي هو اللحظة الثالثة من مسار يحقق وحدة اللحظتين الأوليتين (الأطروحة ونقيضها). يشير هذا النوع الجديد من التركيب إلىٰ أحد أهم المقولات التي تحكم العمل الفلسفي. وبهذا نصل الآن إلىٰ تأسيس فلسفي جديد للمنهج هو: الجدل.

لماذا نهتم بهذا النوع من التفكير؟ لأنه يسمح بتحقيق وحدة فعلية، من خلال ربطه لعناصر مشتتة وتنظيمه لها في كلٍّ روحي. إلا أن هذا المطلب وهذا المشروع هما حاسمان عندما يتعلق الأمر بإنجاز الأنشطة أو الأعمال الفلسفية علىٰ أكمل وجه. في الواقع تتجلىٰ الفائدة من الناحية الفلسفية، في عرض كلي وفي تركيب فعلي: أليس فعل التفكير هو توحيد وتأمل، داخل كل محدد، في الأمور التي تبدو متباعدة ومنفصلة؟

بالمقابل، إنَّ التأمل في التفكير الجدلي الحقيقي هو من الضرورة أيضًا، بحيث إنه تطغىٰ في التقاليد المدرسية وحتىٰ الأكاديمية كما سبق الذكر، صورة كاريكاتورية للطريقة المشهورة ذات المراحل الثلاث، الأطروحة ونقيضها والتركيب: يغلب استعمال هذه الطريقة المختزلة في خطة

شاحبة، مستنزفة ومختصرة في خطوات ثلاث، تعكس صورة كاريكاتورية مؤسفة للجدل الهيغلي الحقيقي. وعليه، يتعين علينا، من أجل الإفلات من التقليد الجامد «للطريقة الجدلية» المزعومة، الرجوع إلىٰ هيغل، أي نحو فكرة التطور الجدلي ونحو مفهوم الصيرورة. يجب الاستعاضة عن الخطة الثلاثية، بموضوع الصيرورة الجدلية المتحركة، وإحلال حركية الحياة الروحية محل المخطط الساكن والميّت.

تتداخل هذه الديناميكية مع قلق الفكر ذاته، ومع التجاوز الذاتي للفكر النشط، الذي يحافظ علىٰ عناصر التفكير وينفيها في الوقت نفسه. كان هيغل قد رفض في مقدمة كتاب «علم المنطق»، الصورة الكاريكاتورية للجدل، معتبرًا كآلية خارجية: «يُنظر إلىٰ الجدل في أغلب الأحيان علىٰ أنه آلية خارجية [...]، لا تشكل جزءًا من الشيء ذاته»[1]. إنّ هيغل، وبعيدًا عن كونه مبتكرًا لآلية خارجية أو لمفتاح مرور عام، يدرك حياة الفكر ويوجّه بطريقة منطقية الطالب الباحث عن المنهج.

---

(١) Friedrich Hegel; science de la logique, Aubier, t 1, p 42.

فكرة الكلية لدى هيغل

يُعرف الفكر الجدلي قبل كل شيء بكونه يقتضي الكلية. وهو ما يعني استحالة فهم عنصر بمعزل عن الكل، هذا الأخير الذي يضفي معنىٰ وصورة علىٰ المقاطع والأجزاء والأقسام. وإذا كنا نقوم بتمايزات وتفاضلات وتحديدات باستمرار، فإن هذه الأخيرة تتضح رغم ذلك بحركة الكل، أي الفكر في تشكّله. وعليه فبانضمامه إلىٰ المجموع يتخذ التفكير والفلسفة طريق العلم والمعرفة المنظّمة، الشاملة والدقيقة، ويبتعد عن الذاتية (أي عن وجهة نظر الذات الواحدة) وعن الاحتمال (أي عن عناصر غير ضرورية نابعة من آراء خاصة أو متجزئة).

وعليه، يشير الفكر الجدلي إلىٰ الإدراك العضوي المعقول للكل، للمجموع الفكري الشامل، وللحركة الموحّدة للروح أو للفكرة (مُتصورة كشكل سامٍ للروح): «إن حقائق الفلسفة لن يكون لها من قيمة، إذا ما صرفنا النظر عن الاعتماد المتبادل والوحدة العضوية في النسق. ولا بُدَّ في هذه الحالة أن تعالج بوصفها فروضًا لا أساس لها، أو أنها مجموعة من القناعات الشخصية. وهناك بالفعل بحوث فلسفية كثيرة تحصر نفسها في مثل هذا العرض لآراء المؤلف ومشاعره»[١].

(١) Fredriech Hegel, Précis de l'encyclopédie des sciences philosophiques, Introduction, Vrin, p 39. =

إنَّ هذه القضايا حاسمة: فعلىٰ النشاط الفلسفي، إذا لم نرده شكليًّا وبلا فائدة، أن يُطرح كمسار دمج لمختلف لحظات التفكير، أو ككلية يجد فيها كل تناقض نفسه متضمنًا ومتجاوزًا داخل شكل جديد. ومنه فالعمل الفلسفي الخصب يخضع فعليًّا إلىٰ مقتضىٰ الكلية. هنا نستطيع اتخاذ مثال المقالة: فإذا انغلق كل قسم أو كل جزء منها علىٰ ذاته دون رابط عضوي يربطه بسير المجموع، فإنَّ القارئ سيظل بدون شك علىٰ تعطشه، ذلك أن التحليل البعيد عن منهج صارم وشمولي سيتجزأ، وبالتالي لن تخضع الأجزاء لأية وحدة عضوية. إنَّ المقالة الناجحة تمثل نشاطا تطبيقيا للجدل الهيغلي. هل انتقاد قسم يعني أنه مرفوض حقيقة؟ علىٰ العكس من ذلك يندمج هذا القسم في سير المجموع وفي الوحدة الشاملة لفكر.

إنَّ قاعدة الكلية ضرورية إذن، إلا أنها تفترض هي ذاتها السلب.

«عمل السالب»

ما الذي تشير إليه هذه العبارة المشهورة؟ إنها لحظة التمييز داخل كل مسار شامل: كل حقيقة تنفي الكل الذي تندمج فيه. وعليه فما يحركها عندئذ هو السالب، تلك الحركية التي بواسطتها يقوم كل كائن محدد بإخراج ونفي وتجاوز ما يشكّله. ومنه فعلىٰ عكس الهوية المطلقة يحدث انقسام داخلي يرفع فيه الجزء وينفي ما تم وضعه في السابق. هذه هي لحظة القطيعة والانقسام التي يتم فيها عمل السالب، لحظة التقدم التي تواجه فيها القضية الموضوعة نقيضها، الذي ينفيها. وعلىٰ ذلك تنفي الزهرة البذرة والوسط الذي شكّلها.

= هيغل، موسوعة العلوم الفلسفية، ج١، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ط ٣، ٢٠٠٧، (ص/ ٧٠، ٧١).

العقل الجدلي
الآليات الهيغلية

السلب:	مسار التميز الذي بواسطته يتم نفي ورفض ما وضع من قبل.
التجاوز الجدلي:	يشير إلىٰ فعل التجاوز مع المحافظة (*Aufheben*): إلغاء-محافظة.
الإيقاع الثلاثي للتجاوز الجدلي:	الأطروحة: إثبات؛ نقيض الأطروحة: نفي؛ التركيب: نفي النفي
قانون الكلية:	ما من شيء منعزل ومنفصل. «نسمي جدلًا الحركة العقلية العليا التي تمر من خلالها حدود تبدو منفصلة في الظاهر عبر بعضها البعض تلقائيًا وذلك من حيث ماهيتها، ومنه تجد فرضية انفصال هذه الحدود نفسها لاغية»[١].
حامل ومحرك الجدل:	المفهوم.

إنَّ «عمل السالب» هو في نظر هيغل، روح كل حركة وكل حياة، ومصدر كل نشاط! كيف لنا أن نفهم بدونه عمل التاريخ المذهل، والانتقال المستمر من شكل تاريخي (منفي) إلىٰ شكل آخر (يتعارض مع الأول)؟ أليس

(١) Hegel, Science, op.cit., t.1, p 99.

السالب القوة المحركة للتاريخ وللحياة الفكرية، الشيطان الذي يوسوس لكل شيء ويدفعه للخروج عن ذاته، في مسار مستمر، والذي هو ليس حركة عدم بسيطة، بل حركة انتقال من شكل أدنىٰ إلىٰ شكل آخر أكثر ثراءً؟ إن النفي، وبعيدًا عن كونه مجرد عدم، للمضمون المنفي هو دفع للمضمون الخصوصي. بذلك تنشأ مضامين جديدة، ومصطلحات أكثر ثراء من السابقة؛ لأنها تنفي وتحافظ علىٰ المضامين والمصطلحات المناقضة لها. يسمّي هيغل هذه الحركة (*aufhebung*)، أي من الفعل (*aufheben*) الذي يعني في اللغة الألمانية المحافظة والإلغاء في الوقت نفسه.

هنا أيضًا تظهر العودة إلىٰ التأسيس الفلسفي للمنهج ضرورية: إذ يجب علىٰ النفي (الأطروحة النقيض) الذي يلي الأطروحة (القضية)، لكي تكون له وظيفة ديناميكية في النشاط الفلسفي، أن يُفهم كتجاوز وليس كعدم. بهذا تتم إعادة دمج كل لحظة من لحظات الفكر والاحتفاظ بها في الصياغة الجديدة للمشكلات. عندما تنقلب صورة ما إلىٰ نقيضها فإنها ترتفع بعيدًا عن كونها نُفيت تمامًا، إلىٰ وحدة أسمىٰ. بهذا الشكل تظهر التحليلات والمواضيع الهيغلية هذه أساسية هنا. إن النظر إلىٰ العرض الفلسفي علىٰ أنه عمل خطي يتم فيه الانتقال من قضية (منفية وخاطئة) إلىٰ قضية نقيض (مطروحة هي الأخرىٰ علىٰ أنها خاطئة مطْلقًا) إلىٰ التركيب (انتقائي) يمثل نظرة خاطئة. في الواقع تندمج اللحظات الثلاثة للمسار الجدلي في ديناميكية اندماج متتالية.

لكن، ألا يجب مع هيغل، تفعيل التناقض -قصد الإحاطة الجيدة بهذه المفاهيم-؟

كل شيء متناقض!

في الواقع إن التناقض -تعارض المصطلحات أو الأشياء الفعلي- هو الذي يمثل محرك هذا الإثراء المتواصل انطلاقا من تحديدات أوّلية، فهو الذي ينير الطرح الجدلي. إنَّ كل شيء متناقض! ويعتبر التناقض، بعيدًا عن كونه عرضًا للفكر، أكثر أهمية من الهُوية، فهو محرك الحياة والصراع الفعلي داخل الأشياء. فأن نحيا يعني أن نحافظ علىٰ المتناقضات في ذاتها، وأن ندمجها في وحدة أعلىٰ. كذلك يعبّر النشاط الفلسفي الناجح، إن أراد أن يعكس دينامية حياة متناقضة في جوهرها، ليس فقط عن التناقض بل يوجّهه إلىٰ أقصىٰ حدوده. «يستثير العقل المفكر الاختلاف الهيّن للمتعدد، أي التعددية البسيطة كما يصورها التمثل، ويجعل منها اختلافًا جوهريًا وتعارضًا. لا يحيا المتعدد والمتكثّر إلا عندما يدفع إلىٰ أقصىٰ درجات التناقض»[1].

(١) Hegel, Science, op.cit., t.2, p 70.

الصراع والحركة

بناءً علىٰ ذلك، ألا تفضي الإشارة إلىٰ الوظيفة الخصبة للتناقض إلىٰ تعريف الجدل باعتباره منطق الصراع؟ إذا كان كل مصطلح ينفي المصطلح اللاحق ويتعارض معه في حركة مستمرة ومتناقضة، فإنّ ما يظهر مركزيا هو الصراع. وعليه فإن التناقض يشير فعلا إلىٰ منطق الصراع؛ لأنَّ كل مصطلح يدخل في صراع مع ضده، الذي ينفيه ويواجهه. إذا كانت فكرة التناقض مركزية فإن الصراع يمثل روح الواقعي فعليا. وفي حقل القوىٰ المتناقضة هذا الذي هو العالم، فإن كل وعي وكل مصطلح أو تحديد يجد نفسه مضطرًّا للصراع. إن الفلسفة الهيغلية غنية بمثل هذه الأمثلة: ألا يتحقق كل وعي ضد ذلك الآخر الذي ينفيه، أليست كل رغبة هي سعي نحو موت الآخر؟

التناقض. كفاح وصراع: كل شيء في الجدل الهيغلي يحيلنا إلىٰ فكرة رقصة كونية، رقصة موت وصراع ومواجهة، المسار الطويل الذي يتحرك فيه كل شيء ويتحول. بذلك يشير فكر التحول بالصراع هذا إلىٰ الكلية الفعلية الأولىٰ وإلىٰ الواقع الفعلي.

يعتبر مفهوم الحركية الصراعية هذا ذا أهمية كبرىٰ بالنسبة إلىٰ موضوعنا: والحال أن النشاط الفلسفي يشير إلىٰ مسار، من الضروري فيه علىٰ كل لحظة من لحظات الفكر أن تعكس التدفق المتجدد للحياة بشكل مستمر، أي السلسلة غير المنقطعة من «الظهور-الزوال». يقابل الحالة الساكنة المميزة للطريقة الجدلية التقليدية إذن العمل الفلسفي من حيث هو مسار وعرض للتفكير.

حركة المفهوم ذاته

في حركة الظهور-الزوال هذه يكون المفهوم هو المحرك: وهو يشير إلىٰ السلب الروحي الكلي ويتماهىٰ مع المنهج في معناه التام، بالطبع ليس كمجرد أداة لاكتساب معرفة، بل من حيث هو التعبير ذاته عن المعرفة، ومن حيث هو سلب وحركية روحية. «وعليه فإنّ ما يجب اعتباره هنا كمنهج، هو حركة المفهوم ذاته»[١].

إنّ المحرك الفعلي للتقدم في كل نشاط فلسفي موجه بشكل جيد هو المفهوم، المعرف ليس كنتاج مجرد للفهم، بل كماهية عميقة لفعل التفكير، وكروح حي للواقع: أي كسلب مطلق وقوة خلّاقة. يحدثنا هيغل بحق عن «قوة المفهوم في الخلق»[٢]، في كتابه «**علم المنطق**». يشير النشاط الفلسفي إلىٰ مسار التطور-الذاتي للمفهوم هذا (الذي لا يملكه سوىٰ الإنسان).

(١) Hegel, Science, op.cit., t.2, p 552.

(٢) Hegel, Science, op.cit., t.2, p 277.

خلاصة حول الجدل

تسمح آليات التفكير التي وضعها هيغل والمفاهيم الأساسية لمنهجه -فكرة التناقض، السلب، الكلية . . . إلخ- بفهم التطور الجدلي للنقاش ولديناميكية كل استراتيجية أو كل نقاش فلسفي (انظر الجدول ص٤٤). علىٰ فكرة النفي الجدلي المدمجة للحركة السابقة، أن تحكم وتوجه النشاط الفلسفي. فالتفلسف لا يعني أبدًا الإبطال بل يعني الفهم والدمج.

(٤) البلاغة والفلسفة

لا يقوم المنهج الفلسفي علىٰ الأسس الموضوعية فقط (نظام، جدل ... إلخ) المتناولة في الفصل السابق. في الواقع إن التفلسف هو القيام ببرهنة، وكل برهنة تندرج في عمل بلاغي. يشكل فن التعبير الحسن موضوع هذا الفصل، الذي يُعنىٰ باستراتيجيات الإقناع، وبالصور البلاغية، وبالاستعارات والمجازات المختلفة، التي يحفل بها الحقل الفلسفي والتي لا يجب لأي طالب أن يغفلها إذا أراد إنجاز مقالة أو شرح نص. لكننا سنهتم أيضًا بقواعد البلاغة (مبدأ اللاإسهاب، اللاحشو ... إلخ)، التي ستظهر ليس كأداة خادعة فقط، وإنما كمنهج فلسفي.

يتناول هذا الفصل من جهة، البلاغة التي تطبَّق خصوصًا علىٰ الأنشطة الفلسفية، ومن جهةٍ أخرىٰ بعض القواعد الأساسية التي تحكم تحرير وعرض الأنشطة.

مـدخـل
البلاغة شقيقة الفلسفة

لماذا نقحم أنفسنا في دراسة البلاغة ومناهجها هنا؟ مثل هذه المقاربة يمكن أن تثير الدهشة. والحال أن النشاط الفلسفي بدا لنا حتىٰ الآن في «موضوعيته»، أي كاستدلال وكاستنتاج صارم، مرتبط بدراسة أسس الفكر ذاته. كيف تستجيب البلاغة للمتطلبات الخاصة بالتفكير؟ ما السبب العميق الذي يجبر طلبة شهادة الليسانس والمدارس التحضيرية علىٰ معرفة بعض قواعد البلاغة واعتبارها ذات فائدة وأثر علىٰ سير وأداء نشاطاتهم الفلسفية؟ أليس البليغ هو الخطيب الذي يضحي بالحقيقة لصالح فن الخطاب؟ ألم يعوِّدنا أفلاطون علىٰ أن البلاغة، كتقنية منتجة للأوهام، وفن المظاهر الخدَّاعة والكلام المنمَّق والتلاعب الماهر؟

غير أن المفاهيم ليست أبدًا بسيطة ولا أحادية المعنىٰ، ويبدو مصطلح البلاغة هذا متعدد المعاني. أليست البلاغة، من حيث هي فن النقاشات المزيفة الموقعة في الخطأ، صورة كاريكاتورية عن فن المحاجة الحقيقي، الذي أعيد له الاعتبار في عصرنا هذا؟ أليست البلاغة الحقيقية هي التقنية المتأنية في استعمال وسائل التعبير[١]؟

---

(١) O. Reboul, La rhetorique, "Que sais-je?", P.U.F, et C. Perelman, L'Empire Rhétorique, Vrin.

تُعرَّف البلاغة المستخدمة في النشاطات الفلسفية إذن كالتالي: فن حُسن الكلام والتعبير، وعرض للحجج الخاصة وَفق نظام مناسب، بشكل يحقق الإقناع لدىٰ كل مستمع. من هذه الزاوية يمكن اعتبار الفلسفة أخت البلاغة، من حيث إن الثانية تضبط الأفكار الواضحة للأولىٰ، كي يكون العرض الحسن والبرهاني في خدمة الحق. يظهر التدرب علىٰ تقنيات التعبير في هذا المنظور كضرورة قصوىٰ.

نظرة تاريخية موجزة

سنقوم من أجل فهم أفضل لماهية البلاغة الحقيقية باستقصاء تاريخي موجز. ما هو منشأ البلاغة؟ يمكن أن يكون منشأ هذا الفن هو جزيرة صقلية، في سراقوسطة حوالي سنة ٤٦٠م. لقد ألّف أستاذان هما -كوراكس (*Corax*) وتلميذه تيزياس (*Tisias*)- كُتيِّبًا في الحجاج نجد فيه تحديدًا لهدف تقنية البلاغة.

مع السُّفسطائيين، أرباب البيان الذين كانوا يجوبون، خلال القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد، المدن؛ من أجل تعليم فن الكلام أمام العامة وكذا طرق الإفحام أثناء النقاش، تحولت البلاغة إلىٰ تقنية بارعة في الخطاب، سيعمل أفلاطون فيما بعد علىٰ إبطالها باعتبارها فن إيهام ومغالطة. هذا الجدل الذي لا يزال جوهريًا والذي يجدر بنا أن نقول فيه كلمة هنا. فعلًا تطورت مع الخطباء الأوائل تقنية الكلام المؤثِّر. وهنا نذكر جورجياس الليونتيومي (٤٨٧-٣٨٠ ق.م) الذي صاغ آليات البرهنة. وبروتاغوراس الأبديري (٤٨٥-٤١١ ق.م) الذي كان يدرس هو أيضًا فن الخطاب المؤثر. «لقد كان أول من قال بوجود طريقتين متعارضتين في البرهنة علىٰ أي موضوع، وكان أول من استخدم مبدأ المحاجة الجدلية هذا»[١].

(١) Diogène Laërce, Vies et sentences des philosophes illustres, in Les Sophistes, P.U.F, p ٢٤.

في مقابل السفسطائيين وإيزوقراط -الخطيب الأثيني الذي تعلق ببلاغة يتخللها الاعتدال وكان يرىٰ أن الكلام اللائق هو العلامة الأكيدة الدالة علىٰ الفكر العادل-، نجد أفلاطون الذي حارب بشراسة البلاغة، خصوصًا في محاورة جورجياس. ما الذي تشير إليه؟ إنها أداة إقناع واعتقاد، وتجربة تتعلق بإنتاج نوع من البهجة والإرضاء عن طريق اللذة[١]. فالبهجة والإرضاء هما إذن غايتا هذا الفن المغالط. سيتطلع أفلاطون بالطبع في محاورة فايدورس إلىٰ بلاغة جديرة بالفيلسوف، لا تتأسس علىٰ الوهم المحض وتشير حقيقة إلىٰ فن الكلام والتفكير، إلا أنّ الطلاق بين البلاغة والفلسفة، بين تقنية الخطاب والطريق نحو الحق كان قد تم معه. وهذا رغم إسهام أرسطو الكبير الذي أعاد الاعتبار وَفق زاوية معينة، وبعيدًا عن النقد الأفلاطوني، إلىٰ فن الإقناع وعزا البلاغة إلىٰ غاية نافعة هي إجازة التواصل.

كانت البلاغة تُمارَس في الفترة الهيلينستية كنشاط ينم عن ثقافة عالية. وقد استمرت كذلك حتىٰ بعد العصور القديمة. لكنها شهدت خلال القرن التاسع عشر أُفولًا تدريجيًّا، ثم عاودت الظهور من جديد وبقوة في أيامنا هذه: لقد أصبحت تشير اليوم إلىٰ تقنية الحجاج (كما تعكسها أعمال ش. برلمان).

ما الذي يمكن استنتاجه من هذه الإطلالة التاريخية الموجزة؟ أن الخطابة أداة متعارضة وملتبسة، فهي وسيلة لإقناع المخاطب وللتواصل (أرسطو)، وهي بالمقابل أيضًا تلاعب خداعي وتملُّقي (حاربه أفلاطون). إنّ اهتمامنا سيتركز علىٰ أداة النقاش والتعبير، أي علىٰ نظرية الحجاج الكامنة في البلاغة الحقيقية والمبينة للنشاط الفلسفي.

---

(١) Platon, op.cit., 464d, Belles Lettres, p 133,

أفلاطون، جورجياس، ضمن: أفلاطون، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ج ٢، (ص/ ٣٣١).

المحاجة والاستدلال
مفهومان متمايزان

*** لماذا التفكير هنا في الحجاج؟ لأن المقالة الفلسفية تشكل أرضية خصبة يمكن أن يطوّر فيها حجاج منتظم ومتميز بشكل كبير عن الاستدلال.**

- **الاستدلال** هو عملية عقلية يتم بواسطتها إثبات صدق قضية بطريقة استنتاجية: وعلىٰ هذا المنوال يتم في الجبر والهندسة الانتقال المنطقي بطريقة استدلالية محضة: يتعلق الأمر بوصل قضية بقضايا أخرىٰ بديهية من خلال ترتيب القضايا في كل واحد منتظم برابط ضروري. يمكننا علىٰ سبيل المثال أن نستدل من خلال نهج الاستدلال والاستنتاج هذا، علىٰ أن مجموع زوايا المثلث مساوٍ لقائمتين (علىٰ الأقل في النسق الإقليدي).

- أما **المحاجة** فتعرّف علىٰ العكس من ذلك وفي مقابل الاستدلال، بكونها جملة من الآليات الخطابية المستخدمة لدفع الآخر علىٰ قبول قضية ما. وهي تهدف إلىٰ إقناع المخاطب. فبينما يتضمن الاستدلال في ذاته البداهة والضرورة، تحيل المحاجة إلىٰ الاحتمالي وتتوجه نحو المُخاطَب.

غير أن النهج الفلسفي ليس استدلاليًا فحسب، بل يتوقف علىٰ ممارسة الحجاج وهو موجَّه إلىٰ فئة معينة.

المحاجة والمُخاطَب الفلسفي

يعني القيام بمحاجة -وهو غاية النشاطات الفلسفية حقًا- التوجّه نحو مُخاطَب والعمل وفق مقتضاه. في حالتنا، المخاطب هو أستاذ أو أساتذة الفلسفة. يستند المخاطب الفلسفي علىٰ خلاف لجان التصحيح في تخصصات أخرىٰ، علىٰ «اللوغوس» بشكل ظاهر، أي علىٰ العقل الكوني أو علىٰ ما هو مشترك بين جميع العقول.

ليست هذه الملحوظات ثانوية إلا في الظاهر: فالنشاط الفلسفي الذي ينجزه الطالب موجّه إلىٰ هذا المخاطب المحايد والموضوعي، المجسد للعقل والحامل للكوني. يجدر التذكير هنا بمثال شهير، يتعلق الأمر بشخصية م. بولييه (M. Beulier) في رواية «جون سونتوي» (Jean Santeuil) لمارسيل بروست. يمثل السيد م. بولييه في هذه الرواية ألفونس دارلو أستاذ بروست في مادة الفلسفة بثانوية كوندورسيه. والحال أنه يُجسّد بامتياز المخاطب المتشبع بالعقلانية الذي يوجّه إليه حجاج الطلبة الفلسفي. كان جون العاجز عن وضع صورة لما سيكون عليه قسم الفلسفة هذا، يعين نفسه بعبارات لرينان ولباراس، كي يتخيل نعومة ذلك القسم البائس. شرع السيد م. بولييه في الكلام. كانت لُكنة أهل بوردو ظاهرة في كلامه جدًا بشكل أدهش بروست. كان يقول (phi-lo-so-phie) و(ni-ai-zeu-rie) مشدّدًا علىٰ كل مقطع نطق وحده. لم يكن وجهه النشط والمتلون يُفصح لا عن نزعة شكية ولا عن انفعال ولا عن رقّة. كان يتكلم بتسلسل لم يكن جون

متعودًا عليه، لدرجة أنه كان يشعر بالتعب[1]. يعكس السيد بولييه بشكل جيد صورة هذا المخاطب الفلسفي، أستاذ الفلسفة ذاك، التواق لإخضاع كل واقعة لصورة الكوني. إنّ شخصية جون سونتوي تذكّرنا من خلال رغبتها في إبعاد الاستعارات أو الصور التي من شأنها أن تنال إعجاب الشاعر وليس الفيلسوف، بالصرامة الضرورية للخطاب الفلسفي. يجسد أستاذ الفلسفة -مثل م. بولييه- العقل واللوغوس الكوني. ومن هذا الواقع ذاته، تظهر لنا كل كتابة غنائية أو محزنة، تنزع إلىٰ إيصال نوع من الانفعال القوي إلىٰ القارئ، محظورة لسبب موضوعي: أن «الشخص» الذي يوّجه إليه العرض الحجاجي -أي أستاذ الفلسفة- لا يختلف أبدًا من الناحية النظرية عن «خادم الإنسانية»، ذلك الذي يحدّثنا عنه هوسرل في كتابه «أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية»[2]. يريد مخاطبك الفلسفي أن يجسد العقل ويتحمل كينونة الإنسانية الحقيقية، التي يشعر بالمسؤولية تجاهها. يشهد كلامه، وإصغاؤه وكتابته «الباردة» نوعًا ما عن تلك العلاقة مع كونية اللوغوس، التي لا يجب أبدًا وضعها بين قوسين في أعمالك.

---

(١) Proust, op.cit., t1, Gallimard, p 241.

(٢) Husserl, la crise des sciences européenne et la philosophie transcendantale, N.R.F., Gallimard, p 23.

ادموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، ترجمة إسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، (ص/ ٦٠).

الإقناع والحمل على الاعتقاد

يُوجَّه استخدام المحاجة الفلسفية إذن إلىٰ مخاطب كوني فرضيًا، ولكن هذا لا يعني أبدًا أنّ نشاطك يدور في دائرة البداهة العقلية فقط. يمكن لحقل نشاطك أن يطابق الطرق الاستدلالية والاستنتاجية، ولكن أيضًا أن يطابق دائرة الراجح والمحتمل، أي ما هو قائم علىٰ أسباب وجيهة مع الإبقاء علىٰ هامش معين من الخطأ. باختصار نقول: إن المحاجة الفلسفية لا ترفض الرأي الصادق أو علىٰ الأقل المسوَّغ والجدير بالقبول. ولكن ما هو الرأي؟ «هو تصديق يعي عدم كفايته ذاتيًا وكذلك موضوعيًا»[1]. فإذا كان الاستنتاج يشكل أحد آفاق النشاط الفلسفي، فإن الاعتقاد والرأي يندرجان هما أيضًا في هذا النشاط، ومن الضروري هيكلتهما بمحاجة دقيقة.

إذا لم يلتزم الطالب في نشاطه بالصورة الاستنتاجية فقط وتعداها إلىٰ دائرة الترجيح والاعتقاد، فما الذي سيترتب عن ذلك حينئذ؟ عليه أن يستعين ليس فقط بالتفكير الموضوعي، بل بفن الحمل علىٰ الاعتقاد أيضًا، فهذا الأخير يختلف في الواقع عن القناعة، ويختلف فعل الحمل علىٰ الاعتقاد عن فن فعل الإقناع، مثلما بيّن ذلك جيدًا باسكال في كتابه «**فن الحمل علىٰ الاعتقاد**»: إنّ الإقناع هو حمل الشخص علىٰ الاعتراف بصدق قضية استنادًا إلىٰ حجج عقلية محضة. لكن في الفلسفة يعتبر المرجح موضوعًا مفضلًا

(١) Kant, Critique de la raison pure, P.U.F, p 552.

عمانويل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، (ص/ ٣٩٢).

للتفكير. فمن منا يستطيع التكلم عن الله أو عن النفس بمصطلحات عقلانية محضة؟ لذلك كان الإقناع ضروريًا والحمل علىٰ الاعتقاد أيضًا، أي التطلع إلىٰ الإيقان التام -العقلي والوجداني معًا- للمحاور أو المخاطب. عندما نسعىٰ للإقناع فإننا نخاطب العقل والفهم، أما إن كان هدفنا حمل أحد علىٰ الاعتقاد فإننا نخاطب شخصه بالكامل، ألا يؤكد باسكال من خلال فن الحمل علىٰ الاعتقاد هذا، علىٰ مسلك أساسي للمحاجة الفلسفية؟ إن فعل الإقناع هو فعل التأثير علىٰ الفهم والذكاء. ومن المعلوم أن غاية الأنشطة الفلسفية هي تحقيق إقناع القارئ أو المخاطب. لكن، لكي يكون الاستدلال حاسمًا يجب أن يخاطب الإرادة أيضًا، وأن يثير الاهتمام والإعجاب. ومنه فعليك أنت أيضًا أن تحمل علىٰ الاعتقاد وأن تحرك بطريقة حذقة فكر قارئك، دون أن تنسىٰ أبدًا شخص محاورك ككل، أي أستاذ الفلسفة ذاك، المتطلع إلىٰ العقلانية الكونية وغير المتملص من نظام القلب (المعرّف وفق المعنىٰ الباسكالي أي من حيث هو تلقائية عارفة).

تخص المحاجة الفلسفية إذن دائرة المرجح -أي الدائرة المطابقة لمعنىٰ ولقيم ليست موضوع استنتاج- وتتوقف بشكل جزئي علىٰ بلاغة الحمل علىٰ الاعتقاد. فلنتناول هذه البلاغة بالتحليل إذن، بالتركيز خصوصًا علىٰ بعض الصور البلاغية التي يمكن أن تشد انتباه أو فكر المخاطب، قبل المرور إلىٰ مبادئ المحاجة ذاتها ولمختلف أنواع الحجج.

الصور البلاغية

تعريف الصورة البيانية

بعيدًا عن كونها فنًّا للصور البيانية، تلجأ البلاغة إلىٰ هذا الأخير كأداة للحمل علىٰ الاعتقاد. ولكن ما هي الصورة البيانية؟ إنها آلية أسلوبية تثير الخطاب وتتمتع بوظيفة الحمل علىٰ الاعتقاد. وقد عرّفها فونتانييه بشكل بيّن بقوله: «إن صور الخطاب هي الخصائص، والأشكال أو المهارات المثيرة للاهتمام نسبيا، والتي لها أثر ايجابي نسبيًّا، يبتعد بواسطتها الخطاب، في تعبيره عن الأفكار أو الخواطر أو الأحاسيس، نوعًا ما عن ما كان سيكون عليه في التعبير البسيط والعادي»[1]. نميز عادةً بين صور الألفاظ، وصور المعاني أو «المجازات» (tropes)، وصور الإنشاء، وأخيرا صور الفكر (انظر الجدول ص ٦٥). فلنتناول من بين هذه الصور المختلفة، تلك المفيدة أو الضرورية لطالب الفلسفة.

---

(١) Pierre Fontanier, Les figures du discours, "Champs", Flammarion, p 64.

صور الألفاظ

وهي التي تشير إلىٰ آليات تستخدم المادة الصوتية للغة: مثال ذلك الجناس الناقص (alliteration) أي تكرار الأحرف الأولىٰ في سلسلة من الألفاظ المتقاربة، أو الجناس التام (antanaclase) أي «تكرار نفس اللفظ ولكن في معاني مختلفة، فعلية أو مفترضة»[١]. وفي هذا المقام غالبًا ما تُذكر صيغة باسكال «للقلب حججه (raisons) التي لا يعرفها العقل (raison) »[٢]، فباللعب بين العقل والحجج يجعل باسكال من الجناس التام أداة لحمل الآخر علىٰ الاعتقاد.

---

(١) Ibid., p 348.

(٢) Pascal, Pensées et opuscules, pensée 277, Hachette, p 458.

بليز باسكال، خواطر، ترجمة إدوار البستاني، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، ١٩٧٢، خاطرة ٢٧٧، (ص/ ٩٧).

صور المعاني أو المجازات

*** ماذا نقصد بالمجاز؟ هو صورة يُصرف من خلالها لفظ أو عبارة عن معناهما الحقيقي: وعندئذ يتم استعمال اللفظ أو العبارة في معنىٰ لا يعبّر عنه في العادة.**

- **المجاز المرسل** (*la métonymie*): هو صورة بلاغية تقتضي الإشارة إلىٰ تصور بلفظ يعبّر عن تصور آخر يرتبط به برابط ضروري. بذلك يمكن أن يحمل شيء ما اسم مكان منشئه. فعندما يتحدث الفيلسوف عن اللوقيين، عن الرواق أو عن الأكاديمية، فإنه يشير في بعض الأحيان إلىٰ المذاهب الناشئة في هذه الأمكنة. إنها الرابطة المعتادة التي تسمح بالإشارة إلىٰ شيء (الفلسفة) باسم شيء آخر (مكان تطبيقه).

- تعني الاستعارة المجاز التشبيهي. وتشير هذه الصورة البلاغية -نتحدث عادةً عن المقارنة الموجزة- إلىٰ شيء باسم شيء آخر تربطه به رابطة تشابه. إن قوتها الإقناعية كبيرة؛ لأنها تفترض المُرجح ويمكنها بذلك أن توجهنا أثناء التحليل. والأمثلة الفلسفية في هذا الإطار كثيرة جدًّا. من ذلك قول ديكارت في كتاب «**مقالة الطريقة**»: «كمثل رجل يسير وحده في الظلمات، عزمت علىٰ أن أسير ببطء شديد، وأن أتّخذ كثيرًا من الحيطة

في جميع الأمور. ولئن كنت لم أتقدم إلا قليلًا جدًا، لقد صنت نفسي على الأقل من السقوط»[1]، فالفيلسوف الساعي وراء الحقيقة يشبه المتجول الوحيد: نحن هنا على تخوم المقارنة والاستعارة.

يمكن أن نذكر أيضًا باسكال: «ما الإنسان إلا يراع، أوهى ما في الطبيعة ولكنه يراع مفكر»[2].

وهيغل، الذي استعان كثيرًا هو أيضًا، بعيدًا عن تجريده الفلسفي، بالبلاغة وبجماليات الاستعارة التي نراها كثيرًا في مسار أعماله وخصوصًا في مقدمة كتابه «أصول فلسفة الحق»: «التعرف على العقل وإدراك أنه وردة في صليب الحاضر [...]. إن بومة مينيرفا لا تبدأ في الطيران إلا بعد أن يرخي الليل سدوله»[3].

لا يمكن للتفكير الفلسفي أن يستغني إذن عن الاستعارة، التي يبدو أن لها وظيفة شعرية خلّاقة ومبدعة. وبذلك نرجع إلى فرضيتنا الأولى: تشير البلاغة بعيدًا عن كونها مبحثًا عقيمًا وميتًا، إلى منهج إبداع يجدر بالطالب معرفته والتعمق فيه.

يزدري بعض المفكرين الاستعارة ويرى أنها غير فلسفية. هذا الحذر يمكن أن نجده عند الكثير من الفلاسفة من أرسطو إلى جيل غاستون غرانجي، كما لو كانت الاستعارة تشكل خطرًا على التفكير. حتى إنّ نوعًا من التقليد

---

(١) Descartes, Op.cit., II partie, in Œuvres, Lettres, "La Pléiade", Gallimard, p 136.
ديكارت، مقالة الطريقة، مرجع سابق، (ص/ ٢٠).

(٢) Pascal, Op.cit., pensée 347, p 488.
بليز باسكال، مرجع سابق، خاطرة ٣٤٧، (ص/ ١١٧).

(٣) Hegel, Principes de la philosophie du droit, Gallimard, pp 44-45.
هيغل، أصول فلسفة الحق، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر. بيروت، ط ٣، ٢٠٠٧، (ص/ ٨٩-٩١).

الفلسفي يدعونا إلىٰ ذلك: «كل ما يقال علىٰ جهة الاستعارة فإنه غامض»[١]. «إننا نرىٰ فيها من جهتنا أحد أشد الأخطار علىٰ الفكر الفلسفي، وذلك من حيث إنّ الفيلسوف الذي لا يتكلم عن الأشياء مدعو باستمرار إلىٰ التعبير عن ذاته بالصور»[٢]. وبعيدًا عن التشبث بالاستعارة ألا يجدر بنا الاعتراف بالمقابل بوظائفها في النص الفلسفي؟

- **التخفيف** (litote): يشير إلىٰ طريقة في التعبير عن كثير من الأفكار بكم لفظي قليل، إنها صورة تغيّر العبارة لإبراز المعنىٰ بشكل أفضل وبقليل الكلام: علىٰ عكس الإطناب تقوم هذه الآلية «عوض التأكيد علىٰ شيء ما، بنفي ضده أو بتقزيمه نوعًا ما؛ بغرض منح قيمة ووزن أكبر للتأكيد الأول الذي تخفيه»[٣].

بالمقابل تظهر قيمة التخفيف عندما يتعلق الأمر بتركيز الحجج الفلسفية طيلة سلسلة المحاجة كلها. أليس من الفاعلية غالبًا، معرفة تخفيف الفكر لحمل المخاطب علىٰ الاعتقاد؟ ولذلك يدرج التخفيف في ما يمكن تسميته مع برلمان «تقنيات التخفيف»[٤].

يمكن للمجازات إذن، من خلال تحويل أو صرف المعنىٰ الذي تقوم به في استعمال لفظ أو قول، أن تكون وسائلًا للتعبير أو للإبداع الفلسفي. تجدر الإشارة أيضًا إلىٰ أنها تفقد في الغالب عند الاستعمال قوتها لتصبح مجرد كليشيهات، تفاهات أو عموميات. هنا تزول قوتها الدافعة للاعتقاد، ومن واجب طالب الفلسفة في هذه الحالة أن يحتاط منها بشكل مزدوج: إذ من

(١) Aristote, Organon V, Les Topiques, Vrin, § 2 139b, p 227.

أرسطو، المنطق، مرجع سابق، (ص/٦٤٩).

(٢) Gilles-Gaston Granger, Pour la connaissance philosophique, Ed., Odile Jacob, p 198.

(٣) Fontanier, Op.cit., p 133.

(٤) Perelman, Traité de l'argumentation, P.U.F, p 618.

وجهة النظر البلاغية تعتبر تفاهة العبارة أداة رعناء، أما من وجهة النظر الفلسفية فيؤثر استعمال الصورة النمطية والرأي الجاهز بشكل عكسي علىٰ استراتيجية النقاش الحقيقية. وبهذا فإن خطر المجازات هو تآكلها انتكاسها. يبقىٰ إحياء المجازات ذات الاستعمال المنتشر رغم ذلك ممكنًا دائمًا، كما هو الحال في الاستعارة التي يستعملها كانط ويحييها باعتبارها آلية فعالة وذلك من خلال إثرائها التدريجي: «لم يقدم (هيوم) أي توضيح لهذا المبحث من المعرفة، لكنه أشعل شرارة كان يمكن بواسطتها إضاءة نور لو أنها وقعت علىٰ فتيل قابل للاشتعال، وحرصنا نحن علىٰ زيادة بريقها»[1].

نأتي الآن إلىٰ صور البناء.

---

(١) Kant, Prolégomènes a toute métaphysique future, Vrin, p ١٥.

توجد ترجمة عربية لكتاب كانط هذا إلا أنها لا تتضمن التصدير الذي اقتبس منه القول. (المترجم).

صور البناء

تخص هذه الصور نحو الجملة أو تركيبها: وبذلك يقوم الإضمار بحذف الكلمات التي «من الممكن أن تكون ضرورية لاكتمال البناء»[1]. فمن خلال الاكتفاء بالحد الأدنىٰ من المدلولات يقوم المنطوق الإيجازي بالتركيز علىٰ الأهم، ويتحاشىٰ اللغو والحشو. للإيجاز إذن وظيفة بلاغية وفلسفية واضحة وقوة إقناع فعلية. رغم ذلك هناك أسلوب إيجازي معين يبالغ في الإيجاز، وهو كثير الانتشار في إجابات الطلبة ويثير انزعاج القارئ بسبب صورته المتقطعة.

* **الطباق البلاغي**، المتميز عن نقيض الأطروحة في الفلسفة، هو فكرة مضادة نقوم بنفيها بغرض إبراز الفكرة الأصلية. ويميز فونتانييه بين شكلين منها:

- الطباق البلاغي الذي يقابل بين شيئين الواحد ضد الآخر.
- والطباق الذي يقابل الشيء مع ذاته، وذلك من خلال النظر إليه من زاويتين متضادتين.

كانت العصور القديمة تستحسن الطباق كثيرًا، لذلك نجدها إلىٰ جانب الاستعارة، المرموزة.. إلخ ضمن القائمة الأساسية للصور البلاغية المستخدمة

(١) Fontanier, Op.cit., p 305.

في محاورة جورجياس، إنها تشير إلىٰ المقارنة بين الأشخاص أو الأشياء المتضادة. وسيلجأ إليها فيما بعد كل من سنيكا والقديس أوغسطين.

* **قلب العبارة**، هو صورة من صور البناء يحرص علىٰ استعمالها كثير من المفكرين والفلاسفة، وتقتضي تقاطع الألفاظ، و«وضع أطراف جمل متطابقة نحويًّا في نظام مقلوب»[١]. لقد استخدم باسكال هذه الصورة البلاغية الموحية للخيال والخصبة للفكر في آن: «إذا ترفع خفضته وإذا انخفض رفعته»[٢].

تبيّن جميع هذه الأمثلة، أن الفلسفة جعلت دائمًا من البلاغة أداة قوية. تظهر نظرية الخطاب الإقناعي ومعرفة الصور ضرورية لبناء المحاجة الفلسفية ولفهم النصوص والأعمال الكبرىٰ المقترحة للتفكير علىٰ الطالب. لقد اجتاحت البلاغة الفكر طيلة قرون وبشكل كبير. لذلك من المفيد معرفة هذه الصور من أجل التأويل الحسن للنصوص. لكن ارتباط الفلسفة بالبلاغة لا يظهر حتميًّا إلا مع صور الفكر، وبالخصوص مع المرموزة.

---

(١) B. Dupriez, Gradus. Les procédés littéraires, U.G.E., p 111.

(٢) Pascal, Op.,cit., Pensée 420, p 516.

باسكال، مرجع سابق، الخاطرة ٤٢٠، (ص/ ١٣٤).

صور الفكر

تخص هذه الصور، علىٰ عكس صور الألفاظ أو صور البناء، بنيات الفكر بالأساس. ومن أهمها المرموزة (Allégorie). يجب أنْ نميّز إن أردنا تعريف هذه الأخيرة بشكل جيد، بين الشكل (phore)، أي الكل المجسّد والمصوّر، أو المقول فعلًا، والموضوع (thème)، أي ما يجب تفكيكه، وتأويله وفهمه، أو المغزىٰ بمعنىٰ ما. فالمرموزة تشير إلىٰ سلسلة من العناصر السردية، يتطابق فيها كل عنصر مع حيثيات الموضوع أو الفكرة المعبّر عنها. لا يجب النظر هنا إلىٰ الشكل والموضوع في الإجمال -كما هو الحال مع الاستعارة- بل اعتبارهما عنصرًا بعنصر. لنأخذ مثالًا: في «مرموزة الكهف» (انظر أفلاطون الجمهورية)، يشير الشكل إلىٰ الصورة المادية (فالأشخاص هم كالمساجين، رهن الحبس في كهف منذ صغرهم، إلخ) ويمثل الموضوع المحتوىٰ الفكري (فالأشخاص ليست لهم علاقة في حياتهم العادية سوىٰ بالعالم المحسوس، الذي هو مجرد مظاهر مقارنة بالحقائق المثالية، إلخ). يمكننا «فك رموز» المرموزة جزءًا بجزء، عنصرًا بعنصر، نقطة بنقطة ومنه استخلاص تكملة مجردة هذه المرة، أو كلًا متناسقًا من الحقائق، وذلك من خلال السلسلة المصورة أو الاستعارية. إليك بعض الأمثلة عن هذا التطابق في المرموزة الأفلاطونية:

الموضوع	الشكل
الأشخاص في العالم المحسوس العالم المرئي صعود النفس إلىٰ عالم الأفكار فكرة الخير، مصدر الحكمة	مساجين رهن الحبس في كهف الكهف أو السجن الصعود نحو العالم العلوي، نحو النور الشمس

تتضمن المرموزة كما نرىٰ، عنصرًا حركيًّا وتدرجيًّا. إذ تنزع هذه المرموزة الشهيرة تدريجيًّا إلىٰ اطلاعنا علىٰ حقيقة جوهرية. والحال أن المرموزة تتميز بعلاقة معينة مع الحق. ولذلك فهي تهم الفيلسوف علىٰ الخصوص.

- **التهكم والدعابة**: إنّ أصل الكلمة الأولىٰ -المنحدر من اليونانية (eironeia) فعل الاستفهام مع افتعال الجهل- معبّر جدّا، ذلك أنه يحيلنا إلىٰ جذور التهكم ذاتها، وإلىٰ نواته الأصلية. فما الذي كان يشير إليه التهكم السقراطي؟ إنه يشير إلىٰ طريقة معينة في التساؤل بسذاجة مفتعلة ومغالطة، وطرح لأسئلة تبدو سهلة الحل، ولكنها في الواقع كثيرًا ما تكون محرجة ومولّدة للحيرة. هذا ما كان عليه التهكم السقراطي بالمعنىٰ الدقيق للكلمة، وهو يتطابق بشكل كبير جدًّا مع المنهج الفلسفي الذي من واجب طالب الفلسفة أن لا ينساه. لقد حدثنا فلاديمير يانكليفتش[1] كثيرًا عن هذا التهكم السقراطي الذي لا يجامل، يلقي بضلال الشك، ويزعزع البديهيات الخاطئة. إنّ التهكم السقراطي مرتبط بالإزعاج، فهو يدفع المرء إلىٰ الإيقان بجهله وكذا بضرورة فهم الذات ومعرفتها: التهكم أو المنهج الروحي الحقيقي.

(١) Vladimir Jankélévitch, L'ironie ou la bonne conscience, P.U.F

نلمس مع سقراط حركة الوعي التهكمي الخالصة، التي تسمح للفكر بالتحرر والانعتاق من كل قيد. ما الذي يشير إليه التهكم في معناه البلاغي البحت -باعتباره صورة-. هو طريقة معينة في التعبير عن نقيض ما نفكر فيه باستعمال بعض المزاح، بمعنىٰ التفكير في شيء والتعبير عن شيء آخر. غير أن هذه الصورة البلاغية متطابقة في ماهيتها مع المعنىٰ اليوناني للمصطلح، أي الاستفهام. يقود إجراء التهكم في المحاجة الفلسفية، القارئ إلىٰ الاستفهام حول معنىٰ القول. فالتهكم حتىٰ البلاغي هو نداء للاستماع والفهم.

إن التهكم هو إذن ثقافة الفكر وأحد أشكال التعبير المفضلة لدىٰ الفيلسوف والمفكر. وقد احتفىٰ به كيركغارد، وبرودون وكثير غيرهما؛ لأنه يتطابق مع الفعل الذي يزدوج به الفكر ويتحرر: إنه مقولة وجودية وليس فقط طريقة كلام أو صورة من صور البلاغة. وإذا كان التهكم هو ثقافة الفكر، فإنه إذن محايث فيما يبدو لكل استراتيجية ولكل محاجة فلسفية. أليس هو «استحمام الفتوة» الذي لطالما تحدث عنه كيركغارد؟

تنتمي الدعابة هي أيضًا إلىٰ الفكر. وتختلف عن التهكم من حيث إنّ الشخص الفكه يُفهم دائمًا في موضوع دعابته. تطبق هذه الصورة ضد الأفكار والمشاعر الكبرىٰ من خلال إدراج الذات في كل ما هو مطروح. من جهتها تستهوي الدعابة المخاطب. فهو يحمل في ذاته طيبة فعالة وماكرة: إنه آلية أدبية، بلاغية وفلسفية جيدة.

* **وأخيرا**، التشخيص (prosopopée) الذي لا يجب علىٰ أي طالب أن يجهله، والأمثلة الفلسفية عليه كثيرة جدًا. إنه يشير إلىٰ تلك الصورة التي نعرض ونُنطق فيها ميتًا، كائنًا فوق طبيعي أو واقعًا جامدًا، إلخ. يبرز الشخص الغائب أو الميّت عندئذ في الحاضر، وتتجسد الفكرة وتكتسي صورة مادية.

من ذلك تخيل سقراط في «محاورة أقريطون» أن القوانين التي أصبحت مشخصة تقف أمامه وتبادره الكلام، مُذكّرة إيّاه بكل ما هو مدين

لها، وبكل ما قدمته له. إنه «تشخيص القوانين» الشهير. بنفس الطريقة يستجوب روسو في كتابه «**خطاب في العلوم والفنون**» فابريسيوس -وهو سياسي روماني مشهور بعفته ونزاهته- ويجعله يقول: «أيتها الآلهة العظيمة! هل تساءلت، ما الذي حل بأسقف القش وبمنازل الحجارة التي كان يسكنها قديمًا الاعتدال والفضيلة»[١].

يستدعي التشخيص من خلال جعل الغائب حاضرًا، ما وراء الواقعي ويندرج ضمن استراتيجية الحمل علىٰ الاعتقاد.

يلعب التحكم في الصور البلاغية دورًا أساسيًا: هو السماح للمخاطب بالتعرف علىٰ سعادة النص، وجلب شيء من المتعة للقارئ مرتبطة بالفهم، بانسجام الجمل، وبالأثر الذي تتركه فينا. بذلك تمر الرسالة بشكل أفضل، من خلال متعة الخطاب إن كان الطالب يحوز للتعبير عن فكره، علىٰ سجل بلاغي معتبر. لكن قوة الصور لا يمكنها أن تحمل علىٰ الاعتقاد فعلًا، إلا إذا صاحبتها معرفة بالمبادئ المنطقية المستخدمة في حقل المحاجة.

---

(١) Jean-Jacques Rousseau, Discours sur les sciences et les arts, in Du contrat social, "Classique" Garnier, p 10.

المبادئ المنطقية وقواعد البلاغة الفلسفية والحجاج

* مبدأ عدم استعمال الجمل الاعتراضية:

غالبا ما ننسىٰ أن الجملة الاعتراضية -المشتقة من الجذر اليوناني (paraphrasis) أي «جملة جانبية»- لا تُشير فقط إلىٰ إنشاء مطول ومبسوط، بل أيضًا إلىٰ صورة أسلوبية يعرّفها بيير فونتانييه في كتابه «**صور الخطاب**»، الذي يعتبر كتابًا مهمًّا في البلاغة الكلاسيكية، كالتالي: «الجملة الاعتراضية المقصودة هنا هي نوع من التضخيم الخطابي نقوم من خلاله بتطوير وتجميع أفكارٍ إضافية كثيرة في جملة واحدة، مستقاة من المصدر نفسه، أي من الفكرة الرئيسة نفسها»[١]. تستخدم هذه الصور في كل مكان بكثرة، في الشعر وفي الأدب، إلّا أن المحاجة الفلسفية الحقيقية يجب أن تخضع في العموم إلىٰ مبدأ إعادة الصياغة، وأن تتحاشىٰ الثرثرة: في مجال الفلسفة تسعىٰ الجملة الاعتراضية إلىٰ تعويض عجز التفكير وذلك من خلال تجميع منطوقات لا تعزز المعلومة ولا تثري النقاش. تشكل الجملة الاعتراضية إذن نقيصة منهجية وبلاغية، نستبدل بواسطتها منطوقا بمنطوق آخر دون إحراز أي تقدم. ومنه فالمخاطب يراوح مكانه: يقابل المحاجة الديناميكية، الجملة الاعتراضية السلبية والعقيمة.

---

(١) Fontanier, Op.Cit., p 396.

إذا كان تطبيق مبدأ عدم اللجوء إلىٰ الجمل الاعتراضية هذا، ضروري في حدود الممكن في جميع الأنشطة الفلسفية، فإنّ تطبيقه ضروري مطلقًا في تحليل النص (انظر ص ١٧٤). ذلك أن الطالب لا يحلل أي شيء من خلال دورانه حول منطوق النص.

مبدأ اللاتوتولوجيا

وهو قريب من المبدأ الأول، إلا أنه لا يجب الخلط بينهما. فالتوتولوجيا أو تحصيل الحاصل يشير إلىٰ مغالطة منطقية نعرض من خلالها قضية يفترض أنها تقول شيئًا، لكن محمولها لا يضيف أي شيء لمعنىٰ الموضوع (بالطبع نحن لا نتناول هنا المعنىٰ السائد في المنطق الحديث). في الواقع إذا ما رجعنا إلىٰ أصل الكلمة، نجد أن المصطلح اليوناني (tautologia) يعني خطابًا (logos) يكرر الشيء نفسه (tauto).

لقد أشار كانط في كتابه «**المنطق**»، إلىٰ الطابع العقيم للقضايا التوتولوجية. في الواقع نعرف القضايا التحليلية بكونها تلك التي يستند يقينها علىٰ تماهي التصورات (المحمول هو نفسه الموضوع). «يمكن أن تكون هوية التصورات في الأحكام التحليلية إما صريحة [...] وإما ضمنية [...]. في الحالة الأولىٰ تكون الأحكام التحليلية توتولوجية [...]. إن الأحكام التوتولوجية هي ممكنات فارغة أو بلا أثر؛ لأنها بلا فائدة وبلا استعمال. مثال ذلك القضية التوتولوجية التالية: الإنسان هو الإنسان. فإن لم يكن في مقدوري قول شيء آخر عن الإنسان سوىٰ أنه إنسان، فإنني لا أعرف شيئا آخر عنه»[1].

---

(١) Kant, Logique, Op.Cit., p 122.

في مجال المحاجة الفلسفية لا يقدم العرض التوتولوجي، تمامًا مثل الجملة الاعتراضية، أي شيء جديد للمخاطب، فيبقىٰ هذا الأخير مراوحًا لمكانه، ضجرًا.

مبدأ اللاتعارض

يُقال عن منطوقين بأنهما متعارضان عندما يقصي كل منهما الآخر ويستحيل التوفيق بينهما. ولذلك يجب علىٰ مبدأ اللاتعارض أن يوجه مسار المحاجة، علىٰ الأقل داخل مخطط واحد وداخل قسم حجاجي واحد. فإذا كانت القضايا تقصي بعضها البعض، فذلك يعني أن الصرامة المنطقية مقوَّضة. يجب أن يتم الفحص الدقيق لعدم إقصاء المنطوقات لبعضها البعض في داخل هذه الأطروحة أو تلك. يبدو واضحًا أن هذا المبدأ من حيث ماهيته، غير قابل للتطبيق عند الانتقال من الأطروحة إلىٰ نقيضها.

لكن ألا يؤدي الحرص علىٰ التوافق المنطقي إلىٰ إقصاء النهج الجدلي؟ أبدًا. عندما نقول: إن الإنسان يشارك بالماهية في مبدأ الحياة وكذا في مبدأ الموت في آن، فنحن هنا أمام تناقض جدلي وليس أبدًا أمام تعارض منطقي.

ففي وجود قضايا تقصي بعضها البعض ومن طبيعة غير جدلية، ولكنَّها مثيرة للإحراج فعلًا، يجب التضحية بأحد المنطوقين أو محاولة رفع الصراع الداخلي من أجل تحقيق تقدم في النقاش والحجاج الفلسفيين.

مبدأ تحديد وضبط المصطلحات

يُعتبر مبدأ تحديد العبارات وضبطها أساس كل طريقة فلسفية وكل حجاج مُتَّسق، يسمح بحمل المخاطب علىٰ الاعتقاد وإقناعه: إنه يشكّل مطلبًا رئيسًا للتفكير والتعبير. ويُلزمنا هذا المبدأ بملاحظة العناصر المختلفة من الخطاب، والإحاطة بها بدقة وتعريفها. تحيل البلاغة هنا إلىٰ طريقة فلسفية هي من الأهمية بحيث إننا لن نتوقف الآن عند مشكلة التعريفات، الضرورية لقراءة السؤال. (انظر الفصول التاسع، والرابع عشر، والخامس عشر، الصفحات ١٠٣، ١٧٦، ١٨٦).

قاعدة التبادلية

تظهر قاعدة التبادلية، التي تهدف إلىٰ تطبيق نظرة واحدة علىٰ وضعيتين إحداهما نظيرة للأخرىٰ -حتىٰ وإن كانت قائمة فيما يبدو علىٰ ماهية الواقع ومؤدية بذلك إلىٰ توجيه الاستدلال- ذات استعمال دقيق، مثلما سيؤكد لنا ذلك هذا المثال الشهير. في كتاب «**في الطبيعة**»، يستعمل لوكريتيوس قاعدة التبادلية ليقنعنا ويدفعنا إلىٰ الاعتقاد بفناء أنفسنا وبالعدم الذي ينتظرنا بعد الموت، وفي الوقت نفسه بالسكينة الأخيرة التي ستكون مصيرنا. «ألقِ نظرةً الآن إلىٰ الخلف لِترَ كيف كانت لنا هذه الفترة القديمة من الخلود التي سبقت ولادتنا. هذه هي إذن المرآة التي تعكس لنا فيها الطبيعة ما يخفيه لنا المستقبل بعد الموت. هل تتراءىٰ لنا فيه صورة مفزعة، أو موضوع لحداد؟ أليست حالة أكثر سكينة من أي سُبات»[١]. تسمح حجة التبادلية هنا، بتمثيل الفترة المستقبلية التي نكون فيها أمواتًا بالفترة السابقة علىٰ ولادتنا، التي لم نكن فيها بعدُ شيئًا. ومنه الدرس الأخلاقي المتداول لدىٰ المدرسة الأبيقورية. ولكن هل تحديد الوضعيات صالح، ثم ألسنا نهمل هنا اختلافات جوهرية؟ هل يقوم مبدأ المحاجة باستعمال شرعي ومقبول للتناظر؟ هذا ما يطرح إشكالًا.

بذلك يمكن تجميع مبادئ وقواعد منطقية (مبدأ اللاتوتولوجيا . . . إلخ) أو شبه منطقية (مبدأ التبادلية . . . إلخ) التي توجه مسار المحاجة. لنتناول الآن مختلف أشكال الحجج.

---

(١) Lucrece, De la nature, Livre III, Budé-Belles lettres, p 150.

مختلف أنواع الحجج

من المتعذر القيام بإحصاء كامل هنا. لذلك نحيل إما إلىٰ كتاب «**مقالة في المحاجة**» لبرلمان أو كتاب «**إمبراطورية البلاغة**» للمؤلف ذاته. سنذكر هنا، بالاعتماد علىٰ برلمان، بعض الحجج الأساسية التي تفيد الأنشطة الفلسفية.

حجج التعاقب أو التعايش

تستدعي هذه الحجج روابط التعاقب (السبب بالنتيجة . . .) أو التعايش (علاقة الشخص بأفعاله . . .). تلعب الرابطة السببية داخل روابط التعاقب دورًا أساسيًّا. في هذه الحالة سيتجه مسار المحاجة إلىٰ البحث عن الأسباب أو تحديد النتائج. وتتموضع الحدود المتقابلة هنا في نفس المستوىٰ الظاهراتي. في مقابل ذلك تكون الوقائع في روابط التعايش، في مستوىٰ غير متساوٍ، وتظهر كل واحدة أساسية ومفسِّرة أكثر من الأخرىٰ. يظهر هذا النوع من الروابط كثيرًا في الفلسفة. لنذكر علاقة الشخص بالظواهر الموافقة وعلاقة الماهية بتمظهراتها، وكذا، من بين الأمثلة الكثيرة، العلاقة القائمة بين الحقيقة الخالصة للجميل والاستحقاق الفعلي في محاورة المأدبة لأفلاطون، كما تخبرنا بذلك ديوتيما فيما يخص الكشف النهائي عن الجميل[١].

---

(١) Platon,Op.cit., p71.

أفلاطون، سيمبوزيوم (المأدبة)، ضمن: أفلاطون، الأعمال الكاملة، مرجع سابق (٤/ ١٧٥، ١٧٦).

المحاجة بالمثال أو بمشتقاته

- **المثال:** نمر هنا إلىٰ نوع من المحاجة يتم فيها اللجوء إلىٰ الحالات الخاصة والفردية. ما هو دور هذا النوع في الفلسفة؟ لا يجب الالتباس هنا: يمكن للمثال أن يسمح فقط بتدعيم استدلال معين. إنه لا يعتبر دليلًا بأي حال. يؤدي عدم تحديد الحجة بما هي كذلك، واللجوء إلىٰ الحدث الإمبريقي الخاص إلىٰ ارتكاب خطأ بلاغي كبير: إذ لا تتمثل وظيفة المثال في أي نقاش فلسفي إلا في إيضاح القاعدة التي تمت البرهنة عليها مسبقًا، أو في ضبط تصور ما. ولذلك يؤكد كانط في كتابه «**أسس ميتافيزيقا الأخلاق**» أن اللجوء إلىٰ وقائع جزئية لا يمكن أن يشكّل نقطة انطلاق. فالمثال يجعل الأمر الذي تم تقريره مسبقًا بصورة قبلية، يقع تحت الحدس. يجب دائمًا تقييم المثال في علاقته بالقانون.

سنعود فيما بعد لمشكلة المثال من خلال دراسة طريقة المناقشة في المقالة الفلسفية.

- **حجة القوة.** ماذا يمكن القول عن حجة القوة؟ إنّ هذا النوع من الاستدلال البلاغي -الذي لا يستند إلىٰ استدلال منطقي وإنما علىٰ القوة التي تتمتع بها بعض المنطوقات في فرض ذاتها علىٰ الآخرين- مرفوض في الأعم. لقد انتقده ديكارت واستعاض

عنه بالبداهة، ورفضه باسكال[1]، واستبعده الفلاسفة العقلانيون إلخ. فاللجوء إليه يمكن أن يكون محل اعتراض دائمًا.

(١) Pascal, Op.Cit., Pensée 333, p 484.

باسكال، مرجع سابق، خاطرة ٣٣٣، (ص/ ١١٤).

الحجج من النوع الاستنتاجي

لكي يكون طرحنا منطقيًّا علينا عرض أنواع المحاجة القريبة من الاستنتاج، إلىٰ جانب الحجج السابقة القائمة علىٰ بنية الواقع، وكذا تلك التي تنتمي إلىٰ استقراء التمثيل: لدينا من جهة القياس، بمعنىٰ كل استدلال استنتاجي دقيق لا يفترض أية قضية غريبة مزعومة، ومن جهة أخرىٰ التقابل (مثال: أنا أفكر إذن أنا موجود)، الذي هو الصورة المختصرة من القياس، والذي نفترض فيه إحدىٰ المقدمتين أو النتيجة. وسواء تعلق الأمر بالقياس أو بالتقابل، فنحن أمام مسار من النوع الاستنتاجي -أو قريب من الاستنتاج-، لكننا لسنا أمام استنتاج فعلي.

خلاصة
حول البلاغة والفلسفة

هل البلاغة أداة حقيقة أم أداة وهم؟ سيقودنا حكم إبكتيتوس الآتي إلىٰ النظر إليها كتنميق مغالط: «ما الذي يفعله فن قول وتنميق الكلام هذا، إن كان بالفعل فنًّا خاصًّا، عندما نتناول الحديث عن بعض المواضيع سوىٰ تزيين وتنسيق لغتنا مثلما يفعل الحلاق مع الشعر»[1]. رغم ذلك يشير إبكتيتوس صفحات قبل هذا التقرير إلىٰ أن بعض الخطابات تكون سهلة الاستماع عندما تكون الألفاظ مجارية للموضوع. ربما كانت البلاغة الحقيقية في النهاية هي الاستعمال الحسن لملكة التعبير. وفي هذه الحالة ألا يمكننا اعتبارها كمنهج من مناهج الفلسفة؟

(١) Epictète, Entretiens II, in Les Stoïciens, "La Pléiade", Gallimard, p 950.

جدول خاص بالصور البلاغية الرئيسة
التي يمكن أن تكون مفيدة جدًّا في الفلسفة

صور الألفاظ	الجناس الناقص	الجناس التام	استعمال معين لأصل الألفاظ	
(تخص هذه الصور المادة الصوتية للغة). الوظيفة: جلب الانتباه.	تكرار للصوت ذاته.	تكرار للفظ ذاته في معانٍ مختلفة (مثال: للقلب حججه التي لا يعرفها العقل).		
صور الحس أو المجازات	**المجاز المرسل**	**الاستعارة**	**التشبيه البليغ**	**التخفيف**
(هذه الصور مستقلة عن الأدوات الصوتية). الوظيفة: إثارة توتر تعبيري.	مجاز يسمح بالإشارة إلىٰ شيء باستعمال اسم عنصر آخر بالنظر إلىٰ علاقة واضحة.	مجاز نشير فيه إلىٰ شيء بشيء آخر بالنظر إلىٰ تشابه بين المدلولات.	صورة نبرز بها فكرة بواسطة وصف يتجاوزها.	صورة تقتضي تخفيف التعبير عن الفكر من أجل تحقيق فهم أكبر بكلام أقل.
	يلعب المجاز المرسل دورًا في توليد الرمز، الذي يعبر بشكل مجسد عن الفكرة التي يمثلها.	نقد الاستعارة.		
صور البناء	**الطباق البلاغي**	**الاكتفاء**	**قلب العبارة**	
(تخص بناء الخطاب وتغير النظام العادي للألفاظ).	«يقابل بين شيئين الواحد ضد الآخر. أو يقابل الشيء مع ذاته، من خلال النظر إليه من زاويتين متضادتين». (فونتانييه).	«يقتضي الاكتفاء، الانقطاع والتوقف عن التعبير كي نوصل بالكلام القليل الذي قلناه [...] ما نتكلف نفيه، بل وأكثر من ذلك في الغالب». (فونتانييه).	صورة تقتضي الوضع في نظام مقلوب طرفي جملتين متطابقتين نحويًا، مثال: «إذا ترفع خفضته وإذا انخفض رفعته». (باسكال).	

الوظيفة: إثارة الخطاب، تضخيم مواضيع معينة، إبراز عناصر تفكير معينة.	ملحوظة: يجب تمييزه عن أطروحة النقيض الفلسفية.	آلية قابلة للاستعمال في الفلسفة أحيانًا في الكتابة والشفاهة.		
صور الفكر	**المرموزة**	**التهكم**	**الدعابة**	**التشخيص**
(تتوقف علىٰ أفكار وتسعىٰ لإقرار حقائق).	سلسلة من العناصر الوصفية أو السردية يتطابق كل منها مع جزئيات الفكرة المعبر عنها.	«تقتضي قول عكس ما نفكر فيه أو ما نريد أن نفكر فيه سخرية إما طريفة وإما جدية». (فونتانييه).	صورة نستخرج بها المظاهر الطريفة أو الغريبة للواقع، من إدراك الذات فيما تفكه فيه.	صورة نجعل بها شخصا نذكره يتكلم، شخص غائب، شخص ميت، فكرة ما، إلخ.

يمكن للأسطورة عند اللزوم الدخول في صور الفكر لأنها تقتضي التعبير عن فكرة أو نظرية بالاستعانة بسرد شعري أو بكل سردي يخضع لمبادئ تنظيم معينة.

* الوظائف العامة لمختلف الصور:

* **الوظيفة الإقناعية**: تعتبر مختلف الصور عناصر حاملة علىٰ الاعتقاد. لكن لماذا الحمل علىٰ الاعتقاد والتطلع إلىٰ الاستدراج. [انظر: «المتعة ...»].

* **الوظيفة النفعية**: تستثير هذه الصور المتعة.

* **الوظيفة التراجعية**: «[يمكن أن] نرىٰ في الصورة رجوعًا إلىٰ الطفولة [...]. تكمن قوة الصور إذن في إعادة لغة مفقودة»[1].

(1) O. Reboul, La Rhétorique, Op.Cit., pp 62-63.

بعض القواعد الأساسية لعرض وتحرير الأنشطة الفلسفية

* قاعدة الوضوح:

إن الأنشطة الفلسفية، بعيدًا عن كونها روايات بوليسية تهدف إلىٰ إبقاء القارئ معلقًا، هي عروض تصف الأهداف المسطرة والطريق المسطر لبلوغ تلك الأهداف. في كل جزء أساسي من الخطاب يجب التقرير منذ البداية ماذا تريد تبيانه واحتمالا طريقة عرضك. وللسبب نفسه يجب إظهار بنية محاجتك بشكل بيّن.

* قاعدة التدرج في التفكير:

كل قسم، وكل حجة وكل عنصر من المحاجة يجب أن يقدم معلومة جديدة تجعل الفكر يتقدم نحو الغاية النهائية.

* التنظيم العام:

علىٰ كل الأنشطة أن تتضمن علىٰ الأقل الأقسام الثلاثة الأساسية الآتية:

- **المقدمة**. هذه الأخيرة يجب أن:

تحدّد مضمون السؤال بدقة؛ تكشف عن المشكلة الضمنية التي يطرحها الموضوع.

- **القسم الرئيس أو «جسم» النشاط**. هذا الأخير يمثله في المقالة النقاش، الذي عليه أن يقود إلىٰ شرح المشكلة والإجابة عن السؤال. أما في تحليل النص فيتمثل هذا القسم الرئيس في عمل تحليل لأفكار المؤلف، وهو عمل يليه -إن اقتضت الحاجة- إبراز لقيمة النص، للمشكلة المطروحة وللنتائج المتوقعة من التحليل إلخ.

في كلتا الحالتين يجب الاعتماد علىٰ خطة دقيقة توجّه سير الحجج. فيما يخص المقالة سنفحص في الفصل الثامن (الصفحة وما يليها) أربع طرق ممكنة، مناسبة بشكل خاص لأنواع المواضيع المطروحة في العادة. أما في تحليل النص فنقوم بشرح فكر المؤلف بالاحتكام إلىٰ البنية الداخلية للنص ذاته.

* **الخلاصة**، وتشير بشكل واضح إلىٰ الطريقة المتبعة لتحديد المشكلة دون تفتيتها أو إلغائها.

* **يجب في الأخير**، تفادي الإسهاب المفرط واحترام قاعدة (meden agan) اليونانية في جميع الأشياء، «لا شيء زائد» قاعدة «الوسط المعتدل»، التي تقود إلىٰ منع تام للمقالات المتضمنة ثلاثين صفحة أو أكثر . . . يجدر هنا التذكير بتحذير محاورة فايدورس: «إنني أتذكر بروديكوس [. . .] قال هو إنه اكتشف القاعدة الحقيقية للقانون، وهي أن الخطاب يجب أن لا يكون طويلًا ولا قصيرًا، بل ذا حد مناسب»[1].

(١) Platon, Phèdre, 267b, Op.Cit., p 74.

أفلاطون، فيدورس، مرجع سابق، (ص/ ٨٤).



(٥) حسن القراءة
قراءة نص فلسفي يعتبر فعلًا

علىٰ الطلبة المُطالعة والتعامل مع النصوص طيلة السنة الدراسية. لكن كيف نقرأ لنستفيد قدر الإمكان من هذه المطالعات؟ إن القراءة في الحقيقة هي فن (انظر الجدول ص ٧١) سنتناوله هنا باختصار. يتعلق الأمر هنا أيضًا بالاحتكام إلىٰ منهج. أولًا تقتضي القراءة الفلسفية الفعلية التمرن علىٰ التفكير. فقراءة نص فلسفي لا تشير فقط إلىٰ مجرد اطلاع علىٰ مادة أو مضمون نظرية أو مذهب، بل هي أكثر من ذلك، جملة أفعال نتقرّب بواسطتها من النصوص ونعمّق بالنتيجة نشاط التفكير. إن قراءة نص فلسفي هي القيام «بإضفاء معنىٰ»، حركي وخاص. لكن كيف نقوم بذلك ووَفق أي منهج؟

القراءة/التمرس

تشير القراءة إذن إلىٰ مسار وممارسة: فإلىٰ جانب «القراءة اللاهية» أو «القراءة التثقيفية»، الموجهتين للتخيل، للإفلات من الواقع أو للتثقيف، هناك في الواقع «القراءة/التمرس»، التي هي فكرية، عقلانية وخاصة جدًّا، والتي يُحضّر الطالب نفسه من خلالها مباشرة للمسابقات والامتحانات. هذه القراءة ديناميكية وليست أبدًا سلبية، فهي تسعىٰ إلىٰ إحراز تقدم سريع والإحاطة بالأفكار الأساسية للنص. كما أنها غير منفصلة عن الكتابة: والحال أن العمل والقراءة يجب أن يتمَّا والقلم في يد الطالب المنتبه، أي الذي يركز جيدًا وباستمرار علىٰ نص محدد وعلىٰ موضوع التفكير المرتبط به. تفترض «القراءة/النشاط» في الأخير القراءة السريعة والتصفح.

* الكتابة وتدوين الملاحظات. تحضير البطاقيات:

هذه العملية أساسية جدًّا. إن قراءة كتاب كانط «**أسس ميتافيزيقا الأخلاق**» دون أخذ نقاط، يعني عدم القيام بأي جهد حقيقي من أجل الفهم. رغم ذلك لا يجب الخلط بين عملية أخذ النقاط هذه وبين إعادة النسخ الميكانيكية. إنها تفترض كي تكون أصيلة وخصبة:

* التعبير بألفاظنا الخاصة عن المفاهيم والفقرات الأساسية، بطريقة نفلت بواسطتها من النقل الميكانيكي وإعادة النسخ السلبي والعقيم. تظهر إعادة

الصياغة الخاصة هذه (التي تتم أحيانًا بعد القراءة، ودائمًا بتعبيرنا الخاص)، مفيدة وخصبة لعملنا.

* القيام بضبط ترتيب ونظام واضح لحركة فكر المؤلف.

* **تحرير بطاقيات**: إنّ فن القراءة الجيدة لا ينفصل في الواقع عن وضع البطاقيات. يجب صياغة هذه الأخيرة بالنظر إلىٰ الموضوع، وإلىٰ المفاهيم أو إلىٰ المؤَلّف أو المؤلّف، مع الإشارة إلىٰ الأقوال أو التعريفات الموافقة، التي تقتبس أثناء القراءات (وهي طريقة أفضل بكثير من مجرد أخذ نقاط بلا منهج وبلا سند منظم). يجب الحرص عند إنجاز هذه البطاقيات علىٰ ذكر مراجع كل ما هو مهم. فإن أردنا لاحقًا إعادة موضعة تلك النقاط في السياق، سواء لأننا بإزاء عنصر مريب (إشارة غير دقيقة)، أو لأن معنىٰ العرض يفلت منا، فإننا سنجد مصدر وموضع النص بكل سهولة.

بطاقية القراءة
(خاصة بكتاب)

* خصائص الكتاب:

العنوان:	الجنون
المؤلف:	جاكار رولان
الناشر:	مطابع فرنسا الجامعية. مجموعة «ماذا أعرف؟»
أخرىٰ:	سنة النشر، الطبعة، المترجم، إلخ.

* التحليل العام:

النوع:	دراسة
الموضوع الرئيس:	الجنون

* الأفكار الأساسية:

- طابع تجربة الجنون المتعدد الصور
- أعراض الجنون كثيرة المعاني
- إلخ.

* **فهم العمل:**

- مقصد الكاتب (ما الذي يريد بيانه): كل جماعة تحتاج إلىٰ مجانين لتدرج فيهم سلبيتها.

هذا الكل من العمليات يفترض هو ذاته تطبيق القراءة السريعة والاطلاع.

القراءة السريعة والقراءة العرضية

* القراءة العرضية:

لا يتطلب عدد كبير من الكتب القراءة بشكل كامل. لذلك تمثل «القراءة العرضية» منهجًا وأداة عمل علىٰ طالب المدارس التحضيرية أو الليسانس إتقانها وتطبيقها بطريقة نسقية. كيف يتم ذلك بالضبط؟ يقصد بالقراءة العرضية القراءة السريعة، والاطلاع عبر التركيز علىٰ العناصر التعليمية المهمة. إذا غرق الطالب في قراءاته فإنه سيجد نفسه أمام كم توثيقي هائل. عندئذ سيكون وضعه مثل العصامي في رواية الغثيان مجبرًا علىٰ الاطلاع علىٰ حقل المعرفة الإنسانية بأكمله. عليه إن أراد النجاح والتوصل إلىٰ تحكم دقيق في معلوماته ومعارفه، أن يقوم بعملية انتقاء، وأن يقرأ لهذا الغرض بشكل عرضي. ليست الفكرة القائلة بأنه يجب التركيز علىٰ كل شيء صحيحة حتىٰ عندما يتعلق الأمر بالمؤلفات الأساسية الكبرىٰ. إنّ الطالب الذكي الذي يقوم بتحضير مرتب وفعال، هو ذلك الذي يتحكم في كثرة المعلومات والمضامين الثقافية ولا يستسلم لها. إن تكوين الذات يقوم علىٰ معرفة إقصاء الغث والالتزام فقط بما هو ضروري ومهم. فكما أنّ ملكة النسيان حامية للحياة مثلما يقر نيتشه، كذلك تحافظ القراءة العرضية علىٰ التفكير والثقافة الحقة. فهي تنتقي، وترفض الغرق في توافه الأشياء وتركز مباشرة علىٰ المواضيع الأساسية التي توجّه العمل من جهة، وتمنح للطالب أُطر بحث أو تفكير مهمة.

* **المنهج المفضل للقراءة العرضية:**

كيف نقرأ عرضيًّا بأكبر قدر من الفعالية والضمان، دون إساءة فهم الكتاب أو الفصول المقروءة؟

- في الكتب التي تتضمنها قائمة مراجعك، عليك بقراءة المقدمة أو المدخل مباشرة. فكثيرًا ما يطرح فيها المؤلف أفكاره الأساسية بشكل ملخص. عليك إدراك معنىٰ المخطط التنظيمي الذي يحكم العرض اللاحق للكتاب. من جهة أخرىٰ يطرح بعض المؤلفين خطط عملهم مع ملخصات مختصرة لكل فصل. تعتبر طريقة العرض هذه المتداولة جدًّا، مناسبة جدًّا لحاجاتك. عليك بتتبع الخيوط الرئيسة والأفكار الكلية.

- عليك بفحص فهرس الموضوعات، وهي عملية تمثل منهج عمل فعَّال جدًّا: فإذا كان هذا الفهرس مُنجزًا بشكل حسن، فعليك إدراك بنية الكتاب ونظامه. يوجهك الفهرس ويبيّن لك الطريق الواجب اتباعه، والفصول المنطوية علىٰ مفاتيح الكتاب. إنّ فهرس الموضوعات هو إذن ماهية الكتاب، وهو الذي يعكس الهيكل الديناميكي، ويشير بالتالي إلىٰ أداة قيّمة للقراءة العرضية.

- لا يجب إهمال فهرس المصطلحات والمفاهيم الواردة فيه: إذ يمكن لهذه المصطلحات والمفاهيم الأساسية أن تلعب دورًا محوريًّا وأن توجّه فهمك.

- بعد التزود بأدوات القراءة الديناميكية عليك التوجه مباشرة إلىٰ الفصول أو الأقسام أو الفقرات التي تهمك وتعنيك. عليك التحلي بالتركيز بشكل يجعل الأسطر المهمة تنطبع في ذهنك. من أجل تسهيل عملية التشبع الروحي والترسيخ، عليك القيام

بتعزيز البعد الديناميكي لعملك وذلك من خلال الكتابة. إذا استدعىٰ فصل أو فقرة ما اهتمامك، عليك بأخذ نقاط بطريقة دقيقة جدًّا. عليك إذا اقتضت الحاجة، وضع صور للصفحات التي تبدو لك مهمة. وأخيرا عليك الإشارة إلىٰ العناصر الأساسية في النص بقلم الرصاص. إذا حظي الكتاب باهتمامك فإنه سيتحول إلىٰ وسيلة عمل مناسبة، وستكون سعيدًا بإيجاد تلك الإشارات عند إعادة القراءة.

- في الأخير، من أجل القيام بقراءة سريعة مثمرة، من الأفضل اللجوء إلىٰ العمل بـ «الكلمات المفتاحية»، وتفضيل قراءة مسائلة واستباق لما سيلي. إذا كانت هذه العملية الثلاثية مسهلة للقراءة السريعة، فيمكن للقراءة الغائصة والمتعمقة أن تستفيد منها هي أيضًا. إن التحكم في القراءة السريعة، وامتلاك فن تطبيق القراءة الديناميكية، والقيام بقراءة سريعة من خلال الاتجاه مباشرة نحو العناصر المفتاحية وإلىٰ العناوين الرئيسة، والقدرة علىٰ قراءة فصل من البداية إلىٰ النهاية بهدف الإحاطة بما هو مهم، ومعرفة الانتقال السريع علىٰ الفصول الثانوية، كل هذا لا يعني أبدًا سلوك مسلك ذوي العقول البسيطة. إنّ ذلك ينم بالأحرىٰ عن فَهْم (سريع وفعال) للإسهام الجوهري للكتاب. يمكن بالطبع استكمال هذه القراءة السريعة بتعمق لاحق في الكتاب.

التمرن على تركيب النصوص

في كثير من الأقسام التحضيرية (مثل الدخول إلىٰ المدارس العلمية الكبرىٰ . . .) يندرج تركيب النص في البرنامج. ويمكنه أن يشكل أداة إضافية للتعمق ويسمح بالتطبيق الحسن للملكات التفكيرية. يظهر تلخيص النصوص المكّون للفكر، بشكل عام مفيدًا لجميع الطلبة. وهو يقتضي تناول نص فلسفي أساسي وتحديد موضوعه، فكرته الأساسية، المشكلة والقيام في الوقت نفسه بتحليل وبإعادة بناء تركيبية للنص المقتطف: يجب تقسيمه وإخضاعه لعمل تحليلي، ولكن أيضًا إلىٰ إعادة بنائه وتوحيده لبلوغ الفكرة الرئيسة. عند مصادفة نصوص تبدو لك أساسية أثناء القراءة، عليك بإعداد تقرير شامل ومختصر للنص المقتطف، وذلك بتحديد الفكرة الأساسية. إنّ هذا العمل سيعود عليك بالفائدة من جوانب ثلاثة: فهو مكّون للملكات التفكيرية أولًا، وهو يسمح لك ثانيًا بإعداد ملف يتضمن عناصر التوثيق الأساسية، ويهيئك ثالثًا إلىٰ عمل المقالة وتحليل النص. وعليه يعتبر تركيب النصوص إذن عنصرًا مكوّنًا كثيرًا ويهيئ التحضير للتحليل مباشرة.

يتعلق الأمر إجمالًا بإبراز الشيء المهم في نص مقتطف، من خلال اختزاله في عدد من الألفاظ المخصوصة والدالة. إن الالتزام بهذا المطلب المزدوج هو مفتاح النجاح أثناء إنجاز الأنشطة الفلسفية.

مشكلات الذاكرة

إذا كانت القراءة الفلسفية تتميز عن مجرد الامتلاك الميكانيكي لمعارف ومضامين مختلفة، وإذا كانت تشير إلىٰ فن التفكير والتمرّن علىٰ الاحتكاك بالنصوص الكبرىٰ، فإن العمليات المختلفة التي أتينا علىٰ تحليها مثل القراءة السريعة، والقراءة العرضية، والتعمق، وتركيب النصوص، إلخ. لن يكون لها من معنىٰ رغم ذلك إذا لم تكن تعكس منافذ متعددة للذاكرة. من الأفضل لك هنا أن تجعل من كتب كانط النقدية الثلاثة أو من كتاب **فينومينولوجيا الروح** جزءًا منك، وأن يؤدي فن القراءة لديك إلىٰ دمج هذه المعرفة الكلية. يجدر بنا هنا تقديم بعض النصائح:

إنْ كنت بصدد دراسة نقد الواجب عند برغسون، فعليك أن تربط كل ذلك بمعارفك الكانطية. وإن كنت بصدد دراسة الدولة عند هيغل، فعليك بتحديد العلاقات والروابط مع المذاهب السياسية السابقة (روسو، كانط . . .). ما يهم هو إرساء روابط، وسائط، جسور وعلاقات بين المفاهيم الجديدة والمعرفة المكتسبة سابقًا: فهذه الأخيرة تشكل وعاء الذاكرة وأرضية المفاهيم الجديدة.

لا يجب أبدًا التردد في القيام بعمل جماعي. فالتعبير والتواصل الشفهي يثبتان في الواقع الذكريات.

في الأخير يجب أن تكون متعة النص أداة حفظ، فنحن لا نتذكر إلا ذاتنا، بمعنىٰ ما نعشقه بقوة، مثل الطرق الفكرية المثيرة للإعجاب أو النظريات الجذابة والموضحة.

ببليوغرافيا قصيرة مقترحة
لطلبة الليسانس والمدارس التحضيرية

هذه بعض الكتب الأساسية، وبعض النصوص الكبرىٰ التي من الضروري التقرب منها للتدرب علىٰ التفكير. وهي موضوع قراءة شاملة وليست عرضية، من حيث إنها كانت ولا تزال دائمًا المرجع الرئيس للفكر الغربي بأكمله. رغم ذلك ارتأينا، فيما يتعلق بهذه الأعمال الأساسية، بتقديم مقتطفات فقط في حالات معينة (مثلا: نصوص مختارة من كتاب «**الأستطيقا**» لهيغل)، أو اقتراح قراءة عدد من الصفحات ذات القيمة مقارنة بمجمل الكتاب (انظر كانط «**نقد العقل الخالص**».

- Platon: Le Banquet (Garnier-Flammarion ou Budé Belles Lettres); Phédon (Garnier-Flammarion ou Budé Belles Lettres); La République, (Garnier-Flammarion ou Budé Belles Lettres).
- Aristote: La Politique, (Vrin).
- épictète: Manuel (Joint a Marc-Aurèle, Pensées pour moi-même, Vrin).
- Epicure: Doctrine et Maximes (Hermann).
- Descartes: Règles pour la direction de l'esprit, (Vrin), Discours de la méthode (Garnier-Flammarion), Méditations Métaphysiques, (Garnier-Flammarion).
- Kant: Critique de la raison pure (PUF), Critique de la raison pratique (PUF), Critique de la faculté de juger (Folio-Essai, Gallimard).

- Hegel: La Raison dans l'histoire, (10/18, UGE)ل; Esthétique (Textes choisis, PUF).
- Nietzsche: Le Gai savoir, ("Idées", Gallimard)ل; Par-delà le bien et le mal (Folio-Essai, Gallimard).
- Freud: Introduction a la psychanalyse ("Petite Bibliothèque", Payot).
- Husserl: La philosophie comme science rigoureuse (PUF).
- Bergson: Les deux sources de la morale et de la religion (PUF).

القسم الثاني
طريقة المقالة الفلسفية



(٦) تعريف المقالة الفلسفية

تعتبر المقالة الفلسفية في منظومتنا التعليمية النشاط المفضَّل. تُشير المقالة التي تختلف عن العمل الأدبي وعن البحث الحر، كما تختلف أيضًا عن الاستدلال ذي الطابع الرياضي، إنها تشير إلىٰ «استدلال حجاجي» صارم ومنهجي، يجعل من كل منطوق مشكلة، بشكل يتم فيه السعي إلىٰ حل لهذه الأخيرة، وكذا تحديد المشكلة دون تفتيتها أبدًا والإجابة عن موضوع السؤال. إجمالًا نقول: إنَّ المقالة تتعلق بنشاط فكري.

ماهية المقالة الفلسفية
ليست نشاطًا تبحّريًّا ...

مصطلح «المقالة» في ذاته موضوع التباس. عند الرجوع إلىٰ المعجم نجد المقالة معرّفة في معناها الأولي، أي باعتبارها إنشاء كتابيًّا في الغالب، يتناول مذهبًا أو سؤالًا معرفيًّا (معجم روبير). غير أن المقالة الفلسفية تتميز عن النشاط التَّبحّري. غالبا ما يكون الطلبة ضحية لعدم التمييز هذا: فهُم لا يدركون خصوصية الطريقة الفلسفية ولذلك فهُم ضحية خلط بين الأنواع. في الفلسفة لا يتعلق الأمر أبدًا بتبحر معرفي محض، بل بالتدرب علىٰ التفكير وبالطرح الجيد للمشكلات.

* ولا عرضًا للمعلومات ...

- ملحوظات ومطالب لجان التصحيح. ليس التفكير سردًا ولا عرضًا لمذاهب ونظريات مختلفة: إنه دمج المعلومات والمعارف في تفكير حر وشخصي. تتأسف جميع لجان التصحيح علىٰ الجهل بهذه القاعدة الأساسية. إن التحاليل «الجاهزة» وعمليات «النسخ» مرفوضة:

تتكرر في أغلب الإجابات نفس الأقوال والمراجع: هوبز، روسو، سبينوزا، ماركس، فرويد، نيتشه. وتتباين طريقة استعمالهم بشكل معتبر: من النسخ إلىٰ التفسير، ومن التبحر العقيم والأرعن إلىٰ الشروح والتحاليل الثاقبة.

يجب الإشارة إلىٰ أمرين: من جهة نقص العمل لدىٰ أغلبية المترشحين، إذ يكتفي هؤلاء بإعادة كتابة جمل محفوظة عن ظهر قلب دون هضم فعلي لفكر الكاتب، ومن جهة أخرىٰ تُظهر التحاليل «الجاهزة» النمطية جدًّا والمألوفة، والتي تسمح بتصنيف أوراق الإجابة ضمن مجموعات، أنّ الأمر يتعلق بمجرد إعادة للدرس نفسه. (السؤال: «حق الأقل ضعفا»، مسابقة الدخول إلىٰ المدرسة العليا للتجارة، ١٩٩٠).

«يمكن [. . .] أن تقود الإنشاءات المطولة جدًّا وغير المقدرة أحيانًا حول نظرية اللاشعور عند فرويد، أو حول النظرية الماركسية والنزعة الفاشية إلىٰ النسيان الكلي للموضوع». (السؤال: هل يمكن تعريف اليوتوبيا باعتبارها حلمًا عديم الفائدة؟ مسابقة الدخول للسنة الأولىٰ لمعهد الدراسات السياسية بباريس امتحان عام ١٩٨٩).

- نحن هنا أمام خطأ كبير موجود في أغلب المقالات، من الأقسام التحضيرية حتىٰ التبريز: وهذا يعني أن الأمر لا يتعلق بخطأ نادر وعارض، بل بتهديد ملازم للمقالة. يتطلع الطلبة عمومًا إلىٰ عرض معارفهم جملة واحدة، وسرد كل ما اكتسبوه. لكن ما هو المطلوب من الطلبة؟ المطلوب منهم هو أن يُحسنوا توجيه التفكير والقيام بنقاش من شأنه أن يُفضي إلىٰ جواب عن السؤال المطروح، وإلىٰ حل غير دوغمائي للمشكلة أو المشكلات المرفوعة. ولا يمكن للسرد السلبي للمعارف بأي حال، أن يقود إلىٰ هذا المطلب: فكيف يمكن عدم تمييزها مع ما هو مطلوب، أي استراتيجية نقاش؟
- سيكون مفيدًا هنا ذكر مثال. تتعلق كثير من الأسئلة في مختلف المسابقات بالمقارنة بين المفاهيم. سنحاول انطلاقًا من موضوع محدد ضبط المقاربة المفضلة والطريقة غير الصحيحة.
- الموضوع: «المتوسِّط والمباشر».

المنهج	تحليل الأخطاء	الأخطاء المعتادة الواجب تفاديها
مقدمة (مُركّزة ومنهجية)		مقدمة (من نوع «عرض معارف».
يجب التعريف بدقة: - «المتوسّط»: ما هو علاقة مع مصطلح آخر بواسطة مصطلح ثالث (أو مصطلحات عدة).	لا مراجع تاريخية أولية.	يحيلنا المتوسّط إلىٰ إشكالية هيغلية، في حين يبرز المباشر منظورية برغسونية.
- «المباشر»: المُعطىٰ علىٰ أنه أوّلي وأصلي.	يجب تفادي نوع المقدمة المألوف.	وضع المفكرون في جميع العصور المتوسّط في تعارض مع المباشر.
يجب طرح الأسئلة بطريقة تدفعنا نحو إشكالية ونحو صياغة المشكلة الأساسية.	لا أحكام قيمة.	للمتوسّط أولوية أبستمولوجية وفلسفية. وللمباشر تَدنٍّ ظاهر.
القسم الأول:		القسم الأول:
تمييز، تعميق.	نحن هنا في العرض التاريخي المحض.	المباشر في مذهب برغسون: لقد أشار برغسون إلىٰ قيمة الحدس، المباشر، المعطيات المباشرة ....
إلخ.	الشيء نفسه	القسم الثاني:
	مسار تاريخي وليس أبدًا أبستمولوجي، إلخ.	المتوسّط، صورة للجدل الهيغلي، إلخ.

لا تختزل المقالة الفلسفية في عملية تكديس للمذاهب. فالعرض التكديسي للمعارف لا يعني بناء مقالة. إنّ المقالة الفلسفية مُبدعة، شخصية وتأملية. نلمس هنا أحد الأبعاد الأولية التي تؤكد خصوصيتها.

* ولا نشاطًا أدبيا ...

لا يجب أيضًا اختزال المقالة الفلسفية في جنس أدبي أو في المقالة الأدبية التي كثيرًا ما يخلطها الطلبة مع المقالة الأولىٰ حتىٰ في الأقسام التحضيرية وفي التعليم العالي.

أين يكمن الاختلاف بينهما؟ إنّ المقالة الفلسفية تتحرك من حيث هي إبداع للمفاهيم ونشاط للفكر يقوم علىٰ «صقل المفهوم» في حقل التجريد الخالص، حتىٰ وإن كانت تعتمد علىٰ الأمثلة والصور المادية. يتعلق الأمر بالعمل الدقيق حتىٰ بلوغ النتيجة النهائية وذلك من خلال إيضاح المفاهيم. يتغذىٰ الحقل الأدبي، مقارنة بالحقل الفلسفي، كثيرًا من المادي ومن الخيالي.

تخضع المقالة الفلسفية دون أن تُختزل في نقاش أدبي -لا يجب أن ترجع إليه بأي حال- فان! لمقتضيات شكلية محددة هي نفسها التي تحكم عملًا أدبيًا معمقًا. إنّ الحاجة إلىٰ القيام بنقاش منظّم انطلاقًا من مقدمة حتىٰ وضع الخلاصة وذلك بوساطة حجاج صارم هو مشترك بين مختلف النشاطات الأدبية، الفلسفية والتاريخية. ورغم هذا التقارب تشير المقالة الفلسفية إلىٰ «عمل مفهوم» يختلف عن المقالة الأدبية.

* ولا بحثًا حرًّا ...

تبرز المقالة الفلسفية خصوصيتها أيضًا مقارنة بنوع البحث الحر.

يُعرَّف البحث الحر بكونه تأليفًا نثري ذي طابع غير مقيد، يعالج موضوعًا لا يستنفذه، ويتكوّن في الغالب من سلسلة من الأفكار أو التأملات حول موضوع واحد، ويتميز المجموع بكونه مزيجًا معرفيًا من التحضير ومن الارتجال.

تسمح حرية البحث بالتمييز بين النوعين والطريقتين. فالمقالة الفلسفية تشير إلىٰ «استدلال/ محاجّة» دقيق (انظر ص٨٢)، واستدلال صارم بعيد عن كل ارتجال. ومنه فلا مجال لمقارنة التسلسل المنطقي والاستدلالي للمقالة الفلسفية بالتسلسل الحر للبحث.

رغم ذلك يشترك كل منهما في الهدف ذاته وهو طرح سؤال ومشكلة والسعي وراء حلّها، أو علىٰ الأقل، العمل علىٰ تحقيق ذلك. لكن مسارهما يختلف: فالبحث يسعىٰ لخلق مناخ يجذب القارئ، بينما تسعىٰ المقالة إلىٰ تحقيق الإقناع من خلال استدلال صارم، حجاجي وتدرّجي.

خصوصيتها
هي «نشاط فكري»

لمّا كانت المقالة الفلسفية مختلفة عن الاستدلال الرياضي، فهي من جوانب معينة أقرب إلىٰ النشاط الروحي[1]: إذ تشير إلىٰ نشاط للفكر وإلىٰ مسار تأملي، ففي المقالة الناجحة يقوم الطالب بحوار مع ذاته، يتبيّن له عند الانتهاء منه أنه قادر علىٰ تغيير وجهة نظره وقناعته. وبذلك يكون قد حقق فعليًّا «نشاطًا فكريًّا». إن مجرد الحديث عن «نشاط فلسفي» ليس مصادفة. فإنجاز عمل فلسفي -مقالة أو تحليل نص- هو ممارسة للفكر، وتحكم فيه، وبالنتيجة تغيير له. ما يهم هو واقع النشاط ذاته، أي قدرة المفكر في التموضع في قلب المشكلات والتعامل معها حتىٰ انجلاء الغموض. إن المسار الكلي في المقالة الفلسفية تمامًا كما في المحاورات الأفلاطونية، هو الذي يهم وهو المعيار الفعلي: «خذ حالة الطفل المشغول بتعلم الأبجدية، عندما يسأل أية حروف تخلق كلمة، هل علينا أن نقول: إن ذلك السؤال يقصد منه أن يُحسّن معرفته النحوية بتلك الكلمة المحددة، أو لكل الكلمات؟ [. . .] كي يتمكن من معرفة أفضل لكل الكلمات بوضوح. [. . .] وما هو غرض هذا التحقيق عن رجل الدولة؟ أيقصد منه أن يحسن معرفتنا عن علم السياسات فقط، أو أن

(١) حول هذا الموضوع انظر:

Pierre Hadot, Exercices spirituels et philosophie antique.

يحسن طاقتنا للتعقل بشكل عام؟ [. . .] إنّ الهدف هو هدف عام، كما في المثال السابق بوضوح»[1].

فالمعيار الفعلي هو إذن المكسب الجدلي.

---

(١) Platon, Le politique, Op.Cit., p 47.

أفلاطون، السياسي، (ص/١٥٣).

هي استدلال حجاجي

بِناءً علىٰ ما سبق، يمكننا تعريف المقالة بكونها: استدلال تدرّجي دقيق ومتماسك، قائم علىٰ بنية حجاجية. يتم هذا الاستدلال انطلاقًا من مشكلة محددة مسبقًا، تبرز من فحص تساؤل موجّه ومنظّم يتعلق بموضوع السؤال. يدرج هذا التساؤل المنظم ويدمج في مسار شامل هو الإشكالية. يتعلق الأمر إذن بهيكلة محكمة لجملة من الأسئلة المتضمنة في الموضوع، وربطها بشكل منطقي، والإحاطة بالسؤال الرئيس والحاسم المحايث للموضوع، ثم الإجابة تدريجيًا، بعملية محاجة/استدلال متكاملة، علىٰ العناصر المتضمنة في الإشكالية، بطريقة تسمح بتحديد و«حل» المشكلة، حل يقصي كل جمود ودوغمائية. إن الاستنتاج يعني تقديم إجابة، اتخاذ موقف ووضع حصيلة ما، بعيدًا عن التصلب والدوغمائية (لأن ذلك مناقض للاستفهام الفلسفي).

تظهر المقالة الفلسفية عندئذ كمسار متحرك وديناميكي، مؤدٍّ إلىٰ نتيجة واضحة عن طريق إشكالية ونقاش منظم.



(٧) مختلف أنواع الأسئلة

تشير المقالة كما نعلم إلىٰ إنشاء كتابي غايته تحليل وضبط مشكلة فلسفية. يتوقف هذا الإنشاء الكتابي الذي يتطلب بحثًا ولا يستند أبدًا علىٰ الذاكرة فقط، علىٰ طرق تفكيرية ومنهجية مختلفة: علينا الأخذ بعين الاعتبار من جهة، مختلف أشكال المنطوقات ومن جهة أخرىٰ، ما هو متاح من الطرق بالنظر إلىٰ أنواع الأسئلة المتداولة. لقد قمنا بإحصاء وتحليل منهجي للمواضيع والأسئلة المقترحة لامتحانات ومسابقات المدارس العليا (مسابقة الدخول إلىٰ «مدرسة العلوم السياسية»، مدارس التجارة، المدارس العليا، إلخ) وكذا الليسانس. ورغم وجود أنواع متعددة من المواضيع المحتملة، إلا أن بعضًا منها فقط مستعمل فعليًّا، أي تلك المرتبطة بطريقة ومحتوىٰ الفلسفة بشكل مباشر:

- السؤال.
- تحليل القوة.
- دراسة مفهوم أو تصور.
- المقارنة بين مفهومين أو أكثر.
- منطوق سؤال بصيغة الأمر.
- منطوق سؤال بصيغة المصدر.

السؤال

بعض المواضيع

الأغلبية الساحقة من المواضيع مصاغة في شكل سؤال. وليس هذا بالغريب. إذ إنّ ميلاد الفلسفة يبدأ فعلًا من مساءلة الواقع والقيام بفعل «تساؤل». وهذه بعض الأمثلة علىٰ هذا النوع من الأسئلة:

- «هل فكرة اتفاق أشخاص عقلانيين هي الأفق الضروري للتداول القانوني؟» (المدرسة العليا للعلوم الاقتصادية والتجارية، امتحان الثقافة والعلوم الإنسانية، ١٩٩٠).

- «هل العدالة الاجتماعية شرط الحرية؟» (المدرسة العليا للعلوم الاقتصادية والتجارية، امتحان الثقافة والعلوم الإنسانية، ١٩٩٠).

- «ما التربية الناجحة؟» (امتحان الدخول لمعهد الدراسات السياسية باريس، ١٩٩٠).

- « هل يحق تعريف اليوتوبيا كحلم بلا فائدة؟» (امتحان الدخول لمعهد الدراسات السياسية. باريس، ١٩٨٩).

- «هل نحن مسئولون عن المعنىٰ الذي يحمله كلامنا؟» (المدرسة العليا للعلوم الاقتصادية والتجارية، مقالة اختيار عام، ١٩٨٨).

- «ما الفرد؟» (المدرسة العليا للعلوم الاقتصادية والتجارية، مقالة، تخصص اقتصاد، ١٩٨٨).
- «هل الاستحقاق شرط لنيل الحقوق؟» (امتحان الدخول لمعهد الدراسات السياسية باريس، ١٩٨٨).
- «أليست الطبيعة مجرد مبدأ للشرعنة؟» (امتحان الدخول إلىٰ فونتاي/سان كلود، امتحان مشترك، ١٩٨٨).
- «أليس الجسد مجرد شيء؟» (امتحان الدخول إلىٰ فونتاي/سان كلود، امتحان مشترك، ١٩٨٨).
- «ما صلاحية نظرية العقد الاجتماعي في نظرك؟» (ليسانس فلسفة، ليل الثالثة، ١٩٨٥).
- «ما المقصود بالفعل؟» (ليسانس فلسفة، نانتير، ١٩٨١).
- «هل يمكننا الحديث عن إيمان فلسفي؟» (ليسانس فلسفة، نانتير، ١٩٨٠).

ثلاثة أشكال من الاستفهام

يطغىٰ هذا الشكل من المواضيع، كما نرىٰ ذلك في المدارس التحضيرية وفي الليسانس. وعند النظر نجد أن «المنطوق-السؤال» يحيل هو ذاته إلىٰ ثلاثة أشكال (علىٰ الأقل) من الاستفهام:

*** استفهام مفتوح «غير أمري» وغير موجّه للمترشح. أمثلة:**

- «ما المفهوم؟»
- «ما الفرد؟»
- «ما التربية الناجحة؟»

* استفهام يحمل (بين ثناياه) جوابًا. أمثلة: «أليس الجسد مجرد شيء؟» في هذه الحالة بالذات، الطالب مدعو ضمنيًّا إلىٰ الانتقال من الجسد في شيئيته كحقيقة علمية وطبية . . .، إلىٰ «الجسد الذات» المعاش، الوجودي، الفينومينولوجي بمعنىٰ ما. فالطريق هنا مقترح إذن، ومن الصعب تفادي نوع معين من الإشكالية المؤدية إلىٰ النواة «المادية» للتحليل. إن الطالب «منقاد» نوعًا ما.

* استفهام التخيير. هنا يتم اقتراح منطوقين (يقصي كل منهما الآخر) علىٰ المترشحين. وعلىٰ هؤلاء الاختيار بالنتيجة وَفق نسق منطقي، تكون فيه إحدىٰ القضيتين المطروحتين صادقة

والأخرىٰ خاطئة بالضرورة. يتم ذلك كما لو لم يكن هناك (ظاهريًا) إلا حلان ممكنان فقط. أمثلة:

- «هل أنت مع أو ضد الجدل؟» موضوع شهادة الكفاءة المهنية في التعليم الثانوي.
- «هل الفوضىٰ خلَّاقة أم هدَّامة؟»
- «هل الزمن عدو أم حليف لنا؟»

يجب أمام استفهام التخيير الخضوع في بعض الحالات لقاعدة التخيير، إذ يمكن فعلًا، من وجهة نظر منطقية بحتة، أن لا يكون هناك حل ثالث. يجب عندئذ الالتزام بمبدأ الثالث المرفوع الذي يقرر بأنه في قضيتين متناقضتين، صدق القضية الأولىٰ يستلزم كذب القضية الثانية والعكس صحيح. في هذه الحالة لا وجود «لحل ثالث». غير أن استفهام التخيير يتعلق في الغالب بتوحيد أو بتركيب من شكل جدلي، بطريقة يتم بها تجاوز القضيتين اللتين ينم ظاهرهما عن الإقصاء المتبادل.

يُنصح إذن في استفهام التخيير، بالتفكير بشكل منهجي في استعمال الطريقة الجدلية (انظر ص٩٤) المناسبة في الغالب لهذا النوع من المواضيع. أمثلة:

- الموضوع: «هل أنت مع أم ضد الجدل؟».

الأطروحة (مع): يشير الجدل إلىٰ شكل من التفكير يؤمن بقوة السالب ويتعامل مع الموجودات في حركتها الكلية. ولذلك يبدو أنه يقدّم شبكة تفكير مناسبة.

نقيض الأطروحة (ضد): ألا يمكن أن يتحول الجدل إلىٰ شبكة تأويل تفرغ الحياة والمعاش والذاتية؟

التركيب: يحيل الجانبان الإيجابي والسلبي للجدل إلىٰ استفهام كلي. ليس جوهر القضية في أن نكون مع أو ضد، بقدر ما هو التوصل تركيبيًّا إلىٰ قوة السلب الحقيقية، «فعل السالب».

- الموضوع: «هل يساهم الآخر في التعرف علىٰ الذات أم يحول دون ذلك؟»

الأطروحة: يساهم الآخر بشكل كبير في الوعي بالذات. فهو يساعدنا علىٰ صقل الذات ومنه التعرف عليها.

نقيض الأطروحة: تحليل مخاطر زوال الشخصية (انظر هايدجر: يعترض «الغير» أو الآخر طريق إدراك الصورة الحقيقية لذاتي).

التركيب: يسمح «الاعتراف» الهيغلي بالجمع بين وجهتي النظر: في الواقع يسمح صراع الذوات الذي يبدو عائقًا أمام الإدراك البسيط والشفاف، بمعرفة الذات عن طريق الآخر؛ لأن الآخر يشير عندئذ إلىٰ الوساطة بين الأنا المباشر والأنا المتطلع إلىٰ الإدراك الحقيقي لذاته.

القاعدة: أشكلة السؤال

بعيدًا عن الحالات الخاصة التي أتينا علىٰ تحليلها، يحيل «الموضوع/السؤال» إلىٰ قاعدة مطلقة ضرورية: يجب دائمًا أشكلة السؤال. بمعنىٰ آخر، إنّ البناء التدريجي للمشكلة هو الذي يلعب دورًا محوريًّا في الموضوع ذي الشكل الاستفهامي. في هذا الإطار يقع كثير من الطلبة في الخطأ، ويتوهمون أن الإجابة عن السؤال كافية. في الواقع إذا لم يتم تجاوز مرحلة السؤال، فإن النقاش من شأنه أن يتحول إلىٰ مجرد مقول يكرر الدرس. هناك دائمًا في ثنايا السؤال المطروح مشكلة فلسفية، أي إحراج ما، أو سؤال أكثر جوهرية يستفهم الموضوع ذاته. يمثل اكتشاف المشكلة الفلسفية المحايثة للسؤال، الفعل الأساسي الموضح لهذا الشكل من المواضيع (حول المشكلة الفلسفية والسؤال انظر ص٢٣). من الواجب دائمًا إذن إبراز سبب طرح السؤال. مثال:

- الموضوع: «هل تثير فكرة لاتناهي الكون الخوف فينا؟»

يجب تحديد الخوف الناجم عن تصورنا الكون لامتناهٍ: إذا كان اللاتناهي نتاجًا تصوريًّا، فكيف يمكننا الخوف مما نخلقه؟ بهذا نتحول بأنفسنا من السؤال إلىٰ المشكلة، التي هي مشكلة استحالة، أو علىٰ الأقل صعوبة الخوف من أنفسنا. إنّ السؤال يثير هو ذاته المشكلة التالية: كيف نخاف مما يعكس تحكمنا النظري الخاص؟ (المثال مستقىٰ من تقرير لجنة تصحيح مسابقة الدخول إلىٰ المدرسة العليا للعلوم الاقتصادية والتجارية، ١٩٨٧).

تحليل القول
بعض المواضيع

غالبًا ما يُطرح هذا النوع من المواضيع في المسابقات. ويكون القول مصحوبًا أحيانًا باسم القائل. أمثلة:

- **يقول بارك:** «إنّ الفن عمل مقدس. حلل القول». (المدرسة العليا للتجارة، روان، مارسيليا ... ماي ١٩٩١).
- يقول ألان فينكيلكراوت في كتاب «**انهزام الفكر**»، ننزع في أيامنا هذه إلىٰ اعتبار «كل الثقافات مشروعة بالتساوي وأن كل شيء ثقافي». ما رأيك؟ (مسابقة الدخول إلىٰ مدرسة الدراسات التجارية العليا، امتحان الثقافة والعلوم الإنسانية ١٩٩٠).
- يقول نيتشه «إنّ الكلام في جوهره هو السؤال الذي أطرحه علىٰ من يشبهني لأتبيّن إن كانت لديه روحٌ مثل روحي». (المدرسة العليا للعلوم الاقتصادية والتجارية، مقالة، اختيار عام، ١٩٨٧).
- «ما الذي يمكننا قوله عن قناعة هوبز بأن الفلسفة السياسية التقليدية كانت حلمًا أكثر منها علمًا؟» (ليسانس فلسفة ليل الثالثة، ١٩٨٧).
- حلل وناقش عبارة بيار مانون في كتابه «**نشأة السياسية، هوبز**»: «ليست السلطة فيما تقوم به بل هي الفكرة التي تصنعها كي

يكون في إمكانها القيام بما تقوم به». (ليسانس فلسفة، ليل الثالثة ١٩٨٦).

- «التفكير هو قول لا» (ألان).

- «إنّ الزمن علامة علىٰ عجزي، يشير والامتداد علامة علىٰ قوتي». (جول لانيو (Jules Lagneau)، شهادة الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي، فلسفة).

السؤال المقنّع: الطريقة الاستفهامية المحايثة لتحليل القول

في الواقع، دائمًا ما يرجع «الموضوع/القول»، مع احتفاظه بخصوصية واقتضائه عمومًا نوعًا محددًا من التحليل (انظر الفقرة التالية) -علىٰ الأقل فيما يخص الطريقة العامة- إلىٰ «الموضوع/السؤال»، الذي سبق تناوله. ستلحظ عند فحصك للمواضيع المعروضة آنفا أن ما يطرح عليك في الواقع هو سؤال حول معنىٰ الكلام في المثال الثالث، وحول طبيعة الفكر فيما يتعلق بقول ألان، وحول ماهية الزمن فيما يتعلق بمقولة جول لانيو. يختزل الموضوع/القول جزئيا في الموضوع/السؤال.

بالمقابل، حتىٰ وإن لم يكن هناك اختلاف في العمق بين الموضوع/السؤال والموضوع/القول، فإن هذا الأخير مرتبط -من حيث إنه يعرض أيضًا أطروحة- طريقة خاصة.

المعالجة والتحليل الخاص للموضوع/القول

إن ما يُطرح علىٰ الطالب في الموضوع/القول هو أطروحة يجب ضبطها. بمعنىٰ آخر، يبدو تحليل الموضوع، من زاوية معينة، أكثر تعقيدًا مما هو الحال في الموضوع/السؤال. فمن جهةٍ يتعلق الأمر بإبراز السؤال المتضمن في الموضوع، سؤال سيقود إلىٰ أشكلة نسقية. ومن جهةٍ أخرىٰ، يجب علىٰ الطالب إدراج والتعرف جيدًا علىٰ مذهب أو أطروحة صاحب القول (غير المعلنة). تتبع هذه الدراسة العميقة للقول من وجهة نظر السؤال، المشكلة والأطروحة، بتأمل نقدي وتقييم للمذهب الذي تم تحليله. **يجب الإشارة إذن إلىٰ العناصر الخاصة بهذه المقاربة:**

- تحويل القول إلىٰ سؤال وفحص المشكلة التي يطرحها السؤال.
- ضبط الأطروحة التي يدافع عنها صاحب القول.
- إخضاع الأطروحة للتحليل. جعلها موضوعًا للدراسة والشرح.
- القيام بتحليل نقدي للأطروحة. بِناء تفكير شخصي حولها.
- القيام بحوصلة شاملة.

يمكن أن يقود الموضوع- القول أحيانًا إلىٰ خطة تتألف من قسمين (١. الأطروحة، ٢. التحليل النقدي). إلا أن هذه القسمة الثنائية تبدو لنا مختصرة، وهو ما من شأنه أن يوقع الخطة في مقاربة كلاسيكية (انظر الفصل الثامن).

تحليل تصور أو مفهوم

يشير المفهوم عمومًا إلىٰ تمثّل أكثر بساطة من التصور، يمتلك وظيفة وقيمة تركيبية ونظرية أدنىٰ من تلك التي يمتلكها التصور.

بعض المواضيع

- «الطبيعة المشوهة» (مدرسة العلوم التجارية، رامس، روان . . . ماي ١٩٩١).
- «حق الأضعف» (المدرسة العليا للتجارة. ١٩٩٠).
- «الإحساس» (المدرسة العليا للأساتذة. أولم/سافر، ١٩٨٩).
- «المحاكاة» (شهادة الكفاءة المهنية في التعليم الثانوي فلسفة، ١٩٨٨).
- «المصطنع» (المدرسة العليا للأساتذة. أولم/سافر، ١٩٨٧).

كما هو ملاحظ، يمكن أن يكون السؤال المتعلق بتحليل المفهوم خاصًا بدراسة مفهوم محدد أو عبارة (مثال: «حق الأضعف»).

كما يمكن أيضًا أن يطرح تحليل التصور في شكل سؤال. مثال: «ما العدالة؟»

الطريقة المطلوبة

غالبًا ما نصادف هذه المواضيع في الامتحان الكتابي: في مسابقة الدخول إلىٰ مدرسة أولم/سافر، لامتحان الدخول إلىٰ مدرسة العلوم السياسية، لمسابقة الدخول إلىٰ المدرسة العليا للتجارة، ولكن أيضًا لشهادة الكفاءة المهنية والتبريز في الفلسفة. يمكن مصادفتها أيضًا في الامتحان الشفوي للمسابقات. إلا أنّ مشكلة الدرس الشفوي ومشكلة المقالة لا يتقاطعان فعليًّا ويتعلق الأمر في هذا الفصل، بفحص الطريقة الخاصة بالكتابة.

إن لتحليل التصور أو المفهوم فائدة كبيرة: فهو يرمز ويعكس نوعًا ما، المهمة الفلسفية كلها. ذلك أن القيام بتفكير فلسفي هو في الأساس مساءلة التصورات (انظر الفصل الثاني)، والاستفهام حول معناها، ومقتضياتها، ووظيفتها التعليمية (لِمَ وُضع التصور؟ ما الذي يقدِّمه علىٰ مستوىٰ الفكر والتأمل؟ إلخ).

*** من الضروري:**

- ضبط التصور أو المفهوم، من خلال القيام بدراسة وتحليل معانيه المتعددة. فغالبًا ما يكون المفهوم متعدد المعاني.
- القيام بجرد التصورات المتعلقة به (مثلًا: إذا كان الموضوع يتناول الفكرة فمن الواجب تمييزها عن المصطلحات غير

المرادفة لها مثل النوع، المفهوم، التفكير، التصور.. إلخ)
أو المناقضة لها (مثل: الاعتقاد الحسي، إلخ).

- جمع أكبر قدر من الاستعمالات الممكنة للتصور أو للمفهوم في كل واضح.
- إحصاء المشكلات الأساسية المرتبطة بالتصور أو المفهوم.
- القيام باختيار المشكلة المفتاحية التي تسمح بتنظيم نقاش.
- إدراج النقاش في الخطة المناسبة لتحليل مفهوم. (انظر ص٩٨).

المقارنة بين تصورين أو مفهومين أو أكثر
بعض المواضيع

- «الصورة أم اللغة» (الامتحان الكتابي للتبريز، ١٩٨٧).
- « الحرية والاستلاب» (ليسانس فلسفة، نانتير ١٩٨٢).
- « القريب والمتباعد» (ليسانس فلسفة، نانتير ١٩٨٢).
- «التصور والفكرة».
- «الحسرة، الندم، التوبة».

إذا كانت الأسئلة المتضمنة تصورين أو مفهومين متعددة احتماليًّا، فإنه يمكن مصادفتها في الواقع في الشفوي وتقوم عندئذ مقام الدروس. علينا البقاء الآن في الامتحان الكتابي، حيث لا تطرح مثل هذه الأسئلة كثيرًا. وفق أية مقاربة يتم معالجتها؟

المقاربة الخاصة

- يجب فحص ما إذا كان الموضوع يقترح مقارنة (مثال: «التصور والفكرة» أو علاقات مصطلح بمصطلح (مثال: «الحقيقة والذاتية». نتحدث عن مقارنة عندما يتعلق الأمر بمصطلحات متقاربة أو متناقضة، وعن علاقة عندما تبدو المصطلحات متوقفة علىٰ بعضها البعض، رغم ذلك هناك التباس في بعض الأحيان. إذا كان السؤال يتضمن عدة تصورات أو مفاهيم، فإن المقارنة هي المطلوبة عمومًا.

- إذا كان الأمر يتعلق بمقارنة تصورات أو مفاهيم، فعليك بالحرص علىٰ استخراج الاختلافات، أوجه التناقض أو التشابه. عليك القيام هنا بتحليل سيمنطيقي متأنٍّ.
- تختلف المقاربة عندما يتعلق الأمر بإرساء علاقات وليس القيام بمقارنة. يقود الموضوع الذي يقترح إرساء علاقات إلىٰ التساؤل حول التحديدات والتأثيرات إما المتبادلة أو القابلة للتحليل لمصطلح من المجموع علىٰ مصطلح آخر، دون تبادلية.
- يجب الحذر من خطر الانجرار في هذا النوع من المواضيع إلىٰ إنجاز مقالات كثيرة منفصلة، تخص كل تصور أو مفهوم أو مصطلح، دون تناول التفاعل الجدلي فعلًا الذي يمثّل جوهر هذا النوع من المواضيع.
- فيما يخص الطريقة المناسبة لهذه الأسئلة فإننا نحيل إلىٰ الصفحة ٩٩ من هذا الكتاب.

السؤال في صيغة الأمر

* أمثلة:

- «حلل وناقش مشكلة معنىٰ التاريخ». (ليسانس فلسفة، ليل الثالثة، ١٩٨٥).
- «حلل فكرة النظام».

المقاربة

يرجع هذا النوع من الأسئلة في العموم إلىٰ السؤال الاستفهامي. وهو يمثل إما سؤالًا مقنّعا أو تحليل مفهوم.

السؤال في صيغة المصدر

* أمثلة:

- «التلاعب بالألفاظ». (مدرسة العلوم التجارية، مارسيليا، رامس.. ماي ١٩٩١).

المقاربة

يرجع هذا النوع من الأسئلة هو أيضًا، إلىٰ السؤال الاستفهامي. في المثال السابق كان يجب أن نفهم: ما هو معنىٰ عبارة «التلاعب بالألفاظ»؟ يمكننا أيضًا إرجاعه إلىٰ مشكلة قيمة بعد الإجابة عن السؤال المتخفّي وراء المصدر.

الخلاصة

لا يجب أن يقود تعدد الأسئلة إلىٰ التغاضي عن وحدتها. فكل المواضيع ترجع في الواقع (انظر الفصل الثاني)، إلىٰ أسئلة حول العالم، تستفهمه لتعمّق معناه. إنّ «المواضيع/الأسئلة»، المواضيع المتعلقة بمفهوم، المواضيع الأمرية ...، تستفهِم كلها وتُسائِل طبقًا لماهية الفلسفة.



(٨) مختلف أنواع الطرق

هذه الآن بعض النماذج الكبرىٰ من الطرق، المتصورة كبنيات منطقية: الطريقة الجدلية، بدون صورها الكاريكاتورية، والطريقة التدرجية، والطريقة الاستقصائية، وطريقة المقارنة بين المفاهيم. بالطبع يجب النظر إلىٰ الطرق كنماذج مَرِنة.

الطرق كبنيات منطقية

تمثل دراسة مختلف الطرق الممكنة بالنسبة إلىٰ طالب الليسانس والمدارس التحضيرية، عنصرًا مهمًا وحاسمًا. إذ عليه أن يدرك قبل كل شيء أنه بإزاء بنيات منطقية حقيقية تستجيب لضرورات تنظيم التفكير الإنساني. والحال أنه يجب علينا تصنيف وتنظيم والقيام بترتيبات مختلفة لبناء أفكارنا. وعليه فالبنيات التي في متناولنا ليست مجرد أهواء ونزوات.

سنعمل علىٰ تحليل مختلف الطرق (انظر الجدول ص١٠١) المقترحة لتنظيم التفكير، وإبراز أهميتها المنطقية، البلاغية والخلاقة في الوقت نفسه.

الطريقة الجدلية

*** تعريفها:**

تبقىٰ هذه الطريقة المنتظمة في ثلاثة أقسام، حتىٰ وإن كانت كثيرة الانتقاد وعُرضة للتشويه، البنية الأساسية التي تحكم الطريقة والمسار الفلسفيَّيْن، كما تظل من الطرق الأكثر استعمالًا. يتعلق الأمر بالطريقة الشهيرة القائمة علىٰ «الأطروحة، نقيضها والتركيب»، والمتمثلة من حيث المبدأ في:

(١) الأطروحة المدافع عنها (صدق القضية).

(٢) نفي الأطروحة وعرض نقيضها.

(٣) التركيب، الذي يتم فيه تقريب وجهتي النظر المتناقضتين داخل وحدة أو في مقولة أعلىٰ. فهو يوحّد دون تسوية أو توفيق لفظي.

*** مثال:**

- **الموضوع**: «هل ما يدوم فقط له قيمة؟»

الأطروحة: لا قيمة إلا للأشياء التي تستمر في الزمان وتدوم (مثال: الأفعال الأخلاقية ذات النتائج الدائمة).

نقيض الأطروحة: وحدها اللحظة، أي ما ليس له امتداد زمني، لها قيمة.

التركيب: تعطي الأبدية للديمومة وللحظة معنىٰ، فهي توحّدهما.

أهمية وخصوبة الطريقة الجدلية

ليست هذه الطريقة صالحةً للاستعمال في جميع الحالات. فلا يمكن معالجة جميع الأسئلة وَفق الصياغة الجدلية، يصدق ذلك علىٰ المواضيع الخاصة بتحليل مفهوم (مثال: «الوهم»، «التراجيدي»، «الظاهرة».. إلخ). من جهةٍ أخرىٰ لا يكون التركيب بين الموقفين متاحًا دائمًا، ولا حتىٰ مشروعًا وممكنًا.

رغم محدودية استعمالها، تبدو الطريقة الجدلية خصبة جدًّا في توجيه التحليل الحسن لأكبر قدر من الأسئلة. لذلك فهي تبدو مناسبة من وجهة نظر ثلاثية بلاغية، منطقية، خلاقة.

- **أولا بلاغية**: إذا كانت البلاغة تشير إلىٰ فن الكلام الحسن، وتقنية تطبيق أدوات التعبير، وفن الحمل علىٰ الاعتقاد باستعمال الخطاب، فيمكننا أن نلحظ أن الطريقة الجدلية يمكن أن تبدو منتجة لآثار بلاغية طيبة. فهي تعتبر أداة تعبير مناسبة، لأنَّها تسمح مرحليًّا، بالمحافظة علىٰ شيء صادق انطلاقًا من مستوىٰ معين من التحليل والتفكير. يحصل لدىٰ القارئ أو المستمع عندئذ مساهمة في تعبير بلاغي ديناميكي: إنّ الخطاب لم ينتهِ وبذلك فهو يجري نحو مسار تركيب حي. علىٰ جميع الذين يتوجهون نحو فنون الخطابة، نحو السياسة والحقوق، وكذا الذين سيمتهنون العلوم السياسة إلخ، التمرن علىٰ

البلاغة. سيكون التحكم في هذه البلاغة الجدلية بالنسبة إليهم مثمرًا جدًّا.

- **ثم منطقية**: تحيل هذه الأهمية البلاغية ذاتها إلىٰ بنية وإلىٰ أثر منطقي. علينا فهم المنطق هنا باعتباره «عامل تنسيق» للفكر والكلام، وباعتباره خاصية مسار ذهني متطابق مع قوانين الفكر العقلاني، أو أيضًا كتسلسلٍ متناسق للأفكار. من الواضح أن الطريقة الجدلية يمكن أن تكون مناسبة جدًّا من هذه الزاوية، إذ تقودنا حركة الاندماج العليا في الغالب نحو شيء ما أكثر صدقا.

- **وخلَّاقة أخيرًا**: يمكن للطريقة الجدلية أن تُشكّل تصميمًا خلَّاقًا، ومخططًا لإبداع أفكار وتحليل مفاهيم. فهي تؤدي إذن وظيفة تعليمية: إنها تعكس أداة لتنظيم التفكير ولصياغة استراتيجية بحث أو إشكالية. إنها تمثل إذن وسيلة منهجية ومصفوفة للأفكار.

تفادي الوقوع في الأشكال الكاريكاتورية للطريقة الجدلية

يقول كلود ليفي شتراوس: «عند انتسابي لقسم الفلسفة [. . .] بدأت أتعلم عندئذ، أن بالإمكان حل أية مشكلة، خطيرة كانت أم تافهة، بتطبيق منهج، هو نفسه دائمًا، يقوم علىٰ تقابل نظرتين تقليديتين للمسألة، بطرح الأولىٰ بناءً علىٰ مسوغات الحس المشترك، ثم إبطال هذه المسوغات بواسطة الثانية، وأخيرًا رد الاثنتين كلتيهما بفضل نظرة ثالثة تكشف الطابع الجزئي للاثنتين الأُخريين، وإرجاعهما بحِيَل لفظية لجوانب مكملة للواقع ذاته: كالشكل والمضمون، المحتوي والمحتوىٰ، المخبر والمظهر، المتصل والمنقطع، الجوهر والوجود، إلخ»[1]. ويواصل ليفي شتراوس في تعداد الصعوبات المرتبطة بالطريقة الجدلية: فهذه الأخيرة تشير إلىٰ نشاط لفظي غني بالانقلابات التأملية التي تحذقها العبقرية، إنها رياضة ذهنية محفوفة بالأخطار. هنا يقدم المنهج مفتاحًا عامًّا، ويسوّق لشكل وحيد متماثل دائمًا. بذلك يزول التوق إلىٰ الحقيقة ويذوب في توازن المتناقضات هذا: لقد «حلت البراعة محل التوق إلىٰ الحقيقة»[2].

---

(١) Claude Lévi-Strauss, Tristes Tropiques, Presses Pocket, "Terre humaine", Poche, Plon, p 52.

كلود ليفي شتراوس، مداريات حزينة، ترجمة محمد صبح، دار كنعان، دمشق، (ط ١)، (٢٠٠٣)، (ص/٥٦).

(٢) Ibid. p 54.

المرجع نفسه، (ص/٥٨).

يُحيل كلود ليفي شتراوس هنا إلىٰ الأشكال الكاريكاتورية للطريقة الجدلية، المنتشرة والمتداولة بكثرة، في كل الأحوال لا يجب أبدًا أن يكون التركيب:

- **جوابًا غامضًا**: «في جميع الأمور وفي كل واقع هناك «الحسن» و«الإيجابي»، بشكل يجعل التوفيق بين المصطلحات المتناقضة تُفرض علىٰ الملاحظ الساعي وراء الوحدة».
- **محض نشاط مصطنع**: إذا تحولت الطريقة الجدلية إلىٰ نشاط شكلي تام، بلا علاقة بالمحتوىٰ فتلك علامة علىٰ أنك في الطريق الخاطئ. تشير السيرورة الجدلية المرتبطة بالمناقشة والمجادلة فعلًا إلىٰ شيء آخر غير ذلك «النشاط» الصالح لكل شيء أو مفتاح العبور العام أو الشبكة العامة المتضمنة لبنية مسبقة.

عليك من أجل تفادي هذه الشكلية الدوغمائية والمعيقة، التفكير بتأنٍّ في المنهج الهيغلي الذي سبق تناوله (في الفصل الثالث المخصص للأسس الفلسفية للمنهج). إنّ الطريقة المناسبة التي تقوم بشكل مشروع علىٰ الأطروحة نقيضها والتركيب تطابق الطريقة الجدلية الحقيقية، أي كإحاطة بالحدود المتناقضة في وحدتها. تمثل الأطروحة، نقيضها والتركيب، بعيدًا عن كونها مجرد ثلاث مقولات جامدة إذن، مسار احتقان وتناقض، تتواجه فيه الحدود المتضادة وتخضع إلىٰ ديناميكية داخلية. عندئذ توجّه التناقضات المحايثة للأسئلة، وللمشكلات وللحجج عرض وسيرورة النقاش.

الطريقة التدرّجية

*** تعريف:**

تقتضي هذه الطريقة تحليل مفهوم واحد أو عدة مفاهيم، ندرسها ونتعمق فيها بالتدرج عبر وجهات نظر متتالية. يتعلق الأمر بالانطلاق من وجهة نظر سطحية نوعًا ما والتوغل في طرق تحليل مبلورة ومعمقة أكثر فأكثر. تشكل الطريقة التدرجية وَفق هذا المنظور، أداة عملية خصبة خاصة عندما يتعلق الأمر بتحليل مفهوم (انظر مختلف أنواع الأسئلة ص ٨٣). لكن بعض الأسئلة من النوع الاستفهامي (الموضوع- السؤال انظر ص٨٤) تستدعي هي أيضًا تحليلًا من النوع التدرجي. علىٰ غرار الأسئلة التالية: «ما الشخص؟»، أو «ما التقدم؟» التي تتعلق في الواقع بتصورات أو مفاهيم. في كلتا الحالتين يظهر البناء التدرجي ممكنًا ومرغوبًا في الوقت نفسه.

تقتضي الطريقة التدرجية إذن، بناء ووضع تعريفات متتالية للمفهوم أو للتصور المقصود انطلاقًا من وجهات نظر مختلفة، تعريفات أكثر تعقيدًا وغنىٰ، بطريقة نبرز بها ونفسر ماهية المصطلح الذي يتطلب التحليل: يتعلق الأمر بالقيام بتوضيح حقيقي للمفهوم أو للتصور.

* **الأمثلة:**

- **الموضوع:** «ما التربية الناجحة؟»
- **القسم الأول:** هي تطبيق لآليات مناسبة لضمان تطور الكائن البشري وتلاؤمه الاجتماعي التام.
  في هذا المستوىٰ تعتبر التربية الناجحة مسار اندماج اجتماعي (المستوىٰ الأوَّلي).
- **القسم الثاني:** هي نوع من التهذيب الذي من شأنه أن يؤدي إلىٰ تكوين الشخص (المستوىٰ الأخلاقي).
- **القسم الثالث:** هي مسار يتعلق بالانتقال من الطبيعة إلىٰ الحرية (المستوىٰ الميتافيزيقي، انظر كانط).

يكون «النجاح» في المستوىٰ الأول اجتماعيًّا، وأخلاقيا في المستوىٰ الثاني، وميتافيزيقيًّا في المستوىٰ الثالث يكون.

الطريقة الاستقصائية

*** تعريف:**

هذه الطريقة مناسبة للسؤال الخاص بتحليل مفهوم، تحليل يتعلق إما بمقاربة تدرجية وإما بالبنية الاستقصائية الكلاسيكية، أي وفق مخطط «الطبيعة، الوجود، والقيمة.» يتم التحليل إذن مبدئيًا، باتباع الخطة التالية:

- **القسم الأول:** طبيعة ومعنىٰ المفهوم.
- **القسم الثاني:** وجوده.
- **القسم الثالث:** قيمته.

تقتضي الطريقة الاستقصائية الاستفهام أولًا حول ماهية أو مضمون المفهوم، وجعل التحليل يتوجه في حركة أولىٰ، نحو طبيعة المفهوم، ثم إلىٰ مشكلة وجوده، والانتقال أخيرًا في حركة ثالثة، من الواقع إلىٰ القيمة.

لا يرتبط كل سؤال يتناول تحليل مفهوم، آليًا بهذه البنية «طبيعة، وجود، قيمة»: هذه الأخيرة مناسبة أحيانا للموضوع، واستعمالها ملائم لبعض الأسئلة (مثل: «فكرة الجمال»، «فكرة الإمكان»، «فكرة الصدفة» . . .)، بينما يتطلب البعض الآخر من الأسئلة مقاربة تدرجية، بوضع «تعريف أوّلي»، ثم الانتقال إلىٰ تعريف عقلاني جديد، للتوصل أخيرًا إلىٰ تعريف ثالث «فوق عقلاني».

يجب التحلّي عند دراسة مفهوم، بالدقة من أجل تحقيق تحليل مَرِن متناسب مع الحقل السيمانطيقي والمفاهيمي المدروس.

*** أمثلة:**

الموضوع: «الإمكان».

- **التعريف والطبيعة**: خاصية ما لا يملك في ذاته مبدأ وجود.
- **الوجود**: الوجود هو أن تكون هنا. إذن فالإمكان موجود. إنه معطىٰ أساسي للوجود. «المهم هو الإمكان». (سارتر).
- **القيمة**: أليس التركيز علىٰ الإمكان هو إظهار أن الموجود حر، وأنه مدعو علىٰ خلفية الإمكان، إلىٰ خلق قيم؟ وعليه ففكرة الإمكان جديرة بلعب دور في الفكر والتحليل الفلسفيَّيْن.

طريقة المقارنة بين التصورات أو المفاهيم

*** تعريف:**

تقتضي هذه الطريقة مقابلة وتقريب تصوُّرَيْن أو أكثر سواء من أجل المقارنة بينهم أو إرساء نسق من العلاقات فيما بينهم. تقوم عملية تحليل السؤال إذن بتحديد نوع المقاربة مناسبة لموضوع السؤال المقارنة أو العلائقية.

مقابلة تصورين

- التحليل المقارن. مثال: «التصور والفكرة»، «القوة والعنف» . . . إلخ.

يجب التذكير أولًا، أنه في حال غياب قاعدة عامة للنقاش فإنه لا يجب بأي حال وضع مقالتين جنبًا إلىٰ جنب في التحليل المقارن. إنّ الوحدة العضوية للمصطلحين هي التي يجب أن تطرح مشكلة بالنسبة إلىٰ المحرر.

بالمقابل، تلعب دراسة معنىٰ المصطلحات دورًا رئيسًا. وليس هناك في الأخير، معنىٰ محدد ومضبوط مطلقًا للموضوع. هذا اللاتحديد يمكن أن يكون خطرًا بالنسبة إلىٰ الطالب، الذي يمكن أن يتجاهل افتراضات مهمة أو غنية.

- التحليل العلائقي. مثال: «الحقيقة والذاتية».

من الواضح أن الأمر لا يتعلق مطلقًا، في مثل هذا النوع من الأسئلة، بالمقارنة بين التصورين بل بوضع نسق من العلاقات (التبادلية) بين الذاتية والحقيقة. تكون الخطة الممكنة علىٰ النحو الآتي:

- يمكن للذاتية المعرّفة كجملة من الخصائص المميزة لذات ما، أن تقود إلىٰ الحقيقة، وإلىٰ إدراك نوع من الواقع الحقيقي.
- تسمح الذاتية المعرّفة كحياة واعية وداخلية بالتوصل أيضًا إلىٰ الحقيقة.
- وبشكل تبادلي، إنّ المطابق للواقع (الحقيقة) هو الذي يمنح دعامة للذاتية في معناها المزدوج. إنّ الفضاء الوحيد الذي

يمكن أن تتحرك فيه فعليًّا الذاتية، هو النور الحقيقي المنير للإنسان. فالحقيقة ملزمة لجميع العقول ولجميع صور الذاتية.

- (القسم الاختياري): يتطلب الكائن، أي ما هو موجود فعليًّا، الجدل بين المصطلحين، الذاتية والحقيقة، والانتقال من الأولىٰ إلىٰ الثانية. فهو يتمظهر من خلال هذين الواقعين.

المقابلة بين تصورات عديدة

مثال: الحسرة، الندم، التوبة.

تستلزم هذه المقابلة عملًا مقارنًا، وعليه فنحن مجبرون إذن علىٰ العودة إلىٰ التحليل الأول. يمكن للتحليل المقارن والتحليل العلائقي أن يعضد كل منهما الآخر (كما هو الحال عند مقابلة تصورين).

الصورة الممكنة للتحليل

* **طريقة من الشكل المقارن:**

- **القسم الأول:** ضبط وتعميق المفاهيم.
- **القسم الثاني:** تمييز المصطلحات ومناقضتها.
- **القسم الثالث:** التركيب، الذي يمكن أن يقود إلىٰ الوحدة الفعلية، حسب المصطلحات المتناولة.

* **طريقة من الشكل العلائقي**

- **النموذج الأول (بين تصورين)**

- **القسم الأول:** يقود التصور «أ» إلىٰ التصور «ب» ويحدده.
- **القسم الثاني:** يقود التصور «ب» إلىٰ التصور «أ» ويحدده.
- **القسم الثالث:** فحص الوحدة الحقيقية المفسرة للعلاقة.

* **النموذج الثاني (بين تصورين أو أكثر)**

- **القسم الأول:** ضبط التصورات.
- **القسم الثاني:** فحص العلاقات (التبادلية) بين التصورات.
- **القسم الثالث:** الفحص النقدي المتعلق بقيمة العلاقات المتصورة.

الطرق				الصعوبات أو المشكلات المرتبطة بكل طريقة	فائدة كل طريقة
الجدلية	الأطروحة	نقيض الأطروحة	التركيب	لا يجب صياغة تركيب انتقائي وآلي	فائدة بلاغية، منطقية وخلّاقة
التدرجية	تعريف أولي أول	تعريف ثانٍ مطابق للعقل	تعريف ثالث مجاوز للعقل	المشكلة الرئيسة: القيام بتوضيح فعلي للمفهوم في كل مرحلة	تدرج خصب للفكر
الاستقصائية	تعريف أول	تعريف ثانٍ	تعريف ثالث	الشيء نفسه	الشيء نفسه
	الطبيعة	الوجود	القيمة	يجب علىٰ المحرر أن يكون قادرًا علىٰ الفصل بين مشكلات الماهية (الطبيعة) والوجود بوضوح	تسمح بالقيام بتحليل تركيبي جدًا: علىٰ جميع الأصعدة (الماهية، الوجود، القيمة.. إلخ).
مقابلة بين تصورات أو مفاهيم	ضبط المفاهيم	اختلاف أو تعارض	تركيب	الصعوبات الأساسية: لا يجب الوقوع في فخ المعالجة المنفصلة لكل تصور أو مفهوم.	خصوبة جدلية إذا كانت المواجهة موجهة بشكل جيد.

خلاصة

حول مختلف أنواع الطرق واستعمالها

هناك أنواع مختلفة من المقالة ويمكن أن تفيدك: فهي تمنحك فنيّات وسبل النقاش وتسمح لك بامتلاك إطار يجعلك تتفادىٰ الارتجال.

تعكس أنواع المقالة هذه أشكالًا مرنة، وليس أطرًا جامدة. فمن الممكن والمستحب غالبًا التنسيق بينها. وهكذا يمكن أن يندرج ضمن الطريقة الجدلية شكل تدرجي، وذلك من خلال التعمق في التصورات أو المفاهيم. بالمقابل لا يجب البقاء حبيس بنية ثلاثية سبق وأن نصحنا بها. يمكن أحيانا أن يشكّل تقسيم المقالة إلىٰ قسمين أو إلىٰ أربعة أقسام، وفق الموضوع، إطارًا جيدًا للتفكير. يقود عدم التمييز بين استراتيجية النقاش والطريقة الجامدة إلىٰ إغفال وجود إشكالية خاصة محايثة لكل سؤال، وفي النهاية رفض الخصائص المميزة للنقاش الفلسفي.

(٩) كيفية تحضير المقالة

كيف نقوم بتحليل موضوع؟ يتعين، عند التعرف علىٰ مخاطر ومبادئ المقالة، الاستئناس بمنهج يتضمن آليات وقواعد عمل: إنّ عملَ التحضير حاسمٌ في جميع جزئياته.

مخاطر ومبادئ العمل

المخاطر

تتضمن المقالة، مثلها مثل جميع نشاطات الفكر، مخاطر تهدد دقة ونوعية الاستفهام الفلسفي. يسمح العرض المقتضب لهذه المخاطر بالتوجيه الحسن لعمل التحضير اللاحق.

- الخروج عن الموضوع هو أحد المخاطر الأكثر انتشارًا. ويقتضي تحرير مقالة حول موضوع مشابه أو مغاير تمامًا للموضوع المطروح ضمنيًا للتفكير، والتفكير خارج الموضوع وبالأخص خارج المشكلة المحددة: يكون المترشح إما ضحية لخروج جزئي ومحدود عن الموضوع (مثال: يدرك الإشكالية في المقدمة ويتحاشاها في بقية العرض)، أو يخرج كلية عن الموضوع (مثال: يُسأل الطالب عن الفكرة فيتناول التصور بالتحليل).

لا يجب إذن التعامل مع الأسئلة بطريقة سطحية، خاطئة ووجلة من شأنها أن تؤدي إلىٰ الخروج عن الموضوع.

إنّ الأسباب الرئيسة الكامنة وراء الخروج عن الموضوع هي عدم ضبط المصطلحات أو المفاهيم، غياب التحليل العميق، عدم القدرة علىٰ الإحاطة بالإشكالية الحقيقية وإبراز المشكلة الأساسية. عندئذ يحل الاستظهار السلبي

محل الإشكالية المضبوطة. ومنه ينحرف الطالب نحو مشكلة أخرىٰ أو حتىٰ نحو موضوع آخر.

بكلمة واحدة نقول: إنّ الخروج عن الموضوع ينشأ من الخوف من المجهول ومن عدم الرغبة في الخوض في سؤال جديد بتحليل مجدد وشخصي.

نعرض هنا بعض النصائح العملية:

- القراءة المتأنية للموضوع: لا يجب البدء في التحرير قبل تحقيق فحص دقيق والقيام بقراءة متعمقة في كل مصطلح، قراءة تحليلية وتركيبية، في الوقت نفسه هدفها الإحاطة بالمصطلحات في علاقاتها المتبادلة. فالمصطلحات والعبارات تكتسب معنىٰ في علاقاتها بعضها ببعض. يسمح هذا الإيضاح «الجدلي» بتجنب الخروج عن الموضوع.
- الإحاطة جيدًا بالمشكلة الخاصة التي تطرحها التصورات المتناولة. يجب تفادي كل توسع في الموضوع حين يبدأ في التشعب، إلخ.
- يجب الحذر من الأقواس ومن الاستطراد؛ فذلك يشتت وحدة الموضوع ويجعل القارئ يتيه في سبل وطرق غير ضرورية.
- يجب إحلال التفكير اليقظ والشخصي محل الاستظهار السلبي، وتفادي استعراض المعارف والخوض في تاريخ الفلسفة، إلخ.
- غياب الدقة والتنسيق. إنّ غياب النظام الفعلي في التفكير هو عيب آخر كثير الانتشار. يجد القارئ خلطًا في الوقت الذي يكون يبحث فيه عن الوحدة، وجملة من الآراء عوض فكرة كلية منطقية ومتناسقة. هنا تنقصه دقة الاستفهام. فما هو

معروض أمام المصحح، هو تركيب لأجزاء دون تحليل فعلي ولا عرض دقيق. ولتجنب هذا الخطأ ينصح بـ:

- الصياغة الجيدة أثناء العمل التحضيري، لفكرة أساسية تمنح وحدة ودقة لمجمل الموضوع. تسطر هذه الفكرة الطريق الرئيس والخط المنطقي. ومن الضروري أن تظهر في المقدمة وأن يتم شرحها خلال كل مسار التحليل، ثم تأكيدها في النتيجة. تشير الفكرة إذن في هذا المنظور، إلىٰ مبدأ نظام ووضوح. بفضلها يكون للمحاجة والنقاش نقطة انطلاق وصيرورة ونتيجة. إن الفكرة هي التي تتجسد في كل الموضوع: وينصح ببنائها بدقة لتجنب الخلط ولتحقيق الدقة والتناسق.

- التحليل الجزئي. أحد أكثر العيوب شيوعًا وانتشارًا في كثير من مقالات الطلبة، ويتمثل في النزوع إلىٰ تفضيل نوع واحد من التحليل والإجابة والالتزام به بطريقة جزئية وأحادية الجانب.

لدينا الموضوع التالي: «هل الحرية هي تقبّل الضرورة؟» يمكن أن تكون الإجابة أحادية الجانب والجزئية، التي تختزل السؤال والمشكلة في بُعد واحد هي الآتية: الحرية تعني تقبل الضرورة -وهو يجب أن يكون- ونظام الأشياء. إنّ الطالب الذي يقدم الإجابة أحادية الجانب هذه، يتجاهل خصوبة الإشكالية ولا يركز علىٰ موضوع الحرية المعرّفة كتلقائية عفوية (وبالنتيجة البعيدة جدًّا عن تقبّل الضرورة). في هذا المنظور ترتسم إذن إجابة واحدة (إيجابية) للسؤال المطروح. وبذلك يتجاهل الطالب تعددية الحلول أو الأجوبة. ويفضّل عنصرًا تمثيليًا واحدًا (تحليلات هيغل، إنجلز ... إلخ). ويظهر غير مُدرك للمعنىٰ الكلي للعرض.

في الواقع، يستدعي السؤال المطروح إشكالية تركيبية. تتمثل المخاطرة الرئيسة في عدم فحص سوىٰ نوع واحد من الأجوبة. وذلك يعني إفراغ الإشكالية وتناولها وَفق وجهة نظر اختزالية. كما يعني التغاضي عن خصوبة الحياة والفكر. علىٰ المقالة الفلسفية أن تتجنب كل وجهة نظر أحادية أو جزئية، وكذا كل تحليل لا يتناول إلا بُعدًا واحدًا من السؤال والمشكلة. إنّ وجهة النظر المبالغة في الخصوصية تلغي تعددية المنظورات وديناميكية الوجود.

- التحليل السطحي. إذا كان التحليل الجزئي لا يتناول إلا بُعدًا واحدًا من الموضوع، فإن التحليل السطحي يعالج كل شيء ولا شيء في الوقت نفسه. فهو لا يتعمق في أي موضوع، ويكتفي برؤية سطحية لا متقصّية ولا مفهومية. إنه ليس تفكيرًا فعليًّا بل نقاش يطول بلا تعمّق.

كيف نتجنب هذا النوع من التحليل؟

- بالقيام بتحليل مفهومي نسقي يحدد المعاني المختلفة للمصطلحات ويوجّه مسعىٰ ضبط المفاهيم المعقد نحو غايته الحقيقية: فالتعمق المفاهيمي هو الذي يسمح بتجنب السطحية.
- ثم، بعدم الإكثار من الأمثلة غير المعبّرة والسطحية، ومن التمثيلات المزيفة.

- الرطانة والتحذلق. يقتضي فعل التفلسف ممارسة موهبة العقل بالاستعانة بمفاهيم مضبوطة بدقة. ولذلك فمن الضروري الابتعاد عن التكلّف في اللغة. يقول بيلافال «إننا نتحرز من «الرطانة»، ليس للعناء الذي تثيره فينا، عندما يكون هذا العناء مثمرًا، بل كم مرة يتحول فيها النص الذي يبدو علميًّا إلىٰ ثرثرة بعدما يترجم في أفكار واضحة وبيّنة، أي في لغة

عادية! إذا كانت الفلسفة جهدًا لمعرفة فحوىٰ الكلام، فإنّ نزاهة هذا الجهد تتفق جيدًا فيما يبدو، مع اللغة الأكثر بساطة»[١]. أما بالنسبة إلىٰ اللجوء إلىٰ اللغة التقنية، فذلك لا يعني أبدًا رطانة لغوية، بل مقتضىٰ وضوح حقيقي وتحديد مضبوط للتصورات.

*** ما الذي يجب فعله لتجنب هذا الانغلاق اللامعقول عديم المعنىٰ؟ هذه بعض القواعد البسيطة:**

- لا يجب استعمال تصور أو مصطلح فلسفي إلا إذا كان في إمكانك تعريفه بأكبر قدر من التحديد.
- عليك بوضع معجم مفردات خاص بك يمكّنك من التعامل مع المصطلحات الفلسفية. يمكن أن يتضمن هذا المعجم مصطلحات مثل «المتعالي» و«الرد الماهوي».. إلخ، كأدوات بحث موضحة.
- تناسي القواعد الصورية للمقالة. من بين العيوب التي يجب تجنبها أخيرًا، نذكر تناسي القواعد الشكلية في كل عرض، فغياب المقدمة، والعرض الحجاجي، والخاتمة، والميل إلىٰ تحرير فقرات متراصة، غير منفصلة وبلا رابط، تُشكّل كلها نواقص وثغرات ومخاطر.

إذا ما تم تجنب هذه المخاطر والعيوب المختلفة، فما هي مبادئ العمل الضابطة لاستراتيجية العرض والبيان، والموجهة لعمل التحضير؟

(١) Belaval, Les philosophes et leur langage, "Tel", Gallimard, p 141.

مبادئ العمل

- يجب الإشارة أولًا إلىٰ قاعدة التحليل المفاهيمي الدقيقة، التي سنتناولها بإسهاب (انظر ص١١٠). فهي التي يجب أن توجّه عمل الطلبة. لنأخذ علىٰ سبيل المثال: ملحوظات لجنة تصحيح امتحان الدخول إلىٰ معهد الدراسات السياسية بباريس (سنة تحضيرية، حصيلة سنة ١٩٨٩، السؤال: «هل من العدل تعريف اليوتوبيا كحلم بلا طائل؟»):

كان الخطأ الأكثر انتشارًا والأكثر خطورة [...] هو الاستعمال الغامض والسقيم للمفاهيم، وخصوصًا مفهوم اليوتوبيا الرئيس. فقد أدّىٰ عدم التمييز بينه وبين «الفكرة الكاذبة»، «الحلم»، «الوهم»، «الأسطورة»، «المثل»، «الأيديولوجيا»، «الخيال العلمي» ... إلخ، وكذا رده إلىٰ الاستعمال المبتذل للوصف «يوتوبي»، أدىٰ إلىٰ تجاهل مصطلح اليوتوبيا. وعليه فإنّ هذه القاعدة ضرورية إذن.

- مبدأ النظام. علىٰ المقالة الفلسفية أن تكون تعبيرًا وتمظهرًا للنظام: يتعلق الأمر دائمًا، كما يقول ديكارت، بإضفاء طابع النظام علىٰ الأشياء غير المنتظمة طبيعيًّا. عليك القيام بحركة في اتجاه محدد، فكل مصطلح وكل عنصر يقود، عبر رابطة وتنظيم، وبفضل التطور والتدرج، إلىٰ مصطلح آخر. يجب احترام هذا التدرج من البسيط إلىٰ المعقد بأي شكل، ويجب أن يصاحب بعملية انتقال من تحليل إلىٰ آخر ومن منظورية إلىٰ أخرىٰ. في غياب الانتقال يغيب النظام، التقدم والدقة. يحيل الانتقال إلىٰ البنية المهيكلة للكل

والتي تشكل تمظهره، إنها بنية منظمة بالفكرة المنسقة التي توحّد الكل من البداية إلىٰ النهاية.

- مبدأ الدقة. تلتزم المقالة الفلسفية بقواعد ضرورية ويجب أن تعرض نظامًا ظاهرًا وفق منطق صارم، دون الاستعانة بعناصر خارجة عن الموضوع الأصل. عليها أن تكون دقيقة. لا يتعلق الأمر بعرض تجميعي لوجهات نظر بطريقة اعتباطية، بل بالمضي وفق تسلسل منطقي، من خلال السعي إلىٰ تبرير كل تأكيد بطريقة متناسقة. فإنّ عجزنا عن تبرير حلقة واحدة من السلسلة فإن مصير هذه الدقة هو الفشل. وعليه فليس هناك داعٍ لتكديس الحجج، بل المهم هو العمل وفق منطق محايث لكل الموضوع، وذلك بعرض جميع مقتضيات الطريقة.

من الضروري أن تكون الدقة الفلسفية «تساؤلية».

- مبدأ «التساؤل». من واجب المقالة فعلًا أن تتأسس علىٰ تساؤل أو استغراب. من شأن هذا التساؤل المنظم أن يشكل جزءًا من إشكالية المقالة. إذا كانت المقالة الفلسفية دوغمائية أكثر منها تساؤلية، و«منغلقة» أكثر منها «منفتحة» و«مؤشكلة»، فإن ذلك سيكون مدعاة لهدم أحد أهم المبادئ التي تنبني عليها.

«سنجد أنفسنا عندئذ أمام ثرثرة [. . .] أو أمام «عملية تركيب» لمقولات ومعلومات (Topos) لا تقدم أية إضافة لفهم الموضوع».

تحضير المقالة

المعنى الكلي لهذه المرحلة

ما الغاية الرئيسة من التحضير؟ الغاية من ذلك تحويل السؤال إلىٰ إشكالية وبناء المحاجة لاحقة منظمة ودقيقة. فبفضل عمل التحضير نتوصل إلىٰ اكتشاف المشكلة الفلسفية المتضمنة في السؤال. وتسمح المشكلة ذاتها بتنظيم استراتيجية نقاش. تقتضي الاستراتيجية هنا الطرح الجيد للمشكلات وفسح المجال لتقديم بعض الأجوبة غير الدوغمائية علىٰ الأسئلة والمشكلات. وبذلك تضع المراحل التحضيرية مخططًا للمحاجة النهائية المتناسقة والمنظمة. يسمح هذا العمل بالتملص من العجز الأولي للفكر، ومن الأفكار التقليدية، ومن القوالب المختلفة.

ما دام الهدف هو التحكم في منهج التحضير ذاته، فإننا سنستند في الصفحات والفصول اللاحقة، علىٰ ثلاثة أمثلة تمثل أنواع المواضيع المصادفة.

- **الموضوع (رقم ١)**: «هل يمكن أن توجد حقائق جزئية؟» (موضوع سؤال).
- **الموضوع (رقم ٢)**: «المتوسط والمباشر» (مقارنة مفهومين).
- **الموضوع (رقم ٣)**: «متذوق الجمال» (ضبط مفهوم).

يتناول هذا الفصل طريقة تحضير الموضوع الأول بالتفصيل. أما الموضوعان الآخران فسيُشار فقط إلىٰ النقاط الأساسية لتحليلهما، وستدرج هذه الإشارات مع الأمثلة المتعلقة بالتحرير الكلي في الفصل الحادي عشر.

أدوات التفكير

لديك من أجل تحضير مقالتك، مكتسبات عدة تشكّل كلها سبل بحث وتحليل.

- أدوات «الثقافة العامة». تضع الثقافة العامة الفكر في مستوىٰ البعد الكوني. يفترض التوجيه الحسن للمقالة الفلسفية معرفة بالأدب، بالفن، بالمسرح، بالعلوم الإنسانية.. إلخ.
- الأدوات الفلسفية المحضة. عليك بالاطلاع المنتظم علىٰ الأعمال الكبرىٰ للفلاسفة. سيكون عملك التحضيري خصبًا إن استأنست بديكارت، بكانط وبهيغل. عليك بالتشبع بأفكارهم. والقيام بتحليل النصوص الفلسفية الكبرىٰ (انظر قائمة المراجع ص٢٠٩). عليك بالعمل والقلم لا يفارق يدك، قم بتلخيص النصوص وتقليصها. ستشكل هذه المعرفة الفلسفية التي غدت غذاء فكريًا أساسيًا، مادة كل المعارف الفلسفية التي ستعمل علىٰ تكييفها بطريقة حسنة مع مقالتك.

إنّ جميع لجان التصحيح تشير إلىٰ ضرورة الثقافة العامة والفلسفية هذه.

* قراءة السؤال وضبط المصطلحات:

- المطلب الأساسي للجان التصحيح. من أجل معالجة السؤال في خصوصيته، يجب القيام بقراءة متأنية له. تبدو هذه

الملاحظة مفروغًا منها، وتتكرر في جميع تقارير لجان تصحيح، دون أن تحض بالتزام فعلي من الطلبة. جاء في تقرير لجنة تصحيح امتحان الدخول إلىٰ معهد الدراسات السياسية بباريس دورة ١٩٨٩ ما يلي: «المطلب الأول سواء أتعلق الأمر بسؤال مقالة أم بتحليل نص، هو القيام بقراءة متأنية. من الأفضل خصوصًا فيما يخص المقالة، تحليل كل مصطلحات الموضوع وعلاقاتها بدقة».

يجب قراءة وتحليل الموضوع المقترح: هذه هي القاعدة الذهبية المغفلة في الغالب رغم بساطتها. بالنتيجة تغيب معالجة الموضوع وتحديده، ويتهدد الطالب عندئذ خطر الخروج عن الموضوع.

* بعض القواعد الخاصة بقراءة السؤال:

القاعدة الأولىٰ: وتتضمن عنصرين أو مرحلتين: التحليل مع التحديد الدقيق والإيضاح الشامل والتركيبي للعناصر التحليلية المستخرَجة. يجب تعريف كل مصطلح بطريقة دقيقة، غير أن التعريفات لا تكتسي معنىٰ فعلي إلا بالنظر إلىٰ السؤال في كليته. إنّ التعريفات لا يمكن أن تُدرك بمعزل عن بعضها البعض. يتمثل التحديد المفاهيمي إذن في إظهار رابطة، وفي العلاقة الحية الموجودة بين مختلف المصطلحات أو المفاهيم.

القاعدة الثانية: ما دامت العلاقة تحدد العمل، فمن الضروري السعي في حدود الممكن، لتحديد المفهوم الفلسفي الأكثر أهمية في السؤال، أي ذلك الذي يسائل في العمق السؤال ويحدد الإشكالية.

القاعدة الثالثة: لا يجب التوقف أبدًا بطريقة جامدة عند المعاني الأوّلية للغة العامية، بل تجاوزها ودمجها داخل كلٍّ أكثر جيد الصياغة والبناء. إنّ فعل التفلسف هو تحديدًا استكشاف طرق جديدة يتم فيها تصحيح المعاني

المتداولة للمصطلحات، وتعديلها وإعادة صياغتها . . . يتحدد مسار الطالب في هذا المجال باعتباره انتقالًا من المصطلحات إلىٰ المفاهيم، ومن المعاني المتداولة أو التمثلات الأولية إلىٰ المفاهيم الجوهرية.

القاعدة الرابعة: يجب احترام علم أصول الكلمات، أو علم الاشتقاق اللغوي. لقد كان ألان (Alain) يُولِيه أولوية كبرىٰ ويرجع إليه دائمًا: «النبل: من الناحية اللفظية سمو النفس، وهي فضيلة تقتضي عدم الاكتراث بصغار الناس، وبصغائر الأمور والوسائل، وبكل ما يحط من النفس عمومًا. «كما أن أمثلة التحليل الاشتقاقي المنتشرة كثيرًا تُشكّل جزءًا من التساؤل ذاته ومصدرًا من مصادر فكرنا. يلجأ كامو Camus» أيضًا في «الإنسان المتمرد» إلىٰ هذا العلم: «إنّ المتمرد بالمعنىٰ الاشتقاقي يبدل موقفه فجأة. لقد كان يسير تحت سوط السيد، فإذا به يقف موقف المجابهة، إنه يقابل بين ما هو مُفضّل وغير مفضل»[١]. رغم ذلك وتوخّيًا للحذر، نلفت انتباه طلبة الليسانس والمدارس التحضيرية أنه لا يجب الاعتماد علىٰ الاشتقاق اللغوي في كل شيء.

القاعدة الخامسة: المتعلقة بدراسة مختلف الدوائر السيمنطيقية أو المفاهيمية التي يرتبط بها هذا المصطلح أو ذاك. إنّ المثال الأكثر دلالة يمكن أن يكون مفهوم الحرية، المستعمل في المجال السياسي، والميتافيزيقي، والتاريخي، والفيزيائي.. إلخ. يجب التساؤل حول مجال انتماء كل مصطلح مهم.

القاعدة السادسة: قاعدة جرد المفاهيم. يتعلق الأمر عند تناول أي مصطلح، بوضع جرد للمصطلحات المشتقة أو المتعارضة، جرد يعكس شكلًا

---

(١) Albert Camus, l'homme revolte, op.cit., p 26.

ألبرت كامو، الإنسان المتمرد، ترجمة نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣، (ص/١٩).

أساسيًّا من العمل. إن عمليات جرد المصطلحات ضرورية هنا، ويجب عند قراءة الموضوع، وضع قوائم لـ:

- المصطلحات المتقاربة: مثال ذلك، إذا كان السؤال يتضمن مصطلح السعادة، فإن مصطلحات الغبطة، البهجة، الراحة، الابتهاج، الفرح، الرضا.. إلخ ستكون مفيدة لك. يسمح هذا الجرد المفاهيمي أو السيمنطيقي عندما نحاول تناول موضوع ما، بتمييز معنىٰ المصطلحات بشكل دقيق، والعمل وَفق تعريفات محددة بدقة. يمكننا القيام بنفس العمل فيما يخص مصطلح الحرية ووضع قائمة مصطلحات متقاربة: الاستقلالية، التحرر، القدر الحر، التلقائية.. إلخ.

(١) المصطلحات المتضادة أو المتعاكسة أو المتناقضة: إذا أخذنا مصطلح السعادة فسيكون لدينا: التعاسة، سوء الحظ، المصيبة، الشؤم.. إلخ. أما القائمة التي تخص مصطلح الحرية فهي طويلة ودالة: التبعية، العبودية، الرق، الإخضاع، الإكراه، الإعاقة، القهر، الحتمية، القدر، الضرورة.. إلخ، وهي كلها مصطلحات أو مفاهيم يجب الإحاطة بها.

(٢) المصطلحات التي هي في علاقة منطقية مع المصطلح أو المفهوم المتناول، بمعنىٰ آخر المصطلحات التي تسمح بتحديده أو تلك التي يتوقف تعريفه عليها. لنقدم أمثلة علىٰ ذلك، لدينا مصطلح «علة»: إنه مرتبط منطقيًّا بالنتيجة، ولكن أيضًا بالحتمية إلخ. لدينا المصطلح «لاعقلاني»: إنه مرتبط منطقيًّا بالمعنىٰ، وبالعبث، وبالصدفة إلخ. العنف مرتبط بالرغبة، وبالحرب، وبالتاريخ.. إلخ. يمكن لعملية تحديد الروابط بين المفاهيم أو التصورات هذه أن تيسر

استراتيجية المقالة كلها لاحقًا. إنها تشير إلىٰ أداة بحث عن التساؤل والإشكالية.

كخلاصة نقول: إنّ قراءة الموضوع تعني تعريف كل مصطلح بطريقة دقيقة في سياق السؤال، ووضع قائمة أولىٰ من المفاهيم المتقاربة، المتضادة أو المرتبطة منطقيًّا بالمفهوم المتناول، دون إهمال مختلف الحقول السيمنطيقية التي يمكن أن توضح هذا المفهوم أو ذاك.

- مثال: قراءة الموضوع وضبط المصطلحات.
- السؤال: «هل يمكن وجود حقائق جزئية؟»

لدينا هنا موضوع مطروح في شكل سؤال (الاحتمال الوارد جدًّا): فيم تتمثل قراءة الموضوع؟

لنطبق القاعدة الأولىٰ (التحديد الدقيق للمصطلحات وتوضيح علاقاتهم).
أولًا تحديد المصطلحات.

- لنربط أنفسنا بالصيغة «هل يمكن؟»، يثير الفعل «يمكن» هنا استفهامًا من مستويين: إنه يسائل حول إمكانية ولكن أيضًا شرعية -هذه الأخيرة تشير هنا إلىٰ ما من حقنا تصوره طبقًا لأحكام المنطق- المفهوم المستفهم حوله. تقود الأولوية الموكلة لوجهة النظر الكلية حول المنظورية التحليلية إلىٰ عدم إغفال أي من الاستفهامين.
- «وجود»: يحيل الفعل إلىٰ مشكلة الوجود.
- «حقائق» صفة الجمع النكرة تحيل إلىٰ البعد المتعدد للحقائق.
- «الحقيقة»: يشير لفظ الحقيقة، إذا ما أردنا منحه تصورًا أوليًّا، ما يمكن ويجب علىٰ العقل أن يتقبله نتيجة تطابق المعرفة مع موضوع التفكير.

- «جزئية»: ما الذي تعنيه هذه الصفة؟ الجزئي هو ما لا يشكل إلا جزءًا من كل، ما هو متقطع، ما ليس بكل وأيضا ما لا يوجد إلا جزئيًا. ومنه يبدو لنا الجزئي إما كمتقطع وإما كغير مكتمل. وفق هذا المعنىٰ المزدوج تجدر الإشارة إلىٰ الحمولة السلبية لهذا المصطلح.

* لننظر الآن في العلاقات بين المصطلحات:

- يخص التساؤل «هل يمكن؟» بشكل ظاهر العبارة «حقائق جزئية» وليس فقط مصطلح «الحقيقة». (فالموضوع يتضمن فكرة أن الحقيقة موجودة: فنقطة الانطلاق ليست شكّية).

- فكرة الحقيقة الجزئية مساءلة بقوة في منطوق السؤال. يقترح التساؤل «هل يمكن؟» أن الحقيقة تتعلق عادةً بنظرة واحدة وكونية. (فهي معتبرة إذن كواحدة ومطلقة).

- تطرح صفة «جزئية» فكرة المطابقة الكلية من حيث المبدأ، التي يتضمنها مصطلح «الحقيقة». ويقود إلىٰ التساؤل حول ما معنىٰ المطابقة الكلية، ولكن غير التامة. تبدو العبارة في ذاتها متناقضة. ومنه تتضمن العبارة «حقائق جزئية» إذن تناقضًا ملازمًا للسؤال.

لنعُد إلىٰ القاعدة التي تخص البحث عن المصطلح أو العبارة الرئيسة. في الواقع يؤدي المصطلح والعبارة هنا بوظيفة مركزية.

أولًا، من البديهي أن مفهوم الحقيقة يجب أن يلعب دورًا حاسمًا في سَيْر المقالة. ومن خلال فحصه المتأني تنتج الإجابة عن السؤال. تقود مساءلة هذا المفهوم إلىٰ طرح سلسلة من الأسئلة والمشكلات الفلسفية. لكن عبارة «حقائق جزئية» ليست أقل أهمية: لقد لاحظنا فيها تناقضًا من شأنه توجيه النقاش.

بهذا يكون في متناولنا سبيلان لمعالجة إشكاليتنا: السبيل الأول خاص بفحص مفهوم الحقيقة والثاني يتعلق بالتناقض الداخلي الذي تتضمنه العبارة «حقائق جزئية».

يبدو هذا الموضوع إذن من زاوية ما، سهل التناول: إنه يتطلب معارف مكتسبة خلال السنة، وهي معارف يحددها ويعمّقها التعليم العالي.

يجب الحذر هنا! فخطر الخروج عن الموضوع (الناجم عن تراكم المعارف) يبدو محتملًا جدًّا. لذلك يجب دائمًا الحرص علىٰ البقاء بمقربة السؤال والمشكلة المطروحة.

*** عند تطبيق قاعدة جرد المفاهيم فإنه:**

- يمكن تقريب مصطلح الحقيقة من مصطلح الصادق، وأيضًا من مصطلحات الصحة والصدقية. فيما يخص علاقة التبعية، تجدر الإشارة إلىٰ العلاقة بين المصطلحات أو المفاهيم التالية: الحكم، والفكرة، والصادق والكاذب(الصادق والكاذب هما ميزتا الحكم، يجب الإشارة إلىٰ أنّ الصادق يندرج ضمن المصطلحات المتقاربة والتابعة في الوقت نفسه)، واليقين، والرأي، والاعتقاد، والصلاحية، والبداهة، إلخ. أخيرًا تتعارض الحقيقة مع الخطأ، والغلط، والوهم، والكذب ... إلخ.

- يتقارب الجزئي من المتقطع وغير المكتمل، إن هذا المصطلح يعاكس المكتمل، والتام، والشامل، والكلي.. إلخ. وهو في علاقة تبعية مع مصطلحات التحليل، والتفكيك، والمتقطع.. إلخ.

في هذه الحالة بالذات ستكون وظيفة جرد المفاهيم علىٰ الأخص استثارة الأفكار الموجودة فينا. عليك هنا استخدام جميع معارفك، وسيسمح لك هذا الاستخدام المرن لبعضها بمباشرة التساؤل.

*** تقتضي قراءة الموضوع ما يلي:**

- حصر المفاهيم والمعاني المحددة لمصطلحات السؤال، مفاهيم مناسبة للسؤال في شكله الفريد والمتفرد.
- القدرة علىٰ ربط بعضها ببعض في عمل موحد. وبذلك تختلف قراءة الموضوع بعمق عن مجرد عمل معجمي؛ لأنه يجب ربط معنىٰ كل مصطلح بوحدة الموضوع.
- تحليل بعض المعاني المضمرة أو المفترضة المرتبطة بالمصطلحات التي يتضمنها السؤال. في سؤال «حقائق جزئية» يخص المعنىٰ المفترض، الجزئي معتبرًا في حصريته.

البحث عن المعنى الإجمالي للسؤال

يعكس التوصل إلىٰ معنىٰ أوّلي للسؤال هدف عملية القراءة، يتعلق الأمر الآن بشرح وتوضيح هذا المعنىٰ الأول. فمن خلال التوصل إلىٰ سؤال كلي واضح ومفهوم، يكون في مستطاعنا المُضي قدمًا.

سنعرض هنا بعض الأمثلة بالعودة إلىٰ سؤالنا السابق. لدينا السؤال، «هل يمكن وجود حقائق جزئية؟» ما المعنىٰ الذي يمكن استخلاصه؟ لقد لاحظنا أنّ مصطلح الجزئي ليس له أي بُعد أنطولوجي، وأن صفة الحصرية محايثة أو تبدو محايثة لهذا المحمول. إضافة إلىٰ ذلك تم التركيز منذ البداية علىٰ صفة الجمع النكرة. وأخيرًا تظهر لنا العبارة «حقائق جزئية» تناقضًا ضمنيًّا لهذه العبارة وبالنتيجة تناقضًا مُحايثا للسؤال. سيكون في استطاعتنا من خلال ذلك، إعادة صياغة السؤال من ثلاث زوايا ممكنة. يؤدي فحص الزاوية الأولىٰ (الجزئي) إلىٰ فهم معين للسؤال، أو إلىٰ السؤال التالي: هل من الممكن ومن المشروع وجود معارف مطابقة للواقع، لا تخص رغم ذلك إلا القسم أو الجزء فقط، وليس الكل؟ (المعنىٰ الأول). يظهر التناقض الذي يظهره تحليل السؤال عندئذ المحرك الحقيقي لمسار النقاش. وإن أردنا تحديدًا أكبر نقول: إنه بالتركيز علىٰ عبارة «حقائق جزئية» فإننا سنتحصل علىٰ ما يلي: هل من الممكن، ومن المتصور شرعيًّا أن تكون بعض المنطوقات، المعبرة عن علاقات مطابقة تامة بين معرفتنا وموضوعها، ناقصة أو متقطعة رغم ذلك؟ (المعنىٰ الثاني). يمكننا ثالثًا الانطلاق من الشكوك المحتملة المتعلقة بالحقيقة

غير الموحدة وغير الكونية. إذاك يكتسي السؤال هذا المعنىٰ الجديد: هل يمكن وجود حقائق محدودة غير مدرجة في خانة الكوني؟ (المعنىٰ الثالث).

يجب الحذر من البقاء حبيس التحديد الأوّلي لمعنىٰ السؤال. علىٰ هذا الأخير أن يكون مرشدًا، أداة وصورة تطبيقية للطالب، وليس أداة مكبلة أو قاعدة جامدة لا يمكن الحيْد عنها أو نموذجًا ساكنًا. يبقىٰ خطر الخروج عن الموضوع مهددًا دائمًا لجميع الأعمال والنشاطات الفلسفية. وعليه من الضروري أن يكون التحليل الأوّلي لمعنىٰ السؤال أداة سيطرة وتحكم: أي مرشدًا يمكن الرجوع إليه للتحقق من حين إلىٰ آخر بأننا لسنا بعيدين عن الموضوع.

لقد حددت في هذا الموضوع سبل التساؤل الأولية منذ قراءة السؤال. لكننا نكتشفها مرارًا عند كل إعادة صياغة جديدة.

لنتناول الآن كيفية ضبط الإشكالية.

ضبط الإشكالية المنظمة

- العناصر الأساسية للإشكالية: التساؤل، والمشكلة، والرهان، والخطة. خلال المرحلة التحضيرية لبناء العرض -أي بعد تجاوز مرحلة تحديد عن معنىٰ السؤال- نأتي إلىٰ وضع الإشكالية. نذكر مرة أخرىٰ أن هذه الأخيرة تعرّف كفنّ وكعلم الكشف عن المشكلة الفلسفية المتضمنة في السؤال، إنها مكوّنة من عناصر عدة: لا يمكن للتساؤل (تلاعب أسئلة مرتبطة فيما بينها)، المشكلة (الإحراج الرئيس) التي لا يمكن منطقيًّا حلها بشكل نهائي، الرهان الذي يشير إلىٰ أهمية ومغزىٰ المشكلة المطروحة، وأخيرًا، الخطة متصورة كبنية ديناميكية.

- التساؤل. لنرجع مرة أخرىٰ إلىٰ السؤال السابق: «هل يمكن وجود حقائق جزئية؟» بمجرد قراءة الموضوع نرىٰ أن السؤال يوحي بأسئلة وباستفهامات، يجب مفصلتها منطقيًّا في تلاعب مهيكل ومنظَّم. لكن من الواضح أن هذا الأخير غير معطىٰ بشكل قبلي، بل يجب بناؤه. لذلك سنعمل علىٰ طرح الأسئلة هنا بشكل منفتح جدًّا ولا دوغمائي. يتعلق الأمر فقط بصياغة أسس المقالة، وذلك بطرح أسئلة مثل الطالب أمام ورقته البيضاء. في النهاية سيتم تجاهل عدد من هذه الأسئلة التي لا تمثل فائدة فعلية.

بعد طرح الأسئلة يجب أن ينتظم التلاعب بها في بنية منطقية تحمل معنىٰ. عندئذ يمكن للطالب أن يرىٰ فيها مجموعات ممكنة تقدم أجوبة لا دوغمائية للأسئلة المطروحة. بذلك ترتسم المشكلة والخطة المحتملة بين الأسطر.

*** أمثلة تطبيقية. فيما يتعلق بالسؤال السابق، فتحت لنا قراءة الموضوع سبيلين:**

- **السبيل الأول:** التعبير «حقائق جزئية» يتضمن تناقضًا مرتبطًا بمفهوم التطابق.
- **السبيل الثاني:** تحليل مفهوم «الحقيقة».

*** لنتبع أولًا طريق البحث الأول. إنه يقودنا إلىٰ سلسلة من الأسئلة:**

- إذا كانت العبارة «حقائق جزئية» تحيل في الوقت نفسه، إلىٰ تطابق وعدم تطابق الفكر مع موضوعه، ألا يعني ذلك أنه توجد أحكام صادقة وكاذبة؟	
ألا يؤدي بنا ذلك عندئذ إلىٰ خرق مبدأ عدم التناقض؟ هل هذا ممكن ومشروع؟	تذكير بالمبدأ: من المستحيل أن تكون الصفة نفسها مسحوبة ولا مسحوبة في الوقت نفسه علىٰ الموضوع ذاته.
- لكيلا يحترم مبدأ عدم التناقض، ألا يكفي أن لا تحترم أحد شروط مبادئه (الزمن.. إلخ)؟	تكون العلاقة بالموضوع إذن صادقة من زاوية وكاذبة من زاوية أخرىٰ.
هل من المشروع عندئذ تقبل وجود حقائق جزئية؟	

* يمكننا أيضًا اتّباع طريق البحث الثاني:

- هل يمكننا القول: لكل حقيقته (الجزئية)؟ - هل يمكن أن تكون الحقيقة ذاتية وهل تتعدد الحقائق بتعدد الأفراد؟ - هل يمكن أن تكون الحقيقة متعددة ومتكثرة وأن تتمظهر في أشكال عديدة ومختلفة؟ هل فكرة تعددية الحقيقة مشروعة؟ - أليست الحقيقة علىٰ العكس من ذلك واحدة، ومشكلة لكل موحّد وليس لجملة من العناصر المتناثرة؟ - ماذا إن كانت الحقيقة تمثل في النهاية نظامًا مغلقًا ومهيكلًا تمامًا؟ - هل من الممكن أن لا تكون الحقيقة واحدة ومطلقة؟ - أليس مفهوم الحقيقة في النهاية مفهومًا متمردًا، جامحًا وصعب المنال؟ - إذا كانت الحقيقة تتوارىٰ منا، فوَفق أي منهج يمكن بلوغها؟ هل يتم ذلك بالمعاش، وبالمفاهيم، وباللغة.. إلخ؟ ما هي أدوات الصادق؟	يبدو هذا التساؤل مرتبطًا بعدد من التصورات الفلسفية المتعلقة بالحقيقة (انظر السوفسطائيين، سبينوزا، كانط، هيغل، كيركغارد.. إلخ).

وبذلك يفتح التساؤل سبلًا وحقول تفكير متعددة (فحص مبدأ عدم التناقض.. إلخ). لقد أصبح الموضوع عند إخضاعه للسؤال أكثر تعقيدًا وأكثر كثافة.

- **المشكلة.** يجب الآن اختيار المشكلة بطريقة نمنح بها المقالة بنية فعلية، ونُجيب بوضوح عن السؤال. وبالطبع يجب أن يكشف الموضوع ذاته عن المشكلة؛ لأنه في حال حدوث العكس سنقع مباشرة في الخروج عن الموضوع.

لنعُد إلىٰ الموضوع ولنفحص التساؤل المترتب عنه.

إنّ السؤال حول وجود أحكام صادقة وخاطئة في الوقت نفسه، يقودنا مباشرة إلىٰ فحص الحقائق الجزئية ويتحول إلىٰ مشكلة مناسبة، مرتبطة بالموضوع ذاته.

وتقودنا مسألة الطرق الموصلة للواقعي وللحقيقي أيضًا إلىٰ مشكلة مهمة وتوجهنا نحو فكرة المعرفة الجزئية، باستعمال وسائل جزئية.

وأخيرا، يقودنا السؤال «هل من الممكن أن لا تكون الحقيقة واحدة ومطلقة؟» بلا شك إلىٰ منطوق مشكلة رئيسة، ولكن يبدو بالنظر إلىٰ طابعه الطموح جدًّا وغير المحدد، أنه عاجز عن توجيهنا نحو استراتيجية مضبوطة للمقالة.

تجدر الإشارة إلىٰ أن هذه المشكلات الثلاثة تسائل السؤال ذاته. فإن لم تؤدِّ إلىٰ اتخاذ موقف، فإنه لا يمكن القيام بمعالجة مثمرة للسؤال المطروح في الموضوع.

- **الرهان.** ما الرهان الذي تغطيه مختلف المشكلات المطروحة؟ من شأن المشكلة الخاصة بوجود منطوقات صادقة وكاذبة في الوقت نفسه، أن تقودنا إلىٰ الطابع الغامض والعَصي للحقيقة، وأن تسمح لنا بالتعمق في الأوجه الغريبة عن هذا المفهوم. لا يجب إغفال الآثار التأملية لهذه المشكلة. من وجهة النظر هذه يظهر المكسب الفكري إذن جليًّا. بالمقابل، أليس مبدأ عدم التناقض هو

الذي يصبح مساءلًا من خلال طرح المشكلة؟ ما علىٰ المحك يبدو إذن جوهريًا، وهذا من وجهة نظر مزدوجة.

تتضمن أيضًا المشكلة التي تخص سبل تحقيق المعرفة بالواقعي (بالقوة) مكسبًا نظريًا وتأمليًا: ما الذي نأمل بلوغه من الواقعي؟ هذا ما هو مطروح علىٰ المحك من وراء السؤال والمشكلة.

- **اختيار الفكرة الأساسية للمقالة**: المشكلة المتناولة ومحاولة «الإجابة» عن السؤال. يبقىٰ علينا لاستكمال هذا العمل التمهيدي، تحديد الفكرة الأساسية أي الإجابة عن السؤال، إجابة مرتبطة جدًّا بضبط المشكلة ثم رسم الخطة المتصورة كاستراتيجية عرض: إنّ الخطة تعكس المسار الذي يسمح بتقديم إجابة للسؤال وللمشكلة. في هذا المنظور تشير الخطة إلىٰ سيرورة منهجية وديناميكية وليس إلىٰ تنظيم جامد وساكن.

لنعُد إلىٰ سؤالنا السابق. تعكس المشكلة الأولىٰ منطوقًا متناقضًا وتتطلب خطة جدلية، مع تركيب نهائي يتجاوز حدي التناقض، بعدها يعاد دمج الحقائق الجزئية في مسار ديناميكي يمنحها معنىٰ. غير أن التساؤل يتضمن مسلكًا للمضي نحو هذا التركيب: يمكن لبعض المنطوقات أن تكون صادقة تارة وكاذبة تارة أخرىٰ بالنظر إلىٰ زاوية تقييمها. يتمثل المسار الكلي المقصود إذن في تحوّل ديناميكي في المنظورية، يسمح بتجاوز الحدين عن طريق دمجهما. ومنه تكون الإجابة الآتية هي المفضلة: من الممكن أن تكون هناك حقائق جزئية، ومن الضروري إعادة دمجها في الحركة الشاملة للفكر والحياة. بهذا نكون قد اخترنا، من جهة المشكلة التي يجب معالجتها ومن جهة أخرىٰ، الإجابة عن السؤال. هذا الاختيار المزدوج سيوجّه استراتيجية الخطة.

تقودنا المشكلة الثانية (بلوغ الحقيقة) إلىٰ التفكير في مختلف طرق بلوغ الحقيقة، وخصوصًا التفكير في اللغة. إلا أن هذه الأخيرة تشير إلىٰ أداة تجزئ

الواقع وفق مسار تحليلي: ومنه فلا يمكنها أن تعبر إذن عن الواقع الكلي. في هذه الحالة تكون الإجابة عن السؤال المطروح هي: لا يمكن وجود (بالنسبة إلينا) إلا حقائق جزئية؛ لأن الطريق الوحيد الموصل إلىٰ الحقيقي (اللغة) يبدو ذا طبيعة تحليلية.

لدينا هكذا تشكيلتين من «مشكلة/إجابة» للسؤال المطروح. سيكون في إمكاننا انطلاقًا من هاتين التشكيلتين ومن التساؤل، وضع الخطة المفصلة.

بالمقابل يجب الحذر: إذ يجب جعل التشكيلتين «المشكلة/الإجابة» صالحتين بالاستعانة بنقاش وباستدلالات دقيقة، تشكل أسس الخطة المتناسقة. إذا لم يكن في الإمكان بناء هذه الأخيرة فإنه يجب التخلي عن التشكيلة المختارة، وصياغة تشكيلة أخرىٰ.

الخطة المفصلة، العنصر الرابع للإشكالية

- وضع الخطة المفصلة ضروري. لقد قمنا بالتحليل وبجرد المفاهيم بالتفصيل، ووضّحنا المفاهيم التي تحيل إليها ألفاظ السؤال، وشرحنا معنىٰ السؤال، وسيّرنا عملية التلاعب بالأسئلة إلىٰ غاية بلوغ المشكلة والمعضلة المناسبة لتوجيه النقاش. وبفضل خيط أريان الذي يمثله المنهج، سنشق طريقنا تدريجيًا داخل المتاهة أو بين بديهيات السؤال الأوّلية المزيّفة. يتعين علينا الآن طرح الاستدلال الذي يلي بالنظر إلىٰ استراتيجية فعالة ترسمها خطة ديناميكية. بذلك تنتظم التمفصلات العامة والمستويات الممكنة للتحليل.

- خصائص الخطة المفصلة. الخاصية الأولىٰ للخطة المفصلة هي ضمان مطلب الجدال والنقاش، دون الاكتفاء بالإجابة الأحادية الجانب.

- الخاصية الثانية: تقدم الخطة بنية نظام فعلية، وتسلسلًا منطقيًا ومترابطًا مع بقائه منفتحًا. يجب أن يظهر في الخطة المفصلة ارتباط الأقسام بعضها ببعض. كل عرض يجب أن يستمر بطريقة ما، لا أن ينغلق.

علىٰ الخطة أن تكون متوافقة ومتناسقة، وأن تكون وافية، ليس فقط من الناحية المنطقية بل من الناحية الجمالية أيضًا. ما سيميزها هو التناسق

الداخلي، أي ذلك الكل الأستطيقي من العلاقات المتوازنة. إن الخطة الناجحة تتميز «بأناقة» وكمال ديناميكي يعبر عن سهولة حركة الفكر. وعندما تكون الخطة متناسقة وأنيقة فإن العقل يستسيغها.

- إن الخطة المفصلة مشابهة للمخطط الديناميكي.

- أمثلة. لدينا مع موضوعنا السابق، مشكلتان وفكرتان أساسيتان توافقان توجهًا مصممًا من قبل.

تقود **المشكلة الأولىٰ** (المتعلقة بالعلاقات الصادقة والكاذبة في آن) إلىٰ خطة جدلية، ستسمح إذا أُنجزت بشكل حسن بتعميق التناقض. إن السؤال ذاته يفترض هذا النوع من الخطة.

علىٰ الخطة أن تسعىٰ جيدًا إلىٰ إبراز البحث عن «الحل» أو تحديد المشكلة، وكذا البحث المتعلق بالإجابة عن السؤال.

معالجة الإجابة والخطة	معالجة المشكلة
الأطروحة: يمكن أن توجد حقائق جزئية. في الواقع، هناك حقائق غير كونية نبلغها بـ:	إننا نصدر أحكامًا جزئية (متجزئة أو غير كونية) وصادقة.
- الحدس الحسي الموجه نحو موضوع واقعي وليس محل خطأ.	
- المعاش وتفرد الذات غير القابل للاختزال	
- المفهوم المنعزل الذي يسمح بتفكيك الظواهر	
	انتقال:
	التطابق مع الواقع هو هنا غير أكيد وضعيف: هل نحن فعلًا أمام حقائق؟ هل هي متصورة شرعيًا؟ تظهر الأحكام عند إصدارها بدون مرجعية إلىٰ الكل، خاطئة.
نقيض الأطروحة: إنّ الحقائق المتناولة من قبل هي حقائق مزيفة، يجب ربطها الآن بالكل.	
- الحقيقة الجزئية هي الفراغ (انظر هيغل).	
- العاطفة الحسية المجردة غامضة (انظر سبينوزا).	

- المفهوم يتطلب تأليف العقل.	
	انتقال:
	كيف يمكننا بلوغ الصادق (الكلي) انطلاقًا من جزئيات خاطئة؟ لدينا هنا تناقض يقود إلىٰ تحليل جديد.
التركيب: تدمج الحقائق الجزئية داخل مسار. مثال الحقائق العلمية التي تدمج تدريجيًا في نظريات متحركة.	تحديد المشكلة: ليست الأحكام المذكورة في الواقع سوىٰ لحظة من مسار، توجد إذن أحكام صادقة وكاذبة في آن، وهذا في تدفق ديناميكي.
الإجابة عن السؤال: من الممكن والمشروع وجود حقائق جزئية.	

تطرح مسألة إمكانية ومشروعية وجود حقائق جزئية طيلة هذه الخطة: وبذلك نكون علىٰ يقين من البقاء مرتبطين بالموضوع ذاته. رغم ذلك نجد داخل كل قسم حجاجًا مشابهًا مع الحجاج المنجز في الطريقة التدرجية، ويبدو هذا الجمع بين الطريقة الجدلية والطريقة التدرجية مثمرًا. في الأخير تنشأ الحجج المستعملة من الأدوات أو الأفكار المرتبطة بالتساؤل الأوّلي. مرة أخرىٰ تظهر أهمية الثقافة الفلسفية حاسمة.

من الضروري ملاحظة أنّ الانتقال من قسم إلىٰ ما يليه، كما هو جَلي في حركات الانتقال، ينتج من تناقض يجب دراسته، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرىٰ أن التركيب يدمج من خلال التجاوز، الأطروحة ونقيضها. هذان العنصران هما الضامن لنجاح الطريقة الجدلية المنجزة بشكل جيد.

وتقود **المشكلة الثانية** (كيف نبلغ الواقعي؟) إلىٰ الاستفهام حول طرق بلوغنا الواقعي، وحول سُبل المعرفة: معرفة إمبريقية (بواسطة الحدس الحسي)، ومعرفة موضوعية (بواسطة التجربة العلمية)، ومعرفة تسعىٰ إلىٰ إيصالنا إلىٰ الكوني (بواسطة اللغة التي تعبر عن مفاهيم). ومنه يبدو اللجوء إلىٰ طريقة تدرجية بالأساس، مناسبًا هنا.

معالجة الإجابة والخطة	معالجة المشكلة
القسم الأول: تمنحنا المعرفة الإمبريقية والذاتية حقائق جزئية.	من الممكن بلوغ الواقعي من خلال الحدس الحسي. هذه المعرفة تجزيئية.
- تسمح المعرفة الذاتية (حدس حسي.. إلخ) بالتوصل إلىٰ حقائق.	
هذه الحقائق جزئية.	انتقال:
	لا يمكن فعليًّا إيصال هذه الحقائق الفردية المحضة.
القسم الثاني: إنَّ المعرفة الموصوفة بالموضوعية والعلمية تمنحنا هي أيضًا حقائق جزئية.	في هذا المستوىٰ الثاني من التحليل، نبلغ الواقعي عن طريق التجربة العلمية. هذه المعرفة ناقصة وتجزيئية.
- تجعلنا التجربة والنظرية نبلغ حقائق موضوعية (تسمح لنا بالتأثير علىٰ الواقع، وهي ممارسة تعكس شكلًا من الحقيقة).	
- الحقائق العلمية حقائق تجزيئية: تبيِّن النظريات الحديثة فعلًا أن البلوغ الكامل للواقعي غير ممكن لنا أبدًا. يمكننا فقط بلوغ واقع غير مكتمل ومحدود. إنَّ معارفنا حول الواقعي مؤقتة.	
أمثلة: علاقات هيزنبرغ، نظريات غودل، تطور النظريات العلمية.. إلخ).	الانتقال:
	يمكننا هنا إيصال الحقائق بواسطة اللغة (التي تشير أيضًا إلىٰ شكل التعبير عن حقائقنا الفردية). وعليه فتحليل اللغة مطلوب إذن.
القسم الثالث:	تحديد المشكلة:
تُشرعن تجربة الواقعي بواسطة اللغة وجود الحقائق الجزئية، تلجأ المعارف الذاتية والموضوعية بالضرورة إلىٰ اللغة: تجعل هذه اللغة، التحليلية، وجود الحقائق الجزئية مشروعًا ومعقولًا منطقيًّا (وهي الحقائق الوحيدة التي يمكن بلوغها).	في مستوىٰ أخير لا يتحقق بلوغ الحقيقة إلا من خلال اللغة التي هي شكل يعبر عن المفاهيم. إنَّ اللغة هي الواسطة التي يعبر بها عن كل حقيقة.
الإجابة عن السؤال: لا وجود إلا لحقائق جزئية: فاللغة في الواقع تحليلية. وهي تُظهر مفاهيم تعكس حقائق متعددة منفصلة ومتجزئة.	

لقد حاولنا في القسمين الأول والثاني التركيز علىٰ مشكلة الوجود، وركزنا في القسم الثالث علىٰ مشكلة المشروعية. وبذلك فقد فحصنا جيدًا جميع أوجه السؤال المطروح في الموضوع. هنا أيضًا سمح لنا الرجوع المستمر إلىٰ الحقائق الجزئية بتجنب الخروج عن الموضوع.

صياغة النتيجة

يتعلق الأمر بتحديد نتيجة متناسقة، تعكس في حصيلة سريعة استراتيجية العرض التي تعبر عنها الخطة المفصلة.

لا يمكن لنتيجة المقالة الفلسفية منطقيًا، أن تقدم حلًا «دوغمائيًا» للمشكلة المطروحة؛ لأن المشكلة يجب أن تستمر حتىٰ في النتيجة. تُمثّل النتيجة بما هي علامة نهاية المقالة الفلسفية شكلًا معتدلًا من الإجابة عن المشكلة. وبما أنها لا تستطيع أنْ تُقدّم حلًّا أو إجابة دوغمائية فإنها تقوم بوضع محصلة وبتركيب موجز للنتائج المتوصل إليها طيلة النقاش. وبذلك لا يمكن للنتيجة أن تتماهىٰ مع الحل الجامد: يمكنها فقط رسم طريق «الحل» الممكن، والإشارة إلىٰ أنّ المشكلة باقية بالماهية ذاتها، داخل الحل المقترح.

- **أمثلة (انطلاقًا من الموضوع ذاته):**

* المشكلة رقم ١: هل يمكن أن توجد أحكام صادقة وكاذبة في الوقت نفسه؟

يقود المسار إلىٰ نوع معتدل وغير دوغمائي من الأجوبة: يمكن لحكم ما أن يكون صادقًا أو كاذبًا وَفق المرجع المحتكم إليه، لحظة تقدم مسار.. إلخ. يمكن أن توجد حقائق جزئية. يعبر الخطأ عن حقيقة جزئية.

ما هو المكسب الفكري (الرهان)؟ من الممكن «التحايل» مع مبدأ عدم التناقض! وهذا ما قمنا به فعلًا.

* المشكلة رقم ٢: بأي وسيلة نصل إلىٰ الحقيقة؟

كيف نبلغ الواقعي والحقيقي؟ بواسطة اللغة، الوسيط الضروري. إذا كانت اللغة تمثل أداة الحقيقي، فإنها لا تجعلنا نفلت من التشتت التحليلي. وبالتالي تكون الحقائق الجزئية هي الوحيدة الممكنة والمشروعة. أما فيما يخص المكسب الفكري (الرهان) فإنه يرتسم علىٰ الشكل التالي: يمكنني أن أتطلع إلىٰ بلوغ بعض أجزاء الواقعي (الأكيدة).

النتيجة النهائية للتحضير

لقد تم اتّباع كل خطوات ومراحل التحضير. إذا قيّمنا كل ما أنجزناه فإنه سيبدو معتبرًا. فمن تعريف المصطلحات في علاقاتها وتفاعلاتها إلىٰ النتيجة اللادوغمائية مرورًا بجرد المفاهيم، ومعنىٰ السؤال، والتلاعب المنتظم بالأسئلة، والمشكلة، والرهان، وخطة التفكير الديناميكية، كل هذه العناصر المعقدة أصبحت في متناول الطالب الآن، إن هو أراد مباشرة عملية التحرير النهائي للمقالة (انظر الإطار التلخيصي أدناه). لقد تم تحقيق الجزء الأهم من العمل.

تحضير المقالة: طريقة العمل

*** إليك طريقة فعلية لتطبيق المنهج، مخصصة لتحضير المقالة. يضمن ملأ جميع الخانات السير الحسن للتحرير.**

(١) قراءة الموضوع	
(١) تحليل المصطلحات (المعنىٰ، أصل الكلمة)	
(٢) تحليل العلاقات بين المصطلحات	
(٣) ضبط المفهوم أو المفاهيم الأساسية	
(٤) جرد المفاهيم	
(أ) المصطلحات المتقاربة	
(ب) المصطلحات المضادة	
(جـ) المصطلحات التي في علاقة تبعية	
(٥) نتائج القراءة	
(أ) معنىٰ الموضوع	
(ب) الطرق الأوّلية للتساؤل	
(جـ) الأدوات الأولية	
(٢) الإشكالية	
(١) التساؤل:	
الأسئلة	الأدوات المقترحة، مسار الاستدلال، الحجج.. إلخ.
الطريق رقم ١	
الطريق رقم ٢	

(٢) اختيار المشكلة الأساسية (في حال بروز مشكلات عدة وهو ما يحصل في غالب الأحيان)	
(٣) تحديد الرهان	
(٤) اختيار الفكرة الأساسية التي يجب أن توجه الموضوع	
(٥) الخطة المفصلة:	
(أ) اختيار نوع الخطة	
(ب) وضع الخطة المفصلة	
(٢) الإشكالية	
تحليل الإجابة والخطة	تحليل المشكلة
(أ) القسم الأول من الخطة (الأطروحة الأولىٰ المراد الدفاع عنها، الحجج، الاستدلال)	(أ) الخطوة الأولىٰ المنجزة في دراسة أو تحديد المشكلة
	انتقال
(ب) القسم الثاني	(ب) القسم الثاني
	انتقال
إلخ	إلخ
(جـ) القسم الأخير	(جـ) الموقف المتبنىٰ الخاص بالمشكلة
الإجابة عن السؤال	
(٣) الخلاصة	
(١) تحديد المشكلة	
(٢) المكسب الفكري (الرهان)	
(٣) احتماليًا، الإجابة عن السؤال	



(١٠) نموذج المقالة المحررة

هذا الفصل مُخصّص لتحرير المقالة الفلسفية: بدايةً لفحص المقدمة، طبيعتها ووظائفها، وبعض الطرق المفيدة لصياغتها، ثم لتحليل النقاش (مع المحاجة، الأمثلة.. إلخ) والخلاصة، التي وظيفتها غلق النقاش الذي أُثِير. وفي الأخير يذكر هذا الفصل بعض القواعد الأساسية المتعلقة بالتحرير والتعبير.

تذكير بالقواعد

يقدم العمل التمهيدي قاعدة صلبة. فلقد غدونا نعرف ليس فقط المشكلة والرهان، بل المسار العام للتفكير. لذلك يتعين علينا الآن عرض المقالة النهائية، في الصورة التي ستُعرض فيها علىٰ القارئ، ومنه القيام بعملية دمج تدريجية للعناصر المكتسبة خلال الممارسة التحضيرية؛ من أجل التوصل إلىٰ نتيجة متناسقة، وإلىٰ عرض مطابق للقواعد التي ذكرها باسكال في كتابه «**فن الحمل علىٰ الاعتقاد**». سيكون مسار المحاجة كله، من المقدمة إلىٰ النتيجة، خاضعًا لهذه القواعد.

قواعد باسكال

القواعد الضرورية للتعريفات

لا يجب تقبل أي مصطلح غامض قليلًا أو مبهم بدون تعريف.

ولا يجب استعمال في التعريفات إلا للمصطلحات المعروفة أو التي سبق تفسيرها.

القواعد الضرورية للبديهيات

لا يجب وضعها كبديهيات إلا الأمور الواضحة.

القواعد الضرورية للعرض

يجب البرهنة على كل القضايا ولا يجب الاعتماد في البرهنة عليها إلا البديهيات الواضحة بذاتها، أو القضايا المؤكدة أو المقبولة من قبل. لا يجب المبالغة أبدًا في الغموض عند استعمال المصطلحات وذلك بإهمال وضع التعريفات التي تحددها أو تفسرها.

تلك هي [. . .] القواعد التي تشكل ما هو ضروري لجعل الحجج مقنعة[١].

(١) Pascal, De l'art de persuader, Lectoguide-ed, Pédagogie moderne, p. 38 et sq.

تحرير المقدمة

مطلب جميع لجان التصحيح: معرفة التقديم

من الأمور التي تثير انزعاج لجان التصحيح في الامتحانات أو المسابقات، عدم فَهْم الطلبة لدور التقديم، يتجلىٰ ذلك في عدد من أوراق الإجابة. لنأخذ بعض الأمثلة:

«تجد كثير من الإجابات صعوبة في التقديم للموضوع، وفي الاستفهام حول طبيعة السؤال المطروح [...]. لا يمكن ضبط السؤال إذا لمْ نتساءَل عن معنىٰ كل مصطلح ومفصلته». (مسابقة الدخول إلىٰ مدرسة فونتناي/سان كلود، امتحان مشترك، ١٩٨٥).

«مقدمة هزيلة، اكتُسبت من الاستعمال، وتحولت إلىٰ غطاء! لقد أصبحت بالنسبة إلىٰ كثير من الطلبة مُبررًا تقليديًا للحيد عن الموضوع. يمكن: (١) إرجاعه إلىٰ أفكاره الشخصية، (٢) جعله مجرد تكرار مدرسي سطحي وتافه [...]، (٣) عرض لنظريات المؤلفين مع الإفراط الحتمي الذي يقتضيه ذلك العرض [...]، (٤) تجزئة الموضوع تحت غطاء التحليل المتأني لمصطلحاته، إلىٰ غاية القضاء علىٰ معناه، هذا الأخير الذي لا يمكن الإحاطة به إلا في كليته غير المتجزئة». (شهادة الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي فلسفة، الامتحان الأول).

«قليلة هي الإجابات التي تطرح مشكلة في المقدمة وتبرز الرهان الفلسفي». (شهادة الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي فلسفة، الامتحان الأول).

إنّ ما ترفضه جميع لجان التصحيح، هو الميل المتكرر إلىٰ الافتراض أن الموضوع معروف، ثم الانزلاق مباشرة إلىٰ سؤال لا يرتبط إلّا من بعيد مع السؤال الأصلي، وتعكس مجمل هذه الطريقة الجهل الجذري بوظيفة المقدمة.

قبل القيام بشرح ما يجب الالتزام به في طريقة التقديم، من المفيد عرض المخاطر التي يجب تجنبها.

مخاطر مختلفة

- غياب المقدمة.
- المقدمة في شكل جمل اعتراضية.
- المقدمة المبالغة في التعميم أو الصالحة لكل عرض.
- المقاربة التهكمية.
- المقاربة المطولة والبليدة.
- التسرع في الإجابة.

طبيعة ووظيفة المقدمة

- المقدمة إيذان بالعرض. التقديم بالمعنىٰ الحرفي هو الإدخال (من الجذر اللاتيني (intro) داخل و(ducere) توجيه (إلىٰ مكان، وبالنتيجة إلىٰ غير المعروف. وبالتالي فإنّ فعل التقديم هو إبراز للجانب غير المصاغ من السؤال الأصلي، فالمقدمة تشير كما نرىٰ إلىٰ التمهيد للموضوع، وهي نص أوّلي يقوم بوظيفة بيداغوجية، بلاغية وفلسفية محددة جدًّا. بالإمكان هنا إجراء قياس مع العمل الموسيقي: إذ يتم في مستهل أو مفتتح الأوبرا عرض ما سيلي من العمل الدرامي. ففي مستهل أوبرا دون جيوفاني، يطرح أمامنا العرض الافتتاحي في المقاطع الاحتفالية، كتراجيديا قاسية.

وباعتبارها مرحلة حاسمة فإنّ المقدمة تُؤذن وترسم مسلك العمل كاشفةً عن نظرة مبدئية. بم تؤذن المقدمة تحديدًا؟

- بالدخول في الاستفهام الفلسفي الفعلي. تقوم المقدمة، بعيدًا عن كونها مهارة كلامية أو مجرد عموميات، بتحويل المعطيات القائمة إلىٰ استفهام فلسفي. يفترض هذا الانتقال نحو «الفلسفي» و«الإشكالي» كل العمل التحضيري الأوّلي: إن المقدمة توجز في تخطيط سريع من الاستراتيجية الديناميكية، الوظيفة التحضيرية، عارضة بذلك الانعكاس المفهومي للتحليل المنجز لصياغة وبحث الموضوع.

- الوظيفة الاستشكالية للمقدمة. تبرز المقدمة بوضوح معنىٰ السؤال، بعد أن تحوّل مصطلحات السؤال إلىٰ مفاهيم. علىٰ المقدمة أن تكون إذن إشكالية للغاية: وظيفتها الخاصة هي طرح المشكلة المحايثة للمقالة.

- المقدمة، تخطيط لمراحل التفكير اللاحقة. يمكن للمقدمة من خلال رفضها المنهجي لكل إجابة استباقية، أن تبرز الخطة المتبعة في العمل بلا جمود وبشكل ديناميكي.

بعض الطرق التقديمية الممكنة

كيف نصوغ مقدمة ونحول موضوعًا أو سؤالًا ما إلىٰ مشكلة؟ يمكن أن نحصي عددًا من الطرق التي تبدو مفيدة للطلبة والتي يمكنهم أنْ يروا فيها أساس مصفوفات للبحث.

- استغلال التناقض. يمكن للمقدمة أن تنبثق من تحليل تناقض محايث للسؤال. عندئذ ينشأ نسق تضاد داخل الموضوع ذاته: يسمح إبراز التناقض المحتمل هذا بالدخول التأملي في هذا الأخير. مثال:

- الموضوع: «هل التفكير في الموت له موضوع؟»

يبدو هنا أنّ النشاط العقلاني للإنسان له موضوع وهو يخص شكل فنائنا. وسواء تعلق الأمر بالموت كوفاة أو بالموت المعرّف من زاوية أكثر تجريدًا، باعتباره البنية المنتهية والمحدودة للفردانية، فمن الواضح أن للتفكير في الموت في كلتا الحالتين، موضوع. بالمقابل ألَا يعتبر التفكير في الموت تفكيرًا في لا شيء؟ والحال أنه عند التفكير في الموت فإن كل محتوىٰ واقعي ومحايث لتفكيرنا يتوارىٰ. ألا يفلت الموت في العمق، من الفكر؟ يقول هيغل في مقدمة كتاب **فينومينولوجيا الروح**: «الموت، إذا أردنا أن نسمي هكذا ذلك اللاواقع». بهذه الطريقة يمكننا إبراز هذا التناقض المتضمن في السؤال، والذي من شأنه أن يُشكّل مدخلًا لولوج الموضوع.

- تعارض الرأي الشائع مع المفارقة المتضمنة في الموضوع.
يُطرح عدد كبير من الأسئلة الفلسفية في شكل مفارقات، بمعنىٰ أحكام تُناقض الرأي المقبول عادةً. إنّ التعارض أو التناقض بين المفارقة والحكم المشترك تسمح بالدخول في المشكلة المطروحة من السؤال، كما تسمح بالمضي قدمًا في مسار التفكير. أمثلة:

*** الموضوع رقم ١: «هل يمكن مقارنة الرياضيات باللعب؟».**

تعتبر الرياضيات وَفق الحكم الشائع مبحثًا جديًّا. فالعقلانية الرياضية تتميز من جهةٍ، بالصرامة التي تجعل منها نموذج التفكير الاستنتاجي ذاته، ومن جهةٍ أخرىٰ، يشير استعمال الخطاب الرياضي المجرد والصوري في تمثيل الأشياء والظواهر الفيزيائية إلىٰ أن هذا المبحث يعتبر أداة فعالة في تقدم علوم الطبيعة. لقد أصبحت الرياضيات لغة أغلب العلوم. وفي هذا المنظور كيف يمكن مقارنة الرياضيات باللعب؟ يُعرّف اللعب، في مقابل العمل، كنشاط لا يسعىٰ إلىٰ تحقيق أية نتيجة مفيدة. إنه يشير إلىٰ نشاط حر لملكاتنا وبالنتيجة إلىٰ كل ممارسة لا جدية. كيف يمكننا مقارنة الرياضيات بنشاط حر، يعتبر وهميًّا وخارج الحياة العادية؟ تظهر في داخل هذا السؤال ذاته مفارقة، أي «رأي يعارض الرأي المتداول عادةً في الشائع».

*** الموضوع رقم ٢: «هل نحن مسئولون عن انفعالاتنا؟».**

يُفضّل الرأي الشائع البُعد السلبي للانفعالات: أليست هذه الأخيرة ظواهر سلبية، واختلالات توازن بعيدة عن حرية الإنسان؟ يوجد إذن في السؤال عنصر مفارق؛ لأنه يقترح فكرة أننا نستطيع التحكم في انفعالاتنا وأنها تحت سيطرتنا، ومنه أننا نستطيع تحمل نتائجها. وعليه يمكننا وضع المفارقة المتضمنة في السؤال في مقابل الرأي الشائع.

*** الموضوع رقم ٣: «هل يمكن وجود حقائق جزئية؟».**

لدينا هنا أحد الأسئلة الأكثر استعمالًا. تظهر الحقيقة عادةً كجملة وليس كأجزاء. بذلك تتمظهر في السؤال ذاته مفارقة في تعارض مع الرأي الشائع.

- تعارض النظريات الفلسفية. يمكن للتعارض أو التناقض من حيث هو مبدأ أساسي للطريقة، أن يأخذ صورة أخرىٰ ويُطبَّق علىٰ نظريات فلسفية. نجد هنا مقاربة ممكنة لكن بشرط اكتساب تحكم مذهبي كافٍ. مثال:

- **الموضوع**: «هل هناك أمر تعجز اللغة عن التعبير عنه؟» (امتحان التحضير شهادة الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي فلسفة، تعليم عن بُعد).

يتساءل الموضوع حول اللغة، المُعرّفة غالبا بكونها وظيفة التعبير اللفظي عن الفكر، والقدرة علىٰ الكشف عن هذا الفكر باستعمال رموز. غير أنّ مصطلحات هذا الموضوع تَشِي هي ذاتها باللامُعبر عنه، بشيء لا تستطيع اللغة التعبير عنه، (أطروحة برغسون كذا المتصوفة). في مقابل هذا التصور نجد التصور الذي يولي قيمة للكلام والألفاظ. إن «الشيء» الذي لا تستطيع اللغة التعبير عنه، موضعته وإظهاره هو ربما، الفراغ المحض (هيغل). يُفضي التصادم بين المذهبين المتعارضين هنا إلىٰ الأشكلة: إنه يُعيد التساؤل الأوّلي.

- **التموضع بعيدًا عن التاريخ. يُطرح الموضوع في الغالب كحقيقة مطلقة. وتقتضي هذه الآلية الإشارة إلىٰ طابعه المحدود من أجل جعله يظهر كموضوع تساؤل ممكن. مثال:**

- **الموضوع: «هل من الضروري أن يعمل الإنسان لكي يكون كائنًا بشريًّا؟».**

يركز هذا السؤال التقليدي جدًّا، علىٰ الوظيفة البنائية للعمل. لكن هل هذه الأطروحة بديهية بذاتها؟ فإذا كان العمل يبدو من جوانب معينة، خلقًا وتملكًا للعالم وللإنسان، فإنه يظهر بلا قيمة في كثير من المجتمعات: ألم تُفضل بعض المجتمعات سبيل التأمل؟ لقد امتدحت الثقافة اليونانية (انظر أرسطو بهذا الشأن) أوقات الفراغ والسعي اللامبالي وراء الحقيقة. لا يجب في هذه المنظورية، علىٰ البشر أن يعملوا لكي يكونوا كائنات بشرية. إنّ مجتمعاتنا الحديثة هي التي غيّرت عددًا من المرجعيات والمحاور.

يسمح التموضع بعيدًا عن التاريخ هنا بمساءلة الموضوع، وإظهاره في تعقيده.

المناقشة والعرض

* ما الذي تبرزه المناقشة:

- تعكس العرض المنتظم والدقيق.

- تحوّل المصطلحات إلىٰ مفاهيم تقوم بتوضيحها تدريجيًا. هل تعالج المقالة السُلْطة؟ إن هذه الأخيرة ليس لها معنىٰ واحد: إذ تتجاوز من حيث كونها ظاهرة سياسية، ذلك المجال، ويمكن أن تُحلل كاستراتيجية، كلعب معقد ... إلخ.

- تنظم التفكير الشخصي. تبرز الملحوظات الآتية، التي عرضها عضو لجنة تصحيح امتحان الثقافة والعلوم الإنسانية المدرسة العليا للعلوم الاقتصادية والتجارية. (تقرير١٩٨٧) بشكل جيد ما يجب أن يكون أحد الانشغالات الرئيسة في تسيير المقالة الفلسفية: إنّ كتابة مقالة، تحليل نص أو تقديم درس هي كلها عمل واحد ويمكن أن يوصف هذا العمل كالتالي: التحدث، نشر كلام والتكلم. مثل هذا الفعل لم يكن يومًا بلا خطر، وهو ليس بدون طموح ولكن لا أحد بإمكانه التنازل عنه [...]. ما السؤال إن لم يمكن تلك الإثارة في أن تكون وتظهر في فرديتك (كمؤلف نص) أمام سؤال فردي لا يمكن لأي تقليد مَحْوه أو حجبه [...] إن الكلام هو في الوقت

نفسه تفاهم مع الذات، وتفاهم مع الآخرين وأمامهم من خلال إثبات ذلك التفاهم [...]. بكلمة واحدة علىٰ التفكير أن يكون شخصيًا.

والحال أن المقالة الفلسفية تمثل خطاب شخص، أي منطوقًا يفكر به شخص ما في هذا السؤال أو ذاك: يجب أن يبقىٰ الشخص علىٰ طبعه وأن يوجه بشكل دقيق تفكيرًا شخصيًا نابعًا من الذات. هل علينا الاستعانة بأفلاطون، كانط أو هيغل؟ بالتأكيد، ولكن بإدراجهم ضمن عرض حر وشخصي.

بالمقابل لا يعني الكلام الوقوع في ملذات الغوص النرجسي (عيب ملاحظ في تقارير شهادة الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي، الفلسفة)! إن الأمر لا يتعلق بتحويل النقاش إلىٰ اعتراف، بل بمعرفة الإحالة إلىٰ الأنا الحامل للكونية وللمعنىٰ. إنّ الشخص الممارس للخطاب المنتظم الذي هو المقالة يتجاوز كل فردانية محدودة.

- هدفها تحديد المشكلة المطروحة في المقدمة. كما تشير إلىٰ ذلك لجنة تصحيح إحدىٰ المسابقات «لا ينتظر المصححون أن تُحل المشكلة الفلسفية بل أن يتم تحديدها».

* كيف تبرز المناقشة ذلك:

إنها تستعمل الخطة كهيكل ديناميكي للعمل. وعلىٰ هذا الهيكل وهذا المخطط التفكيري أن يوضح محتوىٰ النقاش، الذي يطور استراتيجيات الخطة بالاستعانة بآليات مختلفة: الاستدلالات، والمحاجات، وشرح المفاهيم والأمثلة.

- الاستدلالات. يشير الاستدلال بالمعنىٰ الدقيق، إلىٰ العملية الذهنية التي تقرر صدق قضية استنتاجيًا، من خلال ربطها

برابطة ضرورية مع قضايا أخرىٰ واضحة أو مبرهنة من قبل. رغم ذلك يبدو الاستنتاج السليم صوريًّا في الفلسفة غير منفصل عن المحاجة.

يبدو المنظور الاستدلالي محددًا جيّدًا من طرف أرسطو في مطلع كتاب **التحليلات الأولىٰ**: «فأما القياس فهو قول إذا وضعت فيه أشياء أكثر من واحد لزم شيء ما آخر من الاضطرار لوجود تلك الأشياء الموضوعة بذاتها»[١]. يُشكّل القياس إذن جزءًا من الآليات الاستدلالية ومن «العلم الاستدلالي» الذي يحدثنا أرسطو عنه. يمكننا أيضًا دراسة الصور المطبقة في كتاب **الأخلاق**: فهي مستلهمة من الاستنتاج الرياضي.

- **المحاجات**. لا يتعلق الأمر هنا باستخلاص النتائج من المقدمات، بل باستثارة أو بحمل المستمع علىٰ الاعتقاد في الأطروحات التي نطرحها[٢]. إنّ المحاجة تختلف إذن بشكل عميق عن الاستدلال السليم صوريًّا، وتشكل بما هي كذلك إحدىٰ وسائل النقاش. إلا أن تمييز المحاجة عن الاستدلال بشكل قبلي، لا يعني أبدًا اختزال الأولىٰ في مجرد لعب. يجب أن تحيل كل محاجة إلىٰ حجة، أي إلىٰ سيرورة فكرية تبيّن صدق التقرير. علينا أن نذكّر هنا ببعض الأخطاء الفادحة التي من شأنها أن تُلحق ضررًا بمهمة المحاجة الدقيقة:

- المرجعية إلىٰ مؤلف يعتبر مذهبه معيارًا للحقيقة. هذه الحجة الشهيرة موسومة بـ «حجة السلطة»، وليس من الفلسفي أبدًا اللجوء إليها. (مثال، عند تناولك لماهية الشعور، الذي

---

(١) Aristote, Op.Cit., "Organon III", Vrin, p 4.

أرسطو، المنطق، مرجع سابق، (ص/ ١٤٢).

(٢) Chaim Perelman, L'empire rhétorique, Vrin, p 23.

تتصوره كمادة مفكرة، كفهم، كعقل.. إلخ، وتتخذ بطريقة دوغمائية من كتاب ديكارت «**التأملات**» مرجعًا).

- لا يجب، لأجل نقد مذهب أو أطروحة، اتخاذ موقف من الإشكالية، كما لو أن رأيك الخاص يشكّل إعادة نظر في المذهب المقابل. مثال، عند نقدك للنظرية العقلية في الإدراك (لانيو، ألان ... إلخ)، فإنّ إعادة النظر في هذه الأطروحة لا يكون بطرح مذهبك الخاص (الفينومينولوجي أو غيره)، بل بنقد تلك الأطروحة من الداخل.

- التأكيد بشكل دوغمائي، بلا تبرير ودون الاستناد إلىٰ أدنىٰ حجة. إن هذه الآلية غير الفلسفية منتشرة في النشاطات الفلسفية.

- الانطلاق من أوليات قليلة الوضوح، والقيام بمصادرات مبدئية عن المطلوب.

- عدم تمييز الأمثلة من الحجج، فالمثال لا يعتبر حجة.

- اللجوء إلىٰ نزعة تكتمية أو إلىٰ معرفة باطنية ضارة بمسار المحاجة، وكذا تعمّد مخاطبة «مسارين»: إنّ المبالغة في التكتم يُشكّل حاجزًا أمام التواصل المفترض من وراء كل محاجة، إنه يقضي علىٰ هذه الأخيرة المعتبرة كخطاب إقناعي موجّه للغير.

- اللجوء إلىٰ التجريد المطلق: عندئذ يقع الفكر في الفراغ وتنهار البرهنة. إن هذه الآلية منتشرة كثيرًا لدىٰ الطلبة من جميع الأطوار.

- شرح المفاهيم. يجب أن يقود استعمال كل مصطلح مبهم إلىٰ شرح مفصل. يعتبر الشرح المفاهيمي البعيد عن الخلط أو الغموض، جزءًا من كل نقاش فلسفي جدّي. كل مصطلح

مهم يتطلب الشرح. إذ كيف نستعمل مصطلح «الفينومينولوجيا» أو مصطلح «الترنسندنتالي» دون شرحهما؟ يجب تحديد المحتوىٰ السيمنطيقي الدقيق الذي تسوّقه هذه المصطلحات أو المفاهيم بشكل واضح ومباشر. يعتبر هذا أحد الأدوات الرئيسة لإنجاز المقالة الفلسفية.

يمكن أن تضر المبالغة في التجريد بغاية ووظيفة المحاجة. لذلك يجب أيضًا، من أجل لفت انتباه قارئك، التأثير علىٰ إحساسه ومخيلته بالاستعانة بأمثلة قليلة ومختارة بدقة.

- من بين مطالب لجان التصحيح، الأمثلة: لا يجب الخلط بين المثال والحجة، هذه الملاحظة تتكرر في مختلف تقارير المسابقات، ومنها علىٰ سبيل المثال تقرير لجنة تصحيح المدرسة العليا للعلوم الاقتصادية والتجارية: «عدد كبير من الإجابات لا تميز بين المحاجة والتمثيل: مهما اكتسىٰ المثال، القول والصورة من الأهمية والضرورة، فإنها تبقىٰ كلها لا فعالة إذا اكتفت بتصوير قول، كما أنها تتحول إلىٰ مصدر إزعاج إذا تم تكديسها أو الإكثار منها. يجب التذكير أن المقالة نشاط بيان استدلالي وحجاجي، وبهذا المعنىٰ يجب أن تكتسي الأمثلة والإحالات طابعًا عمليًّا في العرض، وفي الاستدلال وربما حتىٰ في تغيير فكرة أو أطروحة. لا يكفي التمثيل إذن ما لم يكن عملًا فعليًّا للفكر أو ما لم يندرج ضمن ديناميكية استدلال». المدرسة العليا للعلوم الاقتصادية والتجارية، ثقافة وعلوم إنسانية، المقالة، اختيار عام، تقرير مسابقة سنة ١٩٨٨).

يمكن للطالب أيضًا أن لا يولي اهتمامًا للمثال: تُشير كثير من تقارير لجان التصحيح إلىٰ ضرورة اللجوء إلىٰ التمثيل المجسد، والذي يعني أن

الواقع ليس غائبا: «فيما وراء المفاهيم والحجج وفيما وراء الإحالات والتحليلات، يبقىٰ الواقع دائمًا هو الهدف. يستدل كثير من مترشحي وطلبة الدراسات العليا التجارية، في الحق بطريقة مجردة تمامًا (أي بطريقة لفظية). بحيث نكاد لا نعثر في إجابات الطلبة علىٰ أمثلة محددة عن القوانين [. . .]، دون الحديث عن مبادئ الحق الأخرىٰ، التي نسبح فيها في التجريد (أي: اللاتحديد». المدرسة العليا للتجارة. ليون ١٩٩٠، ثقافة وعلوم إنسانية، الموضوع: «هل القانون هو المبدأ الوحيد للحق؟».

- المثال: تعريفه ومكانته الفلسفية. ما الذي يشير إليه المثال؟ إنه يعني اللجوء إلىٰ حدث خاص أو حالة خاصة أو إلىٰ حدث إمبريقي (غير عام). تكمن مهمة المثال في تأكيد، وضبط وتمثيل مفهوم أو خطاب منطقي. إن المفهوم أو الفكرة هما ما يسمح بالحكم علىٰ المثال وليس العكس: فالذهن هو الموجه، وفي هذا المنظور، يجب الحد من استعمال الأمثلة واعتبارها في حدود الممكن تابعة لنظرة الذهن. يمكن للمثال أن يدعم الإثبات فقط. لذلك لا يجب لا المبالغة في ذكرها ولا اعتبارها في ذاتها متجاهلين المحاجة. ففي الحالة الأولىٰ يؤدي تدفق الأمثلة إلىٰ إفراغ التحليل الفلسفي الفعلي، أي المفاهيمي والدقيق. وفي الحالة الثانية يجعل الاهتمام المُولَىٰ للحدث الخاص، الفكر حبيس الاحتمالي وربما حتىٰ الخرافي. لذلك يقتضي المنهج السليم تحليل مثال أو عدد قليل جدًا من الأمثلة من أجل تدعيم المقالة.

- وظيفة المثال دعم المخيلة، المثال عند سارتر. ما الدور الذي يلعبه المثال؟ إنه يصور ما أكدته المحاجة أو ما ستؤكده. فهو يميل إلىٰ تدعيم القناعة وتوضيح ما هو موضوع للاستدلال والحجاج: ولا يجب أن يحل محل هذين الأخيرين. لقد

استطاع سارتر أن يثري ويفحص المثال بعمق، لكي يجعل المفهوم مجسدًا: «سوء النية» «العدم» وكثيرة هي المفاهيم التي عرّفها سارتر وحدّدها، وبيّنها في الوقت نفسه بأمثلة تخاطب مخيلتنا بقوة. يمكن للطلبة التفكير في منهج سارتر والاعتماد عليه كمرشد.

تُشير سوء النية إلىٰ الفعل الذي نضع بواسطته تعالينا (حريتنا، قدرتنا علىٰ التجاوز) كواقعية (كخاصية ما ليست إلا فعلًا) وواقعيتنا كتعالٍ. يعجز الإنسان المتنازع بين هذين المستويين عن التمييز بينهما، ويعيش كل مستوىٰ منهما علىٰ نمط المستوىٰ الآخر. إن وصف «حالات» سوء النية -هذا الكذب علىٰ الذات- وخصوصا «المتأنقة الشابة» تصوّر التعريفات النظرية. فعندما يمسك صديقها بيدها تسلم الفتاة يدها، لكنّها لا تُدرك أنها أسلمتها، مؤكدة الواقعية كتعالٍ والعكس صحيح: «إنها تجر محدثها إلىٰ أعلىٰ مناطق التأمل العاطفي، وتتحدث عن الحياة، وعن حياتها، وتتبدىٰ علىٰ مظهرها الجوهري: شخصًا، شعورًا. وإبان هذا الوقت يتم الطلاق بين النفس والجسم، فتستريح اليد ساكنة بين يدي رفيقها الحارتين: لا هي بالموافقة ولا بالمقاومة- إنها شيء»[١].

يشير «الإعدام» عند سارتر إلىٰ العملية التي نلغي بواسطتها بعض المجالات من العالم القصدي ولا نحققها، وذلك من خلال اعتبارها كما لو كانت غير موجودة: أي معاملتها كما لو كانت بلا أهمية.

يضيف المثال إلىٰ هذا التعريف تصويرًا مجسدًا يخاطب مخيلتنا: «فالإعدام» يلعب دورًا كبيرًا في شعور الشخص الذي يبحث عن صديق متواعد معه في مقهىٰ. هذا الصديق لم يحضر إلىٰ الموعد وبذلك يقوم شعور الشخص

(١) Sartre, L'etre et le neant, "Tel", Gallimard, pp. 91-92.

جان بول سارتر، الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، منشورات الآداب، بيروت، ط١، (١٩٦٦)، (ص/ ١٢٤).

«بالإعدام»: «فحين أدخل هذا المقهىٰ؛ للبحث عن بطرس يحدث تنظيم تركيبي لكل الأشياء في المقهىٰ كأساس عليه يعطىٰ بطرس بوصفه ينبغي أن يظهر، وهذا التنظيم للمقهىٰ علىٰ هيئة أساس هو الإعدام الأول [. . .] بطرس ليس هناك [. . .]. وهذا الشكل الذي ينزلق دائمًا بين نظرتِي وبين الأشياء الصلبة الحقيقية في المقهىٰ، هو زوال مستمر، إنه بطرس وهو يرتفع كعدم فوق أساس إعدام المقهىٰ»[١].

لا يشكل المثال في هاتين الحالتين (سوء النية والإعدام) قاعدة استدلال، ولا يمثل بديلًا إمبريقيًّا عن الاستنتاج أو المحاجة، لكنه يشير إلىٰ تمثيل مجسد يسمح بالإفلات من التجريد المحض أو من اللفظية، والتحكم في مشروعية عبارة أو مفهوم في مجال خاص من التحليل.

. علىٰ الأمثلة أن لا تكون شاذة بل ذات معنىٰ و«نموذجية»، أي إنها يجب أن تتجاوز المجال الخاص والاحتمالي، وتتطلع إلىٰ نموذج كوني. يشكل المثال إذا تم اعتباره من هذه الزاوية (أي باعتباره شكلًا مجسدًا يمكن أن يخص كل فرد مهما كان) حاجزًا أمام التجريد الفاقد للانتباه.

---

(١) Sartre, Op.Cit., pp 44-45.

جان بول سارتر، الوجود والعدم، مرجع سابق، (ص/٥٩، ٦٠).

الخلاصة

إذا كانت المقدمة تسطّر استراتيجية إشكالية فإنه يتعين علىٰ الخلاصة أن تنهي النقاش. إنّ المقدمة ترسم لنا الطريق الذي يجب اتّباعه: بينما تشير الخلاصة أن الطريق المرسوم تم قطعه، وأن النقاش اتبع إلىٰ غايته. تُطابق الخلاصة الحصيلة التأملية، حصيلة ينبغي أن تتجنب -مثل المقدمة- الصور النمطية أو تحصيل الحاصل وكذا العموميات أو السطحيات.

ما لا تشير إليه الخلاصة	ما تشير إليه الخلاصة
تأكيد عام وغامض.	خطاب دقيق ومحدد له علاقة مع المشكلة المطروحة في المقدمة.
كلام مكرر، أفكار عامة، خطاب مقولب.	إجابة مفتوحة، مناسبة، تتميز بخصوصيات أصلية.
ملخص جاف.	ضبط ديناميكي.
إجابة جامدة ودوغمائية عن المشكلة.	حصيلة تأملية بإمكانها أن تحافظ علىٰ المشكلة حتىٰ حلّها.
الإحالة المستمرة إلىٰ مشكلات أو نظريات أخرىٰ.	مجموع مختصر ومستجمع يعرف كيف يحدّ النقاش دون فتحه بشكل مطلق.
	تعتبر في بعض الحالات انفتاحًا علىٰ مشكلة أو علىٰ عنصر تفكير محدد.

التحرير والتعبير
مطلب لجان التصحيح

لا يجب في نهاية هذا المسار، تناسي مشكلة التعبير، العرض والتحرير التي تعكسها مطالب لجان التصحيح: «إن المستوىٰ اللغوي العام والمستوىٰ النحوي لا يرتقيان إلىٰ المستوىٰ المطلوب. في النهاية يجب التذكير [. . .] أن امتحان الثقافة هذا يتطلب في الوقت نفسه تحكمًا سليمًا في اللغة، ثقافة أدبية كافية وثقافة فلسفية قاعدية» (المدرسة العليا للتجارة امتحان الثقافة والعلوم الإنسانية ١٩٩٠، الموضوع: «حق الضعيف».

«تُلِح لجنة التصحيح، علىٰ التذكير بأن التنظيم الكلي لورقة الإجابة والربط التسلسلي للفقرات ينمَّان عن النظام المنطقي الضروري للفكر، ومنه فإن التحكم الجيد في الكتابة والنحو هي من الأمور الضرورية لذلك». (مسابقة الدخول إلىٰ السنة التحضيرية لمعهد الدراسات السياسية في باريس امتحان عام تقرير حول دورة ١٩٨٩).

«نلمس حتىٰ في أوراق الإجابة الممتازة، عددًا كبيرًا من العبارات الجديدة غير المفيدة «ولّد»، «حقق»، «بادر»، بمعنىٰ بدأ. . إلخ) والعبارات الركيكة (مثل هذه الفرضية «مثيرة»، الإنسان في الحالة الطبيعية «عديم الجدوىٰ»، والأخطاء النَّحْوِيَّة واللغوية من جميع الأشكال. لذلك من الواجب الإشارة إلىٰ ضرورة الحرص علىٰ سلامة اللغة الفلسفية، وعدم تشويه أسماء الفلاسفة والأمانة في النقل من اللغة اليونانية». (مسابقة الدخول إلىٰ أولم/ سافر، ١٩٨٧، تقرير لجنة التصحيح).

بعض قواعد التحرير والتعبير

يعتبر ضبط التعبير، وحتىٰ العرض، جزءًا لا يتجزأ من المنهج ومن وسائل التحكم في التفكير. يمكن للتعبير أو التحرير غير الموفق، أن يقضي بشكل كلي علىٰ نوعية النشاط الفلسفي. لذلك وبغية مطابقة الشكل مع المحتوىٰ، يجب الالتزام ببعض القواعد البسيطة:

- الالتزام بطريقة بسيطة وأنيقة. إن الخصائص الأساسية للأسلوب هي البساطة وعدم التصنّع. عليك بالكتابة البسيطة كما تطالب بذلك كثير من لجان التصحيح: «نتأسف لتضمّن بعض الإجابات لغة متكلفة، مقتبسة من أساليب متخصصة مسايرة للذوق المنتشر، تنزع إلىٰ إضفاء الصفة الدامغة علىٰ أفكار هزيلة. شهادة الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي فلسفة، تقرير لجنة التصحيح».

يجب إذن تجنب اللجوء إلىٰ أسلوب متحذلق أو مبالغ في التعتيم، تطبعه صبغة ثقافية مكشوفة. من الأفضل استعمال لغة واضحة.

إنجاز مقالة فلسفية

ما لا يجب القيام به	ما يجب القيام به
التخلص من الموضوع بسرعة، لجعله «شبه ذريعة».	القيام بقراءة متأنية للموضوع، قراءة السؤال مُطولًا للدخول جيّدا الموضوع.
القيام بدراسة تحليلية فحسب لمصطلحات السؤال تذرو السؤال.	التمسك بالكلمات المفتاحية بشكل منهجي، من أجل الإحاطة بدلالاتها المتعددة وتحويلها فعلًا إلىٰ مفاهيم، ثم فهم تفاعلات الكلمات المفتاحية هذه، أي المصطلحات وعلاقاتها.
إبعاد بعض المصطلحات بشكل تعسفي.	التحليل الدقيق لكل المصطلحات، دون رفض أيٍّ منها، حتىٰ وإن كنا نُفضّل بعضها فقط.
الاستعمال الغامض والمُبهم للمفاهيم والمصطلحات.	العمل وَفق تعريفات مضبوطة ودقيقة، من خلال رفض كل استعمال سقيم للمفاهيم، وكل التباس مفهومي.
وضع تعريفات دوغمائية، مغلقة.	استعمال تعريفات مفتوحة، قابلة للتغير ولإعادة الصياغة خلال النقاش.
المضي في وجهة بحث معينة باندفاع وتسرع، بعد قراءة سطحية للسؤال.	تبيّن وتحديد معنىٰ السؤال بشكل جيد، لتفادي كل تفسير خاطئ؛ وذلك من خلال التحلي بالانتباه والتركيز.
الوضع بين قوسين، أو تجاهل المشكلة والرهان.	صياغة المشكلة وإبراز رهانها.
العمل بلا استراتيجية ولا فكرة مسائلة وأساسية.	طرح الإشكالية عند التقديم.
إلغاء الصعوبات والمعضلات، والتخلص منها بواسطة اللعب اللغوي، اختزال الإشكالية في فن التهرب.	السعي إلىٰ تحديد المشكلة طيلة سير النقاش.

المجادلة، المدح أو الذم، القدح، البت في الأمور بشكل جزافي، مع التفكير بطريقة موجزة.	العمل وفق تفكير منطقي دقيق، موضوعي وشخصي في الوقت نفسه، مع تحمل تبعات الشكوك المحتملة.
عرض ملخصات مذاهب.	دمج المعارف في استراتيجية تأملية شخصية.
تجميع معطيات ومعلومات بصورة إمبريقية.	القيام أولًا بتوظيف «عمل المفهوم».
العمل وفقا للصدفة، بالتراجع نحو الخلف دون نظام فعلي، الانتقال من سؤال إلىٰ آخر دون انتقال.	البناء والتأليف بدقة. وضع انتقالات تسمح بالمرور من فكرة إلىٰ أخرىٰ بطريقة تسمح بالتوصل نظام فعلي.

- احترام قانون التواصل. تشكل المقالة كما رأينا، نشاط تواصل. لهذه الغاية من الجيد التذكير ببعض المبادئ الرئيسة:

- عليك بالكتابة المقروءة: يجب أن يكون عرض أفكارك هو الذي يجلب انتباه قارئك. وليس علىٰ هذا الأخير أن ينهمك في نشاط فك للرموز متعب ومضجر، مشتت للعرض ولسير الأفكار.

- لا تتوان في تسطير خط استراتيجية عرضك الرئيس في المقدمة، أي الخط الموجه لمسار تفكيرك. سيعين هذا التخطيط المصحح علىٰ التموضع في طريقة ليست بيّنة بالنسبة له.

- عليك الالتزام بجميع علامات الوقف، فهي متنفس التفكير. تشير علامات الوقف إلىٰ نظام رموز يهدف إلىٰ تبيان أقسام النص، وإبراز بعض العلاقات النّحْوية أو بعض الفوراق. هل يجب التذكير بأن النقطة تشير إلىٰ انتهاء الجملة، وأن النقطتين تُنبئان بشرح أو تحليل يوضح العرض السابق؟ تعبّر علامات الوقف عن حياة أي نص: حركته وديناميكيته.

يتخذ كتاب جاك دريون «**محاولة في علامات الوقف الفرنسية**»، كموضوع له معنىٰ الوقف المنظم للغة. ما المقصود بالوقف؟ أليس هو التفكير باعتدال، وفق نظام وتناغم؟ يعمل الوقف وفق قواعد، وهو يعوّد علىٰ احترام القاعدة،

وكذا لذة الخطاب المنتظم وفق نظام وتناغم؛ لأن: «الفكر مثل الكائن، يسكن [. . .] الفاصلة البسيطة».

- يُستحسن تحرير جمل قصيرة. في الواقع يظهر التحكم في الجمل الطويلة صعبًا جدًا. من وجهة نظر بلاغية تنهك الجملة الطويلة عمومًا انتباه القارئ الذي يجتهد في تتبع تعرجات الفكر، لكنه يعجز عن ذلك، فيتملكه التعب والملل.

- إبراز بنية العرض وتقدم التفكير بشكل جيد. بالطبع، تقتضي الوسيلة البيّنة لإبراز بنية العرض وضع عنوان لكل فقرة أساسية من العرض، وهو ما سنقوم به (انظر ص١٤٣) عند معالجة بعض الأسئلة. غير أن التقليد الجامعي يرفض هذه الآلية. يجب إذن اللجوء إلىٰ حيلة كلاسيكية للفصل بين الفقرات تتمثل في ترك سطرين أو ثلاثة أسطر فارغة لكي نبرز الانتقال من فقرة إلىٰ أخرىٰ.

- عليك بفصل الحجج والإشارة إلىٰ تسلسلها. قم بفصل الحجج داخل الفقرات الأساسية، وذلك بالعودة إلىٰ السطر عند كل عرض لحجة جديدة، أو نتيجة لازمة عن حجة. تجدر الإشارة إلىٰ خطر المقالة المتراصّة -كتلة لا يمكن ولوجها-.

عليك إذن بإبراز التقدم الاستدلال وتسلسله في الوقت نفسه. بين يديك كم كبير من العبارات والألفاظ تعكس طرقًا مختلفة من الربط المنطقي التي تسمح بالإشارة بشكل جيد إلىٰ تمفصلات التفكير. يجب أن تعرف كيف تستعمل أدوات التعليل لتوضيح تناغم الفكر، مثل «لأن»، «لكن»، «إذن». تسمح هذه الأدوات بالإشارة إلىٰ الانتقال من حجة إلىٰ أخرىٰ، من حجة إلىٰ نتيجة . . . إلخ. يجب الحرص علىٰ اختيار الأدوات اللغوية التي تعبّر عن العلاقات بين الأفكار. إنّ هذه الأدوات الأساسية تهيكل اللغة.

لديك آليات بلاغية أخرىٰ من أجل إظهار تسلسل الاستدلال وانتقالات المحاجة النقدية، وخصوصًا بعض الصيغ المختصرة وبعض المنطوقات المختارة التي من شأنها إبراز الفصل بين الحجج وتبيان روابطها. يجد المصحح نفسه عندئذ أمام نظام مهيكل، يسهّل عليه عملية التقييم ويسمح بتنقيط فعَّال:

- تلك هي المحاجة المقترحة ...
- هذه هي الاعتراضات الممكنة علىٰ الأطروحة ...
- تلك هي فرضيات ومُسلَّمات هذا المذهب ...
- تلك هي نتائج التحليل ...

يعكس استعمال العبارات النحْوية أو الصيغ التسلسل المنطقي المتطابق مع التفكير الفلسفي.

- أبعاد المقالة وتوازنها. يجب أولًا تفادي النقيضين: التحليل المجهري والسرد المطول. فإذا ما اختزلت المقالة في رواية تفصيلية فإنها تفقد ماهيتها كمقالة، وستكون عاجزة عندئذ عن التعبير عن ثقافتك وعن قدرتك علىٰ التنظيم الفعلي للتفكير. غير أنّ هذه المقالات المبالغة في الإيجاز نادرة الوجود في التعليم العالي. بل إن أغلبها يقع في الإطناب: وهي «كالنهر الجاري» المصاحب بالهذيان والحشو. هنا يغرق تفكير الطالب في هذا السيلان غير المتحكم فيه والمتعب للمصحح. عليك أن تكون موجزًا إذن أو علىٰ الأقل أن تتبنّىٰ طريق الاعتدال: ستكون مقالتك في النهاية بين الأربع والثماني صفحات (حجم كبير). ولن تتجاوز أحيانًا خمس صفحات (انظر الملحوظات السابقة للجنة تصحيح المدرسة العليا للتجارة. ليون). في حالة تجاوز المعايير إلىٰ عشرين أو حتىٰ ثلاثين صفحة (وهو

ما يحدث في بعض المسابقات!)، فإنّ الوسط المعتدل يختل ولا نحصل عندئذ إلا استثناء، علىٰ علامة جيدة في امتحانات الليسانس أو مسابقات التعليم العالي المختلفة.

يجب إذن الحرص بعناية علىٰ التناسب المتوازن لأقسام العرض الأساسية. وتتطلب التركيبات علىٰ وجه الخصوص عرضًا كافيًا: وسواء تعلق الأمر بعرض تدرجي أو تركيبي، فإنه يتعين أن يكون النقاش والمحاجة في هذه المرحلة الأخيرة مكثفًا وزخمًا، وأن يستلهم من كل ما تم عرضه من قبل. إن التركيب الموجز يترك الانطباع لدىٰ القارئ بأن هناك نية في التخلص من الواجب بسرعة أو بطريقة يرثىٰ لها..

(١١) أمثلة على التحضير والتحرير

لا يجب النظر إلىٰ الأمثلة الثلاثة التي يتناولها هذا الفصل علىٰ أنها نماذج، بل باعتبارها نشاطات يتم خلالها شرح المنهج. لقد سبقت الإشارة إلىٰ أسئلة هذه النشاطات في الفصل التاسع. كل نشاط تسبقه عملية تحضيره منجزة في تطابق مع «طريقة العمل» المعروضة في نهاية الفصل المذكور (ص..)، «طريقة عمل» تتضمن منهج التحضير كله. كل مرحلة تحرير تقابلها في خانة اليمين، البنىٰ المنطقية المتناولة خلال التحضير.

*** المثال الأول:**

السؤال: «هل يمكن أن توجد حقائق جزئية؟»

*** التحضير:**

تحيل المقالة التي تتناول هذا السؤال، والتي سبق تحضيرها خطوة بخطوة (انظر الفصل التاسع)، **المشكلة رقم ١**: هل يمكن أن توجد أحكام صادقة وكاذبة في الوقت نفسه؟

تحرير المقالة

المقدمة	
الموضوع مطروح في شكل سؤال. يتعلق الاستفهام بإمكانية ومشروعية (هل يمكن) وجود حقائق جزئية. هناك إذن مصطلحان متقابلان ومُساءلان في الوقت نفسه داخل هذا التقابل: مصطلح «الحقيقة» من جهة، ومن جهة أخرىٰ الوصف «الجزئية». إذا أردنا تقديم تصوُّر أوّلي للحقيقة، نقول: إنها تشير إلىٰ ما يمكن ويجب علىٰ الفكر أن يتقبله بالنظر إلىٰ علاقة التطابق بينه وبين الموضوع. غير أن هذا النوع من المعرفة المطابق للواقع مُلحق هنا بمصطلح الجزئية. ما الذي تعنيه هذه الصفة؟ الجزئي هو ما لا يُشكّل إلا جزءًا من كُل، ما هو متقطع، ما ليس بكل وأيضًا ما لا يوجد إلا جزئيًّا. ومنه يبدو لنا الجزئي إما كمتقطع وإما كغير مكتمل. وفق هذا المعنىٰ المزدوج تجدر الإشارة إلىٰ الحمولة السلبية الخفيفة التي يكتسيها هذا المصطلح، وتعارضه مع الكلي والتام والشامل أو الإجمالي، كما لو أن هذه الصفات المختلفة تلمح إلىٰ نوع من الكمال المعارض لتحديد الجزئي. فالسؤال المطروح لا يبدو إذن بريئًا أبدًا.	معنىٰ المصطلحات والموضوع الحقيقة ملائمة وتطابق الجزئي أي المنقطع أو غير التام
يطرح الموضع في النهاية السؤال التالي: هل من الممكن وجود معارف مطابقة للواقع، لا تَخُصّ رغم ذلك إلا القسم أو الجزء فقط، وليس الكل؟ تشكل الإجابة بالإيجاب عن هذا السؤال إشكالية لا سيّما وأن الجزئي يحيل إلىٰ غير التام وحتىٰ إلىٰ المتحيز. (بهذا المعنىٰ نتحدث عن الخبر الجزئي أو المتحيز). إنّ المعنىٰ الفعلي للموضوع في النهاية هو: هل يمكن وجود حقائق تفلت من الكونية؟ تحيل صيغة الجمع إلىٰ فكرة تعدد الحقائق في مقابل الحقيقة الكونية الواحدة والشاملة.	معنىٰ السؤال
يفضي الموضوع إلىٰ تساؤل: ألا تقود العبارة «الحقائق الجزئية» إلىٰ خطاب متناقض؛ لأنها تشير في الوقت نفسه إلىٰ تطابق وعدم تطابق الفكر مع موضوعه؟ لكن، ألا يعني هذا وجود أحكام صادقة وكاذبة في آن؟ هذه هي المشكلة.	التساؤل والمشكلة
ألا يؤدي بنا ذلك إلىٰ خرق مبدأ التناقض؟ هل هذا ممكن ومشروع؟ بهذا يبرز الرهان. نحن أمام مشكلة رهانها واضح: أليس مبدأ عدم التناقض هو المطروح في المشكلة؟ إن ما هو مطروح علىٰ المحك هنا يعتبر أساسيًّا، ذلك أنه يخص مبدأ من مبادئ تفكيرنا.	الرهان

يمكن وجود حقائق جزئية (الأطروحة)	
رغم الصعوبات التي يفترضها الموضوع، لا يبدو وجود الحقائق الجزئية لا تخص إلا جزءًا من كل، مثار شك فعليًا. من المقبول شرعيًا وجود حقائق غير كونية. فالأجزاء التي تحظىٰ بتصديقي، وتمظهرات تجربتي التي تبدو لي مُرضية تعكس إما حدسًا حسيًّا مباشرًا وإما تجربة فردية وذاتية معاشة وإما إدراكًا ناجمًا عن مفاهيم منعزلة.	إمكان وجود حقائق لا كونية، مُتصورة في أشكال متعددة. ملحوظة: تكشف الفقرة الأولىٰ هذه عن أفكار وخطوات هذا القسم من التحليل.
لنفحص هذه الحالات الثلاث. يبدو إذن أننا نحقق معرفة فعلية وصادقة، وفي الوقت نفسه جزئية: يمكن للحدس الحسي، وللتجربة الذاتية المعاشة أو لمقاطع العقل المجرد أن تُشكّل حقائق منعزلة بمعنىً ما، ورغم ذلك واقعية وموجودة بالفعل.	
يبدو أن الحدس الحسي المباشر يعكس شكلًا من الحقيقة. عندما نحقق إحساسًا بصريًا أو سمعيًا، أو عند حدوث حالات إحساس بالحرارة وبالبرودة، وبالعذوبة وبالمرارة، فإن هذه الإحساسات المباشرة تتخذ صفة الحقائق. فالأشياء بالنسبة إليّ كما تتبدىٰ في مظهرها، وهي بذلك المظهر أيضًا في الواقع. لهذا السبب كان السوفسطائيون يعرّفون الحقيقة بالحدس الحسي المباشر. إن الإحساس من حيث هو علم، له دائمًا موضوع واقعي ليس محلًا للخطأ: وبالتالي فإن إحساساتنا صادقة بالنسبة إلينا. إن الحقيقة إجمالًا هي ما نراه وما نسمعه، وكل الإحساسات المباشرة بالنتيجة صادقة دائمًا. إن الحرارة والجفاف والعذوبة هي كلها حقائق جزئية وثابتة، حقائق في حركة، متغيرة وزائلة.	الحدس الحسي كحقيقة جزئية.
لكن، ألا يمكن أن تمثل التجربة المعيشة والفردية باعتبارهما تجليًا وجوديًا وجوانية للذات الفردية، حقائق جزئية، ذاتية ورغم ذلك ثابتة؟ يمكن أن تظهر ذاتية الوجود كحقيقة. عندئذ تشير الخصوصية المادية لوجودنا الفردي إلىٰ مسارنا ومسلكنا الحق والأصلي. أنا موجود ملقىً في العالم، يحدد مجالًا معينا من الممكنات: تعكس هذه الفردية غير القابلة للاختزال وهذا الوجود المتفجر أشكالًا متعددة من الحقائق. لم يعُدْ الأمر يتعلق هنا بالحدس الحسي المادي، بل بمسلك الإنسان الروحي. لذلك لا يتوقف كيركغارد عن التذكير بأن الذاتية الأصيلة هي الحقيقة، وأن الوجود، الديني خصوصًا، هو الملاذ الذي يتكشّف فيه الشخص، والذي تتجلىٰ فيه الحقيقة للكائن. غير أن الأمر يتعلق هنا بحقيقة مكتشفة من طرف فردية خاصة، بحقيقة غير كونية مباشرة. علىٰ عكس الحقيقة المشتركة بين جميع العقول، ترتسم سبل للحقيقة، وحقائق منقطعة خاصة بالموجودات الفردية. وعليه يبدو أن وجود حقائق غير كونية ممكن إذن.	التجلي الوجودي والتجربة المعيشة.
لا تُمثل المعرفة الحسية المباشرة وتجلّي السبل المادية رغم ذلك، الأشكال الوحيدة من «الحقائق الجزئية» الموجودة. يمكننا الرجوع إلىٰ مقاطع العقل المجرد، المبدع لمفاهيم تعمل بطريقة تحليلية وتُشكل حقائق منفصلة متعددة. لماذا لا نتوصل إلىٰ الحقيقة بواسطة مفاهيم منعزلة؟ تحاول ملكة الحكم تنظيم التجربة وفق مفاهيم أو مقولات تسمح بتجزئة الواقع والمادة الظواهرية. إن المفهوم يقسّم ويجزئ، فهو أداة تسمح لي بتهجئة الظواهر. يوصلنا المفهوم من حيث هو نتاج العقل التحليلي إلىٰ حقائق «جزئية»، تتعلق بأجزاء من الواقع. من المؤكد أنه يربط الإحساسات في سلاسل ويمنح وحدة تأليفية، إلا أنه يبقىٰ رغم ذلك غريبًا عن العقل. إننا نتموضع مع المفهوم علىٰ مستوىٰ «الحقائق الجزئية».	حقائق المفاهيم المنعزلة

يمكننا هكذا، مع الحدس الحسي المادي والتجربة الذاتية المعاشة للوجود ومقاطع العقل المجرد، التحدث عن حقائق جزئية وتأكيد وجودها.	حوصلة: توجد حقائق جزئية.
بالمقابل، ألا تطرح فكرة وجود حقائق منفصلة عن الكل مشكلة. إنّ التطابق مع الواقع هنا واهٍ وليس أكيدًا: أمِن المقبول أن تكون المنطوقات الخاصة بعلاقات التطابق بين معرفتنا والموضوع المقصود، مُتجزئة؟	الانتقال: نقد مشروعية الحقائق الجزئية.
الحقيقي هو الكلي (نقيض الأطروحة)	
إذا كنا لا نُحقّق في الحقائق الجزئية إلّا تطابقًا واهيًا وغير أكيد مع الواقع، فإنه يبدو من المشروع الالتفات نحو الكل، الذي من شأنه ربما لأن يُحقّق لنا الحقيقة المرجُوّة. لنعد النظر من هذه الزاوية الجديدة، في الحقيقة الحسية، وفي التجربة الذاتية المعيشة وفي الحقيقة التي يقدّما المفهوم.	
لنتناول فكرة الحدس المباشرِ للمحسوس، حدس آني ومادي، إحساس جزئي. يتعلق الأمر هنا «بيقين مباشر»، يظهر في مضمونه المادي، ذا حقيقة وغنىً كبيرين. ولكن، هل يمكنني الحديث عندئذ عن حقيقة جزئية؟ يجب تبيان هذا التأكيد. في الواقع ليس لهذا اليقين الحسي المباشر حقيقة فعلية. إنه يفلت، من حيث كونه غير قابل للتواصل، وغير قابل للترجمة علىٰ الأقل إلىٰ اللغة، من كل معيار كوني، ويتلاشىٰ كحقيقة.	يجب ضم الحقيقة الحسية المباشرة إلىٰ الكل.
إنها تظهر في النهاية كفراغ محض أو مجرد لبس. فراغ محض؟ مثلما بيّن ذلك جيّدًا هيغل، إنّ المعرفة المباشرة لا يمكن حتىٰ أن تتحقق بذاتها، إنها تُمثل عمقًا يعكس ما هو أكثر سطحية، وبالنتيجة فهي ليست «حقيقة» بأتم معنىٰ الكلمة، بل فقط الليل الذي تبدو فيه جميع الأشياء سوداء. مجرد لبس؟ يمكننا فعلًا فحص الآنية «الجزئية» من زاوية أخرىٰ، أي كصفة حسية وتخيل لجسدنا. غير أن هذا التخيل، خارج النظام العام للواقع، ملتبس جدًّا. هل بإمكاني الحديث في هذا المنظور عن حقائق جزئية مرتبطة بالتخيل؟ إن هذه الحقائق الجزئية والمتشظية، مرتبطة، بعيدًا عن كونها خاطئة، كلية بالجهل بالوقائع الحقيقية وبالتسلسل الكلي والفعلي للعلل. هناك « قليل من الصدق» في هذا التمثيل الخيالي، ولكنه قليل جدًا. بمعنىً آخر، إن الحقيقة الفعلية ترجع إلىٰ الكل. وبالتالي لا يمكن أن توجد حقائق حسية جزئية بما هي كذلك. من أجل الانتقال من التمثيل الجزئي إلىٰ الحكم الصادق، يجب التوجّه نحو الكلية: جميع التمثلات المتصورة في علاقتها مع الكلية، تتطابق مع موضوعها، وهي بالتالي صادقة.	إن الحقيقة الجزئية في ذاتها، سطحية وفارغة (هيغل). ويجب أن تربط بسلسلة شاملة.
بهذا يكون اليقين الحسي المباشر والجزئي فراغًا ولبسًا: لا يكتسي من معنىً ومن صدق إلا في علاقته مع الكل.	حوصلة تتعلق بالنقد المعروض:
يمكننا القيام بنفس الاستدلال فيما يخص التجربة الجوانية المَعيشَة، الفردية والجزئية، ماذا تعني الحقيقة الجزئية للذات في فرديتها القصوىٰ؟ سيكون هذا البحث في النهاية تجريدًا بحتًا، إذا ما تم فصله عن مجموع الأشياء وعن دائرة الواقع. يكون هيغل من وجهة النظر هذه محقًا عكس كيركغارد: ليست التجربة الذاتية المعيشة، تمامًا مثل المباشرية الحسية، إلا وهمًا، وأضغاث أحلام ولمعانًا بلا طائل. تشير التجربة المَعيشَة إلىٰ معرفة لا يمكن أن تتحقق بذاتها. كلّا، ليست هناك حقائق جزئية؛ لأن الحقيقي هو الكلي، الدائرة الواقعية للكلية المادية.	من الضروري إلحاق التجربة المعيشة المباشرة بالكل. وهو موضوع يرجع إلىٰ النقد الكيركغاردي للنظام.

في الأخير، لا يحقق تقسيم العقل المجرد بدوره حقيقة. إنّ ماهية المفهوم المنعزل، الذي يعمل بشكل جزئي، هي البقاء في مستوىٰ التجريد المحض. لا يمكن للمفهوم الذي يتناول الأشياء باعتبارها منعزلة نسبيًّا، وينظر إليها من زاوية جزئية، أن يتجاوز الحدود المجردة ولا يمكنه بلوغ المادي الحقيقي. ومن أجل بلوغ هذا الأخير يجب تجاوز مرحلة الفهم «التحليلي» وبلوغ العقل (التركيبي). يتم عند هذه اللحظة تجاوز التقطعات والتعارضات وتُدمَج في كُلٍّ موضح، شامل وضروري. هذه هي حركة العقل المُوحدة، في مقابل العقل المجزئ للأشياء بطريقة جزئية ومتشظية.	في الأخير، تتطلب الحقيقة الجزئية للمفهوم تأليف العقل.
وعليه فلا وجود لحقائق جزئية: إنّ بنية الكل هي التي تحقق الصادق، علىٰ جميع المستويات، المستوىٰ الحسي، ومستوىٰ التجربة المعيشة ومستوىٰ المفهوم. «لا تكون المعرفة واقعية فعلًا إلا كعلم أو كنسق، ولا يمكن أن تمثل إلا بهذه الطريقة» [هيغل]. إنّ الصادق هو الكل، النتيجة، ما عليه الأشياء في وحدتها. تبرز في مقابل فكرة حقائق جزئية منفصلة ومتجزئة، فكرة حقيقة متصورة ككل وكشمول. إن الحقيقة الجزئية وَهْم مقارنة بالكلية، التي هي وحدها الحقيقة المادية والتامة. يتماهىٰ الصادق إذن مع الكل. أما الحقائق الجزئية والقطع المفردة، فليس لها من معنىٰ إلا بكونها أوْهامًا أو أخطاء. ومع ذلك، ليس هذا التصور مُرضيًا أبدًا بالنسبة إلىٰ العقل. كيف يمكننا الحصول علىٰ الحقيقي (الشامل) بأجزاء يفترض أنها خاطئة؟ يوجد هنا تناقض يقود إلىٰ تحليل جديد. هل من الشرعي حقًّا النظر إلىٰ الكل وأجزائه في الوقت نفسه وَفق نمط مغلق في حين أن هذا الكل هو أساسًا مسار حركي وتجميع جارٍ، مفتوح دائمًا؟	حوصلة: الحقيقي هو الكل. الانتقال: تناقض غير مرضٍ.
التركيب	
إذا كان من المشروع النظر إلىٰ الكل وأجزائه بشكل مغلق ومُنتهٍ، فإنه من الممكن رُبَّما أن يكون التركيب الذي نسعىٰ وراءه في التجميع الديناميكي: إن الواقع مفتوح فعلًا ومتحرك، ويجب علينا أن نأخذ في الاعتبار هذه الديناميكية وهذا الانفتاح.	
إذا كانت الأطروحة تحاول المحافظة علىٰ إمكانية ومشروعية الحقائق الجزئية، فإنها تقود رغم ذلك إلىٰ طريق مسدود: إذ تَكفُّ هذه الحقائق المتشظية والمتجزئة عن كونها «صادقة»؛ لأنّ كل شيء عندئذ صادق، وكل شيء يظهر في الوقت نفسه غير يقيني. تتلاشىٰ في هذا «التيه الأنطولوجي» الحقائق الجزئية كحقائق. لكن مع نقيض الأطروحة، تبدو إمكانية ومشروعية الحقائق الجزئية مشكوكًا فيها أيضًا: ألا تتلاشىٰ أمام النسق والكل؟ يصبح اليقين الحسي المباشر والذاتية عند تناولهما داخل النسق لحظات للروح الموضوعي، مجرد تحديدات للكل. في كلتا الحالتين تصبح مشروعية الحقائق الجزئية فضلًا عن إمكانيتها، محل شك جذري. يظهر عندئذ تصور آخر يبدو ضروريًّا للإبقاء علىٰ الحقائق الجزئية.	تسائل الأطروحة والنقيض معًا شرعية الحقائق الجزئية.

بالتالي يجب تخصيص وربما تغيير الأطروحة التي تقول: إنّ كل حقيقة جزئية ليس لها من معنىٰ ومشروعة فعلية إلا داخل الكل والنسق، أي داخل كل عضوي تتلاشىٰ فيه بما هي كذلك. فالأمر لا يتعلق بمجموع يُشكّل كلًا عضويًا بقدر ما يتعلق بحركة شاملة من التجميع غير المعرف، يجب أن نأخذها هنا بعين الاعتبار. علينا التمييز بين الكلية والتجميع. إذا كان من الضروري وجود يجعل الحقيقة الجزئية ممكنة ومشروعة فإنه لن يكون سوىٰ فعل توحيد روحي مستمر، وليس أبدًا كلية (ساكنة). «لا يجب الخلط بين مفاهيم الكلية والتجميع هذه، فهُما متميزين تمامًا». تعرّف الكلية بكونها كائنًا متميزًا تمامًا عن مجموع أجزائه، يجد نفسه تامًّا، في شكل أو في آخر، في كل جزء من تلك الأجزاء [..]. لكن من حيث إنّ هذا الواقع قائم تسليمًا، فإنه لا يمكن أن يوجد إلا في الخيال [...]. إن الوضع الأنطولوجي الذي يتطلبه بماهيته هو الوجود في ذاته أو إن شئنا، الجمود»[1]. ينخر جمود الوجود في ذاته هذه الوحدة السلبية والساكنة، وحدة جامدة تعدم مذ ذاك الحقائق الجزئية. ذلك حال النسق أو الكلية الهيغلية، في مقابل الوحدة السارية والعمل التركيبي الذي يوحّد الأجزاء ويمنحها معنىٰ ووحدة. في مقابل الكلية نجد العمل التركيبي التجميعي الذي يجعل من كل جزء من الحقيقة تمظهرًا حيًّا للمجموع. أليس خطأ هيغل في النهاية هو إيقافه المسار الروحي من أجل بلوغ المعرفة المطلقة؟ في العمق، لقد أخطأ هيغل عندما تطلّع إلىٰ تشكيل النسق النهائي الذي يمنح معنىٰ وشفافية للحقائق الجزئية المنحلة فيه، وعندما أنهىٰ الفلسفة. لذلك عوض فكرة التفكير المغلق والشمولي (التي تقتل الحقائق الجزئية) يجب إحلال فكرة الحركة التجميعية التي لا تكون أبدًا مغلقة أو منتهية، والتي تجد فيها كل حقيقة جزئية معنىٰ وحياة.	الحركة الروحية الأصيلة: اندماج ممكن للحقائق الجزئية في مسار.
هل يمكن وجود حقائق جزئية؟ بالتأكيد، لكنها ستكتسي عندئذ وضعًا جديدًا: ستصبح، بعد أن تفلت من التجزؤ المطلق ومن الانغلاق في النسق، مزيجًا من الصدق والكذب، لحظات ترتبط بوحدة روحية غير منتهية أبدًا. وبذلك تصبح المعرفة العلمية تمثل حقيقة جزئية، «خطأ-حقيقة» ينفي ذاته ويعيد تشكيلها من خلال نظريات علمية متجددة باستمرار، تعكس ديناميكية الروح الصانع لذاته.	مثال عن المعرفة العلمية الخطأ- الحقيقة، المرتبط بتجميع سار.
إنّ الحقائق الجزئية الممكنة والمشروعة والمحمولة بحركة الروح السائر التي تبررها دون عدمها، هي لحظات من مسار الروح.	
الخلاصة	
بهذا يمكن لمنطوق ما ولحكم ما أن يكون صادقًا أو كاذبًا في الوقت نفسه بحسب زاوية اعتباره ولحظة تطور المسار.. إلخ. كل حقيقة ليست إلا لحظة في مسيرة الفكر الممتد بلا حدود في عمله التوحيدي: صورة لفعل الوحدة المستمر. ماذا عن المكسب الفكري؟ نعلم الآن أنه من الممكن أحيانًا التحايل مع مبدأ عدم التناقض.	الإجابة عن المشكلة المطروحة وإعادة ممكنة للرهان.
وجود الحقائق الجزئية ممكن ومشروع، غير أن هذه الحقائق ليست إلا لحظات داخل مسار.	الإجابة عن السؤال.

(١) Sartre, Critique de la raison dialectique, Gallimard, T1, p 138.

* **المثال الثاني:**

- **الموضوع:** «المتوسط والمباشر».

* **التحضير:**

علينا الالتزام بشكل دقيق بطريقة العمل.

I- قراءة الموضوع:

تحليل المصطلحات (المعنىٰ، أصل الكلمة).

* «**المتوسط**»:

- **المعنىٰ:** ما هو مرتبط بمصطلح ما عن طريق مصطلح وسيط (أو عدة مصطلحات).

- **أصل الكلمة:** من الأصل اللاتيني medius؛ أي ما هو متموضع في الوسط، بيني.

* «**المباشر**»:

- **المعنىٰ:** ما لا يتضمن وسيطًا، والذي يُطرح في هذه الشروط كأوّلي وأصلي.

- **أصل الكلمة:** من الجذر اللاتيني (immediatus) المركب من الحرف (in) النافي و(medius) أي المتموضع في الوسط، أي: بلا توسط، مباشر.

لِكون المتوسط والمباشر معروفَيْن، فإننا سنتوقف عند دراسة الأسماء فحسب.

(٢) تحليل العلاقات بين المصطلحات:

يسمح حرف العطف «الواو» هنا بالتعبير عن رابطة وتقارب. إنّ وظيفة حرف «الواو» هي الإشارة إلىٰ الروابط القائمة بين المصطلحين، والخصائص المشتركة بينهما ... إلخ. ويشير هذا الحرف في المنطق الصوري إلىٰ أن الأمر يتعلق بما هو مشترك بين المصطلحين.

هدف التحليل: ارتباط وتفاعل المصطلحين أو المفهومين المتناولين.

(٣) ضبط المصطلحات الأساسية:

من الواضح أنّ للمصطلحين دور رئيس، وأنهما سيوجهان النقاش.

(٤) جرد المفاهيم:

	المصطلحات المتقاربة	المصطلحات المتعارضة	مصطلحات في علاقة تبعية
المتوسط	مشروط، متوقف (علىٰ أشياء أخرىٰ)، غير مباشر، بيني.	معطىٰ، مباشر، حدسي، أصلي، بدئي.	مفهوم، جدل، خطاب، لغة، سلبية، مسار تصوري، استدلال، زمن.
المباشر	حدسي، أصلي، أولي، سابق علىٰ التفكير، بدئي، معاش ببساطة، تلقائي.	تصوري، مبني، متباعد، بعيد، غير مباشر، متوسط.	وعي، معطىٰ (يات)، تجربة باطنية، نوعية، (ال) كمي، (ال) معاش.

(٥) نتيجة:

- **معنىٰ الموضوع**: ما نوع العلاقات التي يمكن تصورها بين ما هو معطىٰ بدون وسائط، وما يبدو بدئيًا وأصليًا، ومن جهةٍ أخرىٰ، ما يتطلب وساطة وحدًّا ثالثًا لبلوغه؟ يتعلق الأمر بإدراك نوع العلاقة التي يمكن أن تنتظم بين هذين المفهومين، اللذين يبدوَان للوهلة الأولىٰ متعارضين.

- **طرق أوّلية للتساؤل**: وهي متأتية بالطبع من المصطلحين الأساسيين، ولكن أيضًا من معنىٰ الموضوع.

الطريق رقم ١: تعميق هذين المصطلحين، وخصوصًا علاقة التعارض الظاهرة بينهما.

الطريق رقم ٢: ألا يمكننا الإشارة إلىٰ أن مصطلح «المتوسط» إيجابي، في حين أنّ مصطلح «المباشر» يفترض نفيًا؟ أليست هناك أسبقية لُغَوية للمصطلح الأول علىٰ الثاني[١]؟

- **أدوات العمل الأولىٰ**. من الواضح أن الجدول السابق يدفعنا للدخول في بحث مكثف وفي استراتيجية نِقاش. إنه يعرض طرقًا عدة للتعمق في التعريفات، خصوصًا في المجالات الزمنية والمفاهيمية.

---

(١) **يتكون اللفظ**: (l'immédiat) في اللغة الفرنسية من الجذر (média)، وأداة النفي الابتدائية (in) التي تحولت هنا عند اتصالها بالحرف (m) إلى (im)، وبذلك فإنّ اللفظ يعكس فعلًا إشارة السلب أو الانتفاء المشار إليها، كما يبرز أيضًا الأسبقية اللغوية للمتوسط، غير المباشر (le media)، على المباشر l'immédia. (المترجم).

* الإشكالية

(١) التساؤل:

الأسئلة	أدوات العمل والبحث المقترح
- الطريق رقم ١	
هل يمثل المباشر معطىً بسيطًا؟ أليس قريبًا من التجربة المَعيشة؟	تحديد المتوسط والمباشر عبر الزمن والمفهوم.
أليس المتوسط مرتبطا بمسار؟ أليس في ارتباط مع الزمن والمفهوم؟ أليس المباشر قريبًا من المحسوس؟ أليس المتوسط قريبًا من المعقول؟	تبدو نظريات برغسون (حول المعطيات الأولية للشعور) وهيغل (نقد اليقين الحسي) مناسبة للموضوع.
أليس هنا ما يُشكل في العمق تعارضهما؟	
ألا يمكننا تجاوز هذا التعارض من خلال الجمع بين المحسوس والمعقول؟	
إلخ	
- الطريق رقم ٢	
أليس المتوسط (المعبر عنه بإيجابية في اللغة، علىٰ عكس المباشر) هو الأداة الوحيدة التي تسمح ببلوغ الواقع؟ ألا يهدف المباشر إلىٰ إلغاء المسافة مع الواقع؟	
أليس هذا وهمًا؟ أليس بناء يسمح وحده ببلوغ الواقع، المستعصي علينا بغير هذا الطريق؟	لا يمكن معرفة المعطيات المباشرة ذاتها إلا من خلال اللغة (برغسون).
أليس هذا المباشر المفترض هو ذاته، وفق هذا المنظور، متوسطًا؟	
ألا يتطلب المباشر عندئذ، المتوسط كمصطلح تأسيسي (لوجوده)؟	
أليس كل من المتوسط والمباشر ثمرة بحث طويل؟	التعمق (إمكانية الإجابة عن السؤال).
إلخ.	

(٢) اختيار المشكلة الرئيسة:

هل من الممكن ربط المحسوس بالمعقول، علىٰ اعتبار أن المباشر يتموضع غالبًا في مجال المحسوس والمتوسط في جهة المفهوم والمعقول؟

يتعلق الأمر «بسؤال السؤال»: تختزل الإجابة السلبية العلاقات بين المتوسط والمباشر في تعارض لغوي مجرد.

(٣) تحديد الرهان:

الذي علىٰ المحك في السؤال والمشكلة هو بالنسبة إلينا، إمكانية توحيد علمنا ومعرفتنا. يضع السؤال والمشكلة علىٰ المحك مجمل نظرتنا للإنسان ولعلمه. هل بإمكاننا توحيد طرق بلوغ الواقع أم سنبقىٰ حبيسي نظرة متشظية؟ هناك إذن مكسب فكري مهم مرتبط بالسؤال وخصوصًا بالمشكلة.

(٤) اختيار الفكرة الأساسية الموجهة للمقالة:

إذا كان المتوسط ناتجًا عن عمل وبحث، فإنّ المباشر الحقيقي يشير هو أيضًا إلىٰ مصطلح مسار (من التطهير الروحي).

(٥) الخطة المفصلة:

- **اختيار نوع الطريقة**. تبدو الطريقة المقارنة مناسبة لهذا السؤال: يقودنا السؤال المطروح إلىٰ تحليل الاختلافات وطبيعة التعارض بين المصطلحين، ثم محاولة تقريب المتوسط من المباشر.

* وضع الخطة المفصلة.

تحليل الإجابة والخطة	تحليل المشكلة
القسم الأول: التعمق في المفهومين، اللذين نموضعهما في حقل العلم والمعرفة. فيما يخص كل مصطلح، يجب دراسة: - الزمنية، - الصياغة والصورة المفاهيمية. الحصيلة: الطابع المعيش، المعطىٰ والأصلي للمباشر. والعكس، يشير المتوسط إلىٰ مسار (مفهومي).	الخطوة الأولىٰ المنجزة: يشير التعمق في المفهومين إلىٰ العلاقة المتواترة للمباشر مع المحسوس، وللمتوسط مع المعقول. الانتقال: يبدو الآن أن العلاقات المتصورة بين المتوسط والمباشر تُختزل في لعب تعارض محض، لعب يجب فحصه الآن.
القسم الثاني: تحليل علاقة التعارض: - يبدو أن المتوسط يقتل المباشر. - لا يمكن بلوغ المباشر إلا بمضادة المتوسط.	الخطوة الثانية المنجزة: التقدم في الإحراج. يبدو أنّ محاولة إرساء جسر بين المصطلحين مستحيلة مطلقًا (فهي غير متوافقة حتىٰ مع تحليل المفهومين). الانتقال: إذا كانت العلاقة الجدلية والتصارعية تبدو ظاهرة، ألا تبرز في الأفق، وحدة ممكنة بينهما؟
القسم الثالث: العلاقة الجدلية. يستدعي المباشر المتوسط، ويقتضي المتوسط المباشر: - إن المعارف المباشرة يعبر عنها في المتوسط - يطالب المتوسط بعنصر من المباشرية المحسوسة.	الخطوة الثالثة: يبدو أن إيجاد ممر بين الدائرتين ممكنٌ.

الخلاصة

(١) تحديد المشكلة:

- من المشروع إرساء رابطة بين المحسوس والمعقول، ووضع جسر بين النظامين.

(٢) الرهان:

- المكسب المحقق (نظريًّا): تصالح وتوحد الإنسان مع ذاته.

(٣) نتيجة دراسة العلاقة (الإجابة عن منطوق سؤال):

- يبدو الواقع الإنساني كمباشرية متوسطة وتوسط مباشر.

تحرير المقالة

مقدمة	
يتعلق الأمر هنا بتحديد نوع العلاقة التي يمكن تصورها وتنظيمها بين مفهومين، مفهوم المتوسط ومفهوم المباشر. نتكلم عن مفهومين؛ لأن هاتين الصفتين تأخذان هنا شكل الاسم. ما المقصود بالمفهوم الأول؟ هو ما يتم بطريق غير مباشر، وما هو مرتبط بمصطلح ما عن طريق مصطلح وسيط أو أكثر. لا يمكن للمتوسط أن يعمل أو أن يرتبط مع مفاهيم أو مصطلحات أخرىٰ إلا من خلال حد ثالث يسمح بإرساء العلاقة. وعليه يطرح المتوسط كما لو أنه تابع لشيء آخر، علىٰ خلاف المباشر المعاكس له. ينمّ مصطلح المتوسط هذا إذن عن فكرة التبعية، وأيضًا عن فكرة المسار غير المباشر. يقابل المتوسط المباشر والآني. ما المقصود بالمباشر. ينحدر هذا اللفظ من الجذر اللاتيني (**immediatus**)، الذي يعني بدون أي شيء في الوسط. نلاحظ أداة النفي (**in**) التي تنزع إلىٰ إبراز مشكلة العلاقة المتوسط/ المباشر من زاوية معينة: فمصطلح المتوسط إيجابي بينما يفترض مصطلح المباشر السلب. إن المباشر يحيل إلىٰ ما لا يتضمن وسيطًا، ويبدو المباشر منذ ذلك الوقت أنه يُمثل (سلبيًا) معطىٰ أوّلي. ما نوع العلاقة التي يمكن تصورها بين ما يعطىٰ بدون واسطة وما يتطلب وساطة؟ هذا هو معنىٰ سؤال موضوعنا.	ضبط المصطلحات: - المتوسط، - المباشر
يدفعنا السؤال نحو التساؤل: ما هو المصطلح الذي يوّلد الآخر، والذي يجب إيلاؤه أهمية علىٰ المستوىٰ المنهجي أو الفلسفي؟ وماذا لو كانت فكرة المباشر ذاتها فكرة، أي توسطًا؟ ألا تكون الأولوية في هذه الحالة الأخيرة، للمتوسط الذي يوّلد المباشر؟	معنىٰ السؤال التساؤل
مهما كانت أولوية هذا أو ذاك، فإن المشكلة التي يطرحها الموضوع هي تلك المتعلقة بمعرفة هل من الممكن إرساء جسر بين المحسوس والمعقول، بين الإمبريقي والمجرد، بين المعطىٰ والمفهوم. في الواقع يتموضع المباشر غالبًا إلىٰ جانب المحسوس (حتىٰ وإن كان هناك أيضًا مباشر معقول، في مظاهر معينة) ويفترض المتوسط من جهته المفهوم ومسار التجريد. كيف نربط عندئذ بين هاتين الدائرتين المتعارضتين، تلك هي مشكلتنا. ما هو علىٰ المحك بالنسبة إلينا، هو إمكانية توحيد عملنا ومعرفتنا عوض التوقف عند نظرة متشظية.	المشكلة الرهان
I- تمييز المفهومين	
من أجل التوصل إلىٰ تحديد نوع من العلاقة الممكنة بين المفهومين المتصورين وفحص ما إذا كان أحدهما متضمن في الآخر أو ما إذا كانا يشكلان ثنائية جدلية تتحدد بشكل تبادلي، يجدر بنا أولًا القيام بتمييز دقيق لكل مصطلح في ماهيته، بشكل يمكن بعده صياغة نوع العلاقة الممكنة بين المفهومين الموضحين.	تحديد والتعمق في المفهومين

أولًا ماذا عن المباشر؟ ليس هذا المفهوم بالبسيط أبدًا. ما الذي نلحظه إذا أردنا الاحاطة به ووصفه؟ نجد في المباشر فكرة نوع من العلاقة مع الزمن: فالمباشر لا يتم فيه، إنه لا يحيل إلىٰ مسار زمني، وفكرة الانقطاع الزمني غائبة عن هذا المفهوم. إنّ الزمان مسار والمباشر يفترض غياب هذا المسار. غير أن المباشر يفترض أيضًا غيابًا آخر: هو غياب الصياغة المفاهيمية. فمثلما يغيب وسيط الزمن ينعدم أيضًا في مفهوم المباشر البناء المفاهيمي. إنّ المفهوم، تلك الفكرة المجردة والعامة، غير متضمن في المباشر، من حيث إن هذا الأخير يحيل إلىٰ تجربة أصلية جوهرية. في المباشر لا وجود للزمانية، للتصور وللاستدلال. يستثني المباشر الاستدلال، أي نشاط العقل في الانتقال من الأوليات إلىٰ النتائج بصورة استنتاجية. ما الذي يعنيه غياب الوساطة هذا؟ يعني أن المباشر يتموضع في جانب الحدس. فهو معطىٰ لنا بطريقة حدسية. إن تحقيقه يكون بنظرة آنية، خلافًا لكل تفكير خطابي أو مفهومي.	– التعمق في المباشر: غياب الزمن، والصياغة المفاهيمية والاستدلال.
يقودنا كل هذا تدريجيًّا إلىٰ فكرة الحقيقة الأصلية: يشير المباشر إلىٰ تلك المادة الأولية السابقة عن كل تفكير، ذلك المعطىٰ الأوّلي الذي يتعارض مع المبني والمستنتج. يطرح المباشر أمام العقل دون أن يقوم هذا الأخير ببناء أو تطبيق آلياته الخاصة علىٰ الموضوع. لقد بدأنا ندرك المباشر في وجوهه المختلفة: إنه يبدو قريبًا من المعطىٰ، والحدسي، والأولي، والأصلي وفي الأخير، مما هو معيش ببساطة. وبذلك يرتبط المباشر بكل ما هو قبل تفكيري. ويحيل، عكس فكرة المسار، إلىٰ تجربة الوعي المعيشة في ثرائها النوعي. يمكن أن تكون الأمثلة والصور الدالة علىٰ ذلك هنا كثيرة. علينا التذكير «بالمعطيات الأولية للشعور»: يتموضع المباشر دائمًا في جهة التجربة المعيشة والنوعية، وهو يشير إلىٰ محتوىٰ أولي، غير منفصل عن تجربة الوعي المعيشة، وأشد الارتباط بتجربتنا الجوانية، نسيج نوعي يمكن بلوغه بالحدس. يمثل المباشر بذلك تجربة معيشة نوعية، أصلية وخالصة، معطاة بعيدًا عن كل مسار.	حصيلة: تقارب المباشر مع: المعطىٰ، والحدسي، والبدائي، والأصلي، والمعيش. مثال: المعطيات الأولية للشعور
يفترض المتوسط علىٰ العكس من ذلك مسارًا، حركة وعناء. فهو يشير إلىٰ مسار زمني، مفهومي ومبني، يفترض سلسلة من الوسائط بين مختلف المصطلحات والمواضيع. يتوقف غير المباشر دائمًا علىٰ أمور ووسائل ومفاهيم أخرىٰ: إنه مشروط ونسبي في حين أن المباشر غير مشروط أبدًا. هناك باختصار، قرابة ضيقة بين المتوسط وروح النفي. نجد في المتوسط فكرة العودة إلىٰ الذات أو إلىٰ الموضوع، من خلال مسار مفهومي ينفي كل مصطلح في وجوده المستقل. المتوسط هو الذي لا يكتسي معنىٰ في صيرورته إلا من خلال سلسلة «اللحظات» التي تنفي بعضها بعضًا لتنصهر في وحدة جديدة. يفترض المتوسط إذن دائمًا مسارًا، أي تقدمًا وسيرًا، تظهر فيه الكيانات أو الوقائع، بعيدًا عن كونها ثابتة ومستقلة، كممرات. إن المتوسط باختصار، هو ثمرة تجاوز ومسار وعودة إلىٰ الذات من خلال الصيرورة. كل شيء يوحي هنا بالقرابة الضيقة بين المتوسط ومسار النفي. وهذا الأخير هو الذي يعطي معنىٰ للمتوسط. يتمحور حول فكرة المتوسط هذه، كل من التقدم، السير، الجدل، النفي، المسار، الحركة الهدامة والنافية معًا من خلال المفهوم واللغة. يقابل غنىٰ المباشر المعيش والأصلي، عمل النفي الشاق الذي يميز المتوسط.	– غير المباشر ومشتقاته: الزمن المسار التصوري، السلبية

وفق تلك الشروط، إذا كان الآني، المعطىٰ والتجربة المعاشة المميزة للمباشر يشكلون أطروحة نقيضة للزمني وللبناء الشاق المميز للمتوسط، ألن تكون العلاقات المتصورة بين هذين المفهومين تعارضية؟ تلك هي فيما يبدو، النتيجة التي تنجر عن وصفنا وتحليلنا. هل هناك تنافر بين هذين المصطلحين؟ تبدو محاولة إرساء جسر بين الحسي والمعقول، بين المعطىٰ والمفهوم عسيرة.	انتقال وفحص المشكلة: صعوبة إرساء جسر بين المفهومين المتصورين.
II- تحليل علاقة التعارض	
علينا التفكير في المباشر والمتوسط إذن، وفق تحليل أول، ليس بالنظر إلىٰ أحدهما في الآخر وبالآخر، بل علىٰ العكس باستكشاف مسار التنافر والصراع.	المباشر، هو ثمرة نزاع ضد المتوسط.
تجدر الإشارة بداية إلىٰ أن بلوغ المباشر ليس معطىٰ لنا طبيعيًا. فليس من الممكن إدراكه كما هو في التجربة المعيشة. علىٰ العكس تمامًا، لا يمكن اطّلاعنا علىٰ المعطيات المباشرة إلا من خلال صراع طويل. صراع ضد مَن، وضد أي فضاء؟ ضد المسار المفهومي للمتوسّط تحديدًا. ما ندركه في هذا التطهير الروحي المخلص من المتوسط، هو علاقة تعارض ظاهرة بين المفهومين، بين المتوسط والمباشر. يبرز المباشر عند نهاية نوع من التنسك الروحي الذي يظهر فيه الصراع بين المصطلحين شفافًا. ولكن سيقال إن المباشر هو المعطيات الإمبريقية. كيف يمكن بلوغ هذه المعطيات الإمبريقية عقب عملية تطهير؟ يجب التمييز هنا بين المعطيات المباشرة والإمبريقي بما هو كذلك. إنّ المباشر ليس هو الإمبريقي تمامًا، بل هو المعيش (المحسوس) العسير جدًّا بلوغه. ذلك الطرف (المعيش والملموس) من الأنا الذي نتطلع إليه فيما وراء المتوسط وضد وجوده هنا.	
هذا هو بلا شك، معنىٰ الوصف البرغسوني الذي يبرز جيدًا، وفق زاوية معينة، علاقة التعارض الموجودة بين المتوسط والمباشر. يعكس المتوسط العمليات العقلية وآليات التفكير التي تخضع لمتطلبات الفعل. يبعدنا المتوسط المرتبط بالمفهوم، باللغة وبالملكات العملية للإنسان، عن ذاتنا أو بالأحرىٰ عن المعيش المباشر الذي تتكشّف فيه ماهيتنا الحقيقية. لذلك يعتبر المتوسط ثمرة صراع بطيء ضد مسارات التوسط المجردة، يجب التوصل إليه من خلال مسيرة ارتدادية طويلة. إن الإفلات من المتوسط ليس سهلًا. فعالمنا اليومي هو عالم التجريدات، والمفاهيم، والعموميات والرموز. يعطىٰ لنا المباشر فيما وراء تلك الرموز، تلك العمليات وتلك البناءات المنطقية. وعليه فهناك علاقة تعارض جوهرية بين المصطلحين. يتم البحث عن المباشر وبلوغه فيما وراء المتوسط، بواسطة جهد مقاربة شاق شبيه بالتنسك. سيقال: إن وجهة النظر هذه تمثيل للأطروحة البرغسونية؛ لأن برغسون لم يتوقف عن التأكيد بأن الحدس يجب أن يأخذ في النهاية شكل الألفاظ. رغم ذلك يمكننا الإقرار بأن بلوغ المباشر وحصول الكائن عليه لا يكون إلا بالتخلص من الوسائط المتطفلة (اللغة، والمفاهيم.. إلخ).	يقتل المتوسط المباشر، هذا الأخير يجب بلوغه ضد مسار المتوسط (موقف برغسون).

<table>
<tr><td>ضمن هذا المنظور الشامل، تتحول العلاقة المرتكزة في الأصل علىٰ التعارض، تدريجيًا إلىٰ علاقة تفاعلية بين المصطلحين: فالمباشر يتموضع في أقصىٰ أطراف المتوسط، كما لو كان آخر نداء للإفلات من ثقل الأشياء. ومنه، ألا يقتضي المباشر والمتوسط بعضهما البعض، أليسا في علاقة جدل؟</td><td>الانتقال: المباشر أقصىٰ أطراف للمتوسط. هل بينهما علاقة جدل؟</td></tr>
<tr><td colspan="2">III- الوحدة والتولد الجدلي للمتوسط والمباشر</td></tr>
<tr><td>في الواقع، إذا كان المتوسط والمباشر متعارضين فإنهما متكاملين أيضًا. تقتضي هاتين الفكرتين بعضيهما البعض. والحال أن فكرة المباشر تستدعي التوسط وتحيل دائمًا إليه، فهي ذاتها ثمرة توسط. ويقتضي المتوسط بشكل تبادلي المباشر، الذي لا يمكنه أن يوجد بدونه. فلنوضح هاتين العبارتين اللتين تميلان إلىٰ التأكيد علىٰ وجود الصراع، وأيضًا التكامل بين المتوسط والمباشر.</td><td>علاقة جدل:</td></tr>
<tr><td>إذا بقي المباشر منغلقًا علىٰ ذاته ولم يرتبط بالمتوسط، فإن عوزه سيكون ظاهرًا. فبانعزاله في ذاته مثل «اليقين الحسي» لفينومينولوجيا الروح، لن يكون مصيره سوىٰ الفراغ المحض والوحدة اللامتعينة والفردية المباشرة الخالية من الحقيقة. سيمثل عندئذ الكائن الأكثر عوزًا، أي ذلك الكائن الذي يتحول إلىٰ عدم. لا يملك المباشر، المنغلق علىٰ ذاته، إذن أية إيجابية ولا واقعية. وهو ما نسميه نوعًا من المباشر الرديء. وعلىٰ العكس من ذلك يتطلب «المباشر الجيد» التقدم، والجدل، والمسيرة، واللغة والمفهوم: فهو غير منفصل عن المسار ومنه عن المتوسط. يقضي المباشر المنغلق علىٰ ذاته علىٰ نفسه. ولا يبلغ الكائن (الواقعي والملموس) إلا من خلال المتوسط ذاته.</td><td>المباشر يستدعي غير المباشر</td></tr>
<tr><td>من جهة أخرىٰ أليس هذا المباشر (الممتد في المتوسط)، هذا المباشر الخصب؛ لأنه لا ينفصل عن المتوسط، أليس هو ذاته نتاج المتوسط؟ ذلك ما يجب ملاحظته هنا. غالبًا ما نكتسب معارف أو تمثلات. وهي تعطىٰ مباشرة لعقلنا وتنزع إلىٰ إعادة صياغة نفسها في المتوسط. كيف تنشأ بالضبط؟ إنها تتمثل لعقل الشخص الذي عمل بشكل توسطي، في صورة مباشرية ظاهرة. فعقب تحليل طويل وعمل دؤوب، تم خلقها وتوليدها انطلاقًا من المعطيات التي هي في الواقع، ثمرة المتوسط، والمسار التوسطي والمفهومي من حيث هو كذلك. تقتضي السهولة التي نقدمها في علم أو فن ما، إيجاد معرفة، تبدو في الواقع نتيجة لمسار. في الحقيقة إن المسار التوسطي متضمن في المباشر. وبذلك يفترض المباشر المتوسط ويتولد منه.</td><td>الذي هو متولد عنه،</td></tr>
<tr><td>ويحتاج المتوسط بشكل تبادلي، المباشر في صوره المختلفة. إنّ العلاقة غير المباشرة المتوقفة علىٰ البيني، والمفهوم والمسار، تتطلب عنصرًا من المباشرية الحسية. لا ينفصل المتوسط كما رأينا، عن المسار المفاهيمي والزمني، وعن النفي الفعّال، وعن التجريد: ولكن ما مصيره بعيدًا عن المباشرية الحسية وعن الحدس؟ يعمل المتوسط من خلال تقدمه بين وسائط ومقولات، لكنه يتطلب المباشرية الحسية كي لا يفقد محتواه. ذلك هو في العمق، الدرس الكانطي. فبعيدًا عن المحتوىٰ الحدسي، يكون المفهوم والمتوسط فارغين. يقتضي البناء المفاهيمي إذن «قابلية تلقي الانطباعات» والمحتوىٰ الحدسي. أليس دور الصور التخيلية، الوسيطة بين الإحساس والإدراك، ضمان الانتقال من أحدهما إلىٰ الآخر؟</td><td>يقتضي المتوسط المباشر الحسي</td></tr>
</table>

خلاصة	
يظهر المصطلحان المتناولان إذن، في تعارض وفي وحدة في الوقت نفسه. ولكنّا نتساءل هل من الممكن تصور هذين المفهومين المتعارضين في تكاملهما؟ نقول: الفهم الساذج هو الذي يفصل بينهما. فالواقع الإنساني يتجلىٰ كمباشرية متوسطة وتوسط مباشر. من المشروع والضروري إرساء جسر بين المحسوس والمعقول، بين المعطىٰ والمفهوم، بين الحدس ومقولة العقل. ذاك هو الدرس الكانطي الكبير الذي لا يجب تناسيه. ألا تتم العلاقة بين المحسوس والمعقول، كما بيّن لنا ذلك كانط، من خلال صورة المخيلة؟ لدينا هنا وجهة مهمة تسمح بالإجابة عن المشكلة المطروحة في المقدمة وتضمن لنا مكسبًا فكريًا كبيرًا.	ضرورة ربط الفضاءين والإجابة عن السؤال.

* المثال الثالث:

- الموضوع: «متذوق الجمال»

* التحضير:

I. قراءة الموضوع:

(١) تحليل المصطلحات: لدينا «متذوق الجمال»

- المعنىٰ: (١)، يشير متذوق الجمال إلىٰ الذي يختص بالتأمل الحصري للجمال ويظهر لا مبالاة إزاء القيم الأخرىٰ. فهو يسعىٰ لجعل حياته عملًا فنيًّا، (٢) ويشير إلىٰ شخص حساس ومتعلق كثيرًا بأناقة الأشياء (المعنىٰ المبتذل)، (٣) ويشير إلىٰ اسم يُنسب باستهزاء إلىٰ المعنىٰ رقم (١) والمعنىٰ رقم (٢).
- أصل الكلمة: منحدرة من الجذر اللاتيني (aisthetes)، أي الذي يدرك بالحواس، و(aisthanomai) الإحساس.

(٢) جرد المفاهيم:

الحدود المتقاربة	الحدود المضادة	حدود في علاقة تبعية
الفنان (هذا التقارب هش ويمكن لهذا الحد أن ينقلب إلىٰ الضد)،	الفَظّ (ذو الذوق المُنحط)، رجل الفعل،	اللاأخلاقية،
المرهف،	رجل الواجب،	المظهر،
الأنيق،	العادل،	الفن،
الحساس.	الأخلاقي.	الجميل،
		الجمال،
		التأمل،
		الصورة،
		التخيل،
		اللاتحقق،
		اللاواقعي،
		الكمال.

(٤) النتائج:

- **المعنىٰ الأول للموضوع**: ما ماهية الشخص المتعلق بالتأمل الحصري للجمال، الذي يجعل من حياته من خلال ذلك، لاواقعًا، ولماذا يقوم بذلك؟

- **الطرق الأولية للتساؤل**: يقودنا تحليل الموضوع إلىٰ ثلاث طرق تتقاطع فيما بينها كلما أردنا مساءلتها:

(١) التأمل الحصري للجمال وبالنتيجة، دراسة مفهوم الجمال.

(٢) اللامبالاة إزاء جميع القيم الأخرىٰ (أو الطابع الملحق لهذه القيم).

(٣) المشروع الوجودي لبناء الحياة كعمل فني.

- **أدوات العمل الأولىٰ**: تكشف دراسة المصطلحات عن أن رجل الواجب ورجل العمل أيضًا، يسمحان عن طريق لعب التضاد، بإدراك مفهوم متذوق الجمال بشكل أفضل. بالمقابل هناك مصطلحات ومفاهيم عديدة مرتبطة به. تلك هي أدوات التحليل الخصبة.

* الإشكالية:

(١) التساؤل:

أسئلة	أدوات عمل مقترحة، استدلال، حجج
- الطريق الأول	
ما الجمال الذي يسعىٰ وراءه متذوق الجمال؟ أليس مثلًا أعلىٰ عصي البلوغ؟	
ألا يتعالىٰ الجمال عن العالم الإمبريقي؟؟ألا يعتبر مشروع متذوق الجمال وهمًا؟ بالمقابل، ألا تعكس الرغبة في تأمل الجميل في ذاته، هدفا حقيقًا بالإنسان وبماهيته الروحية؟	التحليلات الأفلاطونية حول البحث عن جميل، (انظر المأدبة).

- الطريق الثاني	
ألا يبدو مشروع متذوق الجمال هروبًا من الواقع (الذي غالبًا ما يوصف بكونه بعيدًا عن الجمال)؟ ألا يعني مشروع متذوق الجمال عندئذ تعرية العالم من واقعه؟	
أليس لمتذوق الجمال رغبة في تدمير العالم الذي يمقته؟ هل يريد الشر؟ أليس اختياره للشر تعبيرًا عن احتقاره للقيم الأخلاقية؟ هل لمشروع متذوق الجمال قيمة في ذاته؟ ألا يقود التأمل الحصري للجميل بذلك، إلىٰ الرغبة في الشر؟ هل يمكن أن يصدر الشر من الجميل؟	التحليلات السارترية لمتذوق الجمال جون جنيه
- الطريق الثالث	
لكن، من خلال امتهان الجمال والتطلع إلىٰ جعل الحياة عملًا فنيًا، ألا يقوم متذوق الجمال بمشروع متناقض؟	يتجذر بناء الحياة في ميدان الفعل، بينما تعني الأستطيقا أولوية المظهر، ومنه غياب الفعل.
	إن الفنان، مبدع العمل الفني، يقوم بفعل، خلافا لمتذوق الجمال.
من خلال سعيه وراء مثل أعلىٰ عصي وبالتخطيط لمشروع متناقض، ألا يخضع متذوق الجمال وجوده لنوع من الانحلال الشكلي الهدام؟	

(٢) اختيار المشكلة الرئيسة:

هل يمكن أن يصدُر الشر عن الجمال؟ ألا يساهم الجمال في مشروع متذوق الجمال، في تدمير ما هو موجود، من خلال المشروع اللامُتحقق ذاته، ثم أليس متذوق الجمال في النهاية، من خلال بحثه عن الجميل، شخص يفضّل الهدم، ولذلك يختار الشر؟

إن هذا السؤال «يسائل» جيّدًا منطوق الموضوع: تنزع الإجابة الإيجابية كل قيمة عن وجود متذوق الجمال.

(٣) تحديد الرهان:

ما هو علىٰ المحك في الموضوع والمشكلة هو علاقة تبدو حصرية بالجميل. إذا استطعنا أن نبيّن أن متذوق الجمال لا يختار الشر أبدًا، فإننا

سنوحّد في النهاية، الجميل بالخيّر والقيم الجمالية بالقيم الأخلاقية، وسنحقق بذلك مكسبًا نظريًّا- عمليًّا مهمًّا، بالتوصل إلىٰ مفهوم (الجميل-الخيّر) (kalonkagathon) اليوناني (kalos تعني جميل وagathos تعني الخيّر)، أين يوحد الجميل بشكل جوهري الخير بالحسن.

(٤) اختيار الفكرة الأساسية:

إن وجود متذوق الجمال، بعيدًا عن كونه مفارقة وتناقضًا محضًا، يكمّله الإشراق الجمالي. يُعرّف متذوق الجمال بكونه عاشق لماهية الجميل الخالصة.

* الخطة المفصلة

اختيار نوع الطريقة: سنختار الطريقة الكلاسيكية: طبيعة -وجود- قيمة. لقد أبرز التساؤل هذه المواضيع الثلاثة.

وضع الخطة المفصلة

تحليل الإجابة والخطة	تحليل المشكلة
القسم الأول: «متذوق الجمال- الطبيعة». متذوق الجمال هو الشخص الذي يعلو عنده المظهر على الوجود، وهو الذي يقوم بعملية إلغاء خيالي لواقع جميع الأشياء تحت غطاء الجميل.	الخطوة الأولىٰ يبدو أن المشروع اللاواقعي يساهم في هدم ما هو موجود: هناك تفضيل للهدم هنا. الانتقال: هل يتوافق الإلغاء الخيالي للواقع، مع واقع هش (واقع متذوق الجمال)؟ ننقاد بهذا الشكل إلىٰ مشكلة الوجود.
القسم الثاني: «متذوق الجمال- الوجود». تحليل تدريجي بالتدرج انطلاقًا من وجود غير حقيقي، نحو وجود متمم بالماهية: وجود فعلي لأنه متمذج بفكرة الجميل.	الخطوة الثانية يبدو المشروع اللاواقعي لمتذوق الجمال هنا، موجّها نحو الجانب الإيجابي في ماهية الجميل. الانتقال: ولكن ما قيمي وجود موجّه نحو ماهية الجميل هذه؟ يبقىٰ علينا إطلاق حُكم قيمة علىٰ المعطيات السابقة.
القسم الثالث: «متذوق الجمال- القيمة». لا يعيش متذوق الجمال حياة «بائسة»؛ لأنه يتأمل الجميل في ذاته. فحياته جديرة بالتقييم. (انظر المأدبة).	الموقف المتبنىٰ فيما يخص المشكلة: متذوق الجمال ليس «شريرًا»، بل عاشق للجمال الخالص، يضفي روحية علىٰ وجوده.

الخاتمة

(١) طرح المشكلة:

لقد أجبنا عن المشكلة الرئيسة (متذوق الجمال ليس شريرًا)، ولكن أيضًا عن المشكلة الأخرىٰ المترتبة (ألا يُشكّل بناء الحياة في صورة عمل فني تناقضًا؟): في الواقع إن العيش كمتذوق للجمال يعني إنتاج فردية جميلة وخيرة.

(٢) المكسب الفكري (الرهان):

يضفي متذوق الجمال علىٰ حياته شكلًا جميلًا وخيّرا: فهو ليس شريرًا. نتوصل عندئذ إلىٰ مفهوم (الجميل-الخيّر) (kalonkagathon) اليوناني ونحقق بذلك مكسبًا نظريًّا- عمليًّا مهمًّا. ويقودنا الجمع بين الجميل والخير والحسن، إلىٰ أن نشكل رؤيتنا للإنسان وأن نستشف «خلاصًا» ممكنًا: أليس الجمال وعد خلاص؟

رغم ذلك سنلاحظ أن طريقة الطبيعة- الوجود- القيمة هذه، هي طريقة تدرجية أيضًا: فهي تتعمق في مفهوم متذوق الجمال من خلال ربطه تدريجيًّا بماهية الجميل.

تحرير المقالة

مقدمة	
لا يُستعمل مصطلح متذوق الجمال هذا دائمًا ببراءة. فهو يعكس في بعض الأحيان نية استعمال سيئ عندما يتم إطلاقه باستهزاء علىٰ نوع معين من الأفراد. وإذا كان المصطلح ليس بريئًا، فإنه من الواجب علينا تحديدًا تنقيته للكشف عن ماهية المفهوم الجوهرية. ينحدر مصطلح متذوق الجمال من الجذر اللاتيني **aisthètés**، أي الذي يُدرك بالحواس، ومن الفعل **aisthanomai**، أي الإحساس. يعرّف متذوق الجمال إذن من حيث أصل الكلمة بكونه «الشخص الذي يحس». لكن كيف يحس؟ من خلال تعلقه بالتأمل الحصري للجمال وبإظهار لامبالاته إزاء كل قيمة أخرىٰ: يمكننا أن نعرّف بناء علىٰ تحليل أولي، متذوق الجمال باعتباره الشخص الذي يتفرغ للتأمل الحصري للجمال. ولكن ما الذي يعنيه هذا التأمل الحصري للجميل؟ هل يتعلق الأمر بخلق أعمال جميلة؟ يجب التمييز أولًا بين الفنان ومتذوق الجمال. فبينما يشير الأول إلىٰ الشخص الذي يكون موضوع عمله إبداع أعمال جميلة، وبالنتيجة الشخص الذي يتجسد وجوده في أعمال، يزدري متذوق الجمال أو لا يُبالي بالتجسيد والامتداد العملي للوجود في العمل الفني. ما هي الماهية الجوهرية للشخص الذي يتعلق بالتأمل الحصري للجميل، والذي يجعل بذلك من حياته لا واقعًا، ولماذا يقوم بذلك؟ ذاك هو معنىٰ السؤال.	- معنىٰ المصطلحات - مرجعية الإتيمولوجيا - متذوق الجمال يتعلق بالتأمل الحصري للجمال، - وهو متميز عن الفنان.
إن هذا المفهوم ليس واضحًا بذاته. يشير متذوق الجمال إلىٰ الشخص الذي يفضل الجميل ويرغب في إخضاع وجوده كله إلىٰ وحدة ذلك الجميل، فهو الشخص الذي يتطلع إذن إلىٰ بناء حياته كعمل فني. لكن ألا يتضمن هذا المشروع ذاته بُعدًا تناقضيًا؟ في الواقع إن بناء الحياة هو تجذيرها في مجال العمل (الأخلاقي). لكن، ألا يعني اعتبار الحياة عملًا فنيًا، إخضاعها إلىٰ لعب المظاهر اللامبالية (ومنه الخالية من العمل؟).	- معنىٰ الموضوع التساؤل
بالإضافة إلىٰ ذلك: ألا يساهم الجمال في مشروع متذوق الجمال في تدمير ما هو موجود، الواقع والكائن، داخل المشروع اللاواقعي؟ وبذلك نطرح المشكلة الرئيسة: أليس متذوق الجمال في النهاية، من خلال بحثه عن الجميل، شخص يختار الشر ويفضل الهدم؟ ما يطرح في الموضوع والمشكلة هو علاقة تبدو حصرية بالجميل. إذا استطعنا أن نبيّن أن متذوق الجمال لا يختار الشر أبدًا، فإننا سنوحد في النهاية، الجميل بالخيّر والقيم الجمالية بالقيم الأخلاقية.	المشكلة التي يطرحها الموضوع: ماذا لو اختار متذوق الجمال الشر؟ الرهان: مفهوم (الجميل-الخيّر) "*kalonkagathon*" اليوناني

متذوق الجمال: الماهية	I- متذوق الجمال: الطبيعة
(١) نزع الوقع الخيالي تحت رمز الجميل.	بداية، ما هي إذن ماهية مفهوم متذوق الجمال؟ يشير متذوق الجمال إلىٰ الشخص الذي تنتظم حياته كلها تحت رمز الجميل. فهو يخضع حياته للعب الخيال الجمالي الحر، واللاواقعي. ما معنىٰ ذلك؟ إن ما يبدو مركزيا في مشروع متذوق الجمال هو القدرة الكبيرة علىٰ الابتعاد عن الواقع المادي. هل الواقع مدرك كما هو؟ بالنسبة إلىٰ متذوق الجمال، إنّ الأشياء لا تلمع أبدًا باعتبارها مدركة. وبإعدام الوقائع المدركة والعملية والابتعاد عنها فإنها تتلاشىٰ. ما الذي يبقىٰ؟ يبقىٰ الإشراق بواسطة الجميل، حين يضفىٰ العدم علىٰ جميع الأشياء المادية. يشير متذوق الجمال أولًا إلىٰ الشخص الذي لا يخضع للقوانين المنظمة للواقع بالنظر إلىٰ قيم الإدراك، التطبيق أو المنفعة. فإذا رأىٰ الرجل العادي في العالم المحيط به، جملة من الرموز العملية التي تدعو إلىٰ عالم الفعل والفعالية، فإنّ متذوق الجمال يجعل من جهته، من المحيط المادي كلًّا متلاشيًا داخل لعب لاواقعي: فالأمر المهم بالنسبة له، الذي يضفي معنىٰ علىٰ الوجود، هو الحركة التي تلغي الواقع. والحال أنّ الوجود اليومي يرتقي معه إلىٰ مصف الفرصة البسيطة والرمز الدال علىٰ ما ليس بموجود، وعلىٰ ذلك الجمال الذي يجعل المدرك يهوي إلىٰ العدم. يطبق سارتر علىٰ جون جنيه (Jean Genet) شبكة التحليل هذه، ويعرض لنا بذلك تصورًا لمتذوق الجمال ثري ودقيق جدًا: «إن الرؤىٰ [اللاواقعية] نادرة لدىٰ العادل: فهو متخوف، يعود بسرعة إلىٰ عمله الدقيق. فإذا حاول شخص ما أن يمدد هذا الإشراق ويحافظ علىٰ هذا السلوك الملغي للواقع طيلة حياته كلها، فإننا نقول عنه: إنه متذوق جمال. إن غايته هي اختزال الكون والإنسان في لعب بسيط للخيال»(١).
(٢) يدرك متذوق الجمال مثلما يتخيل.	بذلك يكون متذوق الجمال الشخص الذي يلغي الواقع عن العالم ويضعه تحت رمز الجمال. إنه لا يحقق الأشياء، وهو ما لا يعني أن لا إدراك لديه. لنقل بالأحرىٰ أنه يدرك كما يتخيل، وأن كل إدراك عنده يتحول إلىٰ تخيل: أينما توجه في الزمان والمكان فإن صورة الجميل هي التي تتجلىٰ. عندئذ تتحول الأشياء إلىٰ صور، وإلىٰ أشكال لامبالية ومترفعة تخضع الواقع والعالم لسلطتها. يتحول المدرك إلىٰ مجرد خلفية لـ «كما لو» التي تطبع المتخيل. بذلك يعيش متذوق الجمال، من خلال لعب الخيال الحذق هذا والملغي للواقع، الشكل الموحد للمظهر الجميل البعيد عن اليومي.
(٣) متذوق الجمال هو الذي يطغىٰ عنده المظهر علىٰ الكائن.	لكن يبدو مع مصطلح المظهر هذا، أننا أصبحنا أمام تحديد أساسي محايث للتعريف المبتغىٰ: إن متذوق الجمال هو الشخص الذي يبني حياته كعمل فني، ويوحّد وجوده بإلغاء الواقع عن جميع الأشياء، والذي يحوّل اليومي إلىٰ مظهر جميل. نبدأ هنا بفهم معنىٰ عملية إلغاء الواقع: ألا يتعلق الأمر بالنسبة إلىٰ متذوق الجمال بتحويل الواقع إلىٰ مظهر والكائن إلىٰ مجرد تلاشٍ؟ عندئذ يصبح المظهر هو الطاغي ويصبح الشكل هم ما يهم. الأسلوب، جمال الحركة، التعلق بالمظهر، كل شيء يحيلنا هنا إلىٰ استمتاع لامُبالٍ، تتحول فيه جميع المواضيع إلىٰ مجرد صور ساكنة علىٰ ركح المظهر، إن الحياة، الحاجات والواقع تستنفذ لدىٰ متذوق الجمال في «حركات متقدة جميلة»، كما بيّن سارتر ذلك عند تناوله لجان جونيه. فالمكان يتحول إلىٰ ديكور ويتحول الشخص إلىٰ ممثل. أليس متذوق الجمال ملك المظاهر الجميلة؟ ذلك هو تعريف متذوق الجمال وماهيته.

(١) Sartre, Saint Genet, comédien et martyr, Gallimard, p 346.

هل يمكننا تقديم أمثلة هنا؟ إن أردنا التجسيد الملموس لمفهوم متذوق الجمال، فإنّ اسم أوسكار وايلد هو أول ما يتبادر إلىٰ ذهننا، الذي يطرح أمامنا. فقد سعىٰ جاهدًا إلىٰ جعل لحظات حياته مظاهر جميلة. لكننا يمكن أن نذكر أيضًا الدوق جان دي اسانت: بطل رواية (A rebours) لهويسمان، الذي ينهاوىٰ هو أيضًا في لعب الخيال اللاواقعي ملحقًا الواقع بالتعلق الحصري بالجمال الصوري، ومحولًا الكون إلىٰ مجرد مظهر.	حوصلة: متذوق الجمال، ملك المظاهر الجميلة. أمثلة: أوسكار وايلد، دي سانت.
ولكن كيف هو وجود متذوق الجمال؟ ذلك أن تحديد تصوره غير كاف. فرغم تقديمنا لتعريف يخص طبيعته، فإننا لم نفهم بعد شكل وجوده. إذا كان يحول الواقع إلىٰ حلم والكون إلىٰ صور حركات، الوقائع إلىٰ جمال وإلىٰ مظاهر، فوفق أي شكل يوجد فعلًا؟ أيمكن أن يكون وجوده وهمًا، أم هو صعود تدريجي نحو الماهية؟ يبدو وجوده الآن مجرد سديم بلا شكل، وواقع هشّ. فلنتعمق أكثر في تحليل وجوده- هنا.	الانتقال: هو وجود وهمي أم صعود تدريجي نحو الماهية؟
II- متذوق الجمال: وجوده	
أليس وجود متذوق الجمال مفارقة محضة؟ إن متذوق الجمال، من خلال تعلقه بالمظهر، وابتعاده عن الواقع الملموس، جاعلًا العالم اليومي يتلاشىٰ ومبقيًا فقط صورة الجميل، يعتبر من زاوية معينة، غير موجود. ماذا يعني الوجود؟ مهما كان المعنىٰ الذي نضعه لهذا المصطلح، فإننا سنلاحظ من نظرة أولىٰ علىٰ الأقل، أن متذوق الجمال يبدو منقطعًا نحو حياة متناقضة أو حتىٰ نحو انعدام الوجود . . . يعني المصطلح «يوجد» في استعماله العادي «الوجود الفعلي» أو الوجود- نا. والحال أنّ متذوق الجمال ليس هنا، في هذا العالم، وسط الأشياء والواقع. إن قدره هو إلغاء الواقع كُليًا عن الحياة: فبتفضيله المظهر علىٰ الواقع، يبدو محكومًا عليه بالابتعاد عن الواقع وعن الفعل، ليكون بذلك محرومًا من الوجود الفعلي ومرغمًا علىٰ التجسد في مظاهر هشة وفي سديم بلا شكل وبلا وجود ملموس. هل نقدم نحن معنىٰ أكثر قوة للوجود؟ سيكون الوجود عندئذ التجلي للوجود، إنه الفعل وبواسطة الفعل، تصنع الذات. غير أن متذوق الجمال هنا أيضًا غير موجود. لقد أشرنا من قبل إلىٰ الاختلاف بين الفنان الذي يُنجز ويبدع، ومتذوق الجمال الذي لا يحقق. ليس لمتذوق الجمال من خلال لا تحقيقه الخيالي، وجود حتىٰ. والحال أننا إذا عرفنا هذا الوجود وفق فهم فلسفي معين، فإننا سنقول استنادًا إلىٰ تعريف شائع، إن الوجود بالمعنىٰ الحديث هو الحركة التي يكون بها الإنسان حاضرًا في العالم، مشكلا لذاته من خلال تشكيله للأشياء. في هذا المنظور، ولأنه عاجز عن الإفلات من بريق المظهر الخداع فإن متذوق الجمال غير فاعل وغير موجود. إن وجوده الوحيد يتعلق بالمفارقة ويختزل في لعب المخيلة فقط. إن تفضيله في جميع الأمور، للمظهر علىٰ الواقع وللإشارة علىٰ العمل، يجعل من رهانه بلا طائل: إن الوجود يفلت منه.	الإجابة الأولىٰ: وجود مفارق وليس فعلي.
بالمقابل، يجدر بنا التعمق أكثر في التحليلات السابقة، خصوصًا تعريفنا (فكرة مجرد اللعب غير المحقق) الوجود الخاص الذي ينجر عنه. قلنا إن متذوق الجمال يكرس نفسه في لعب نشاط غير محقق ويتعلق بالمظهر الجميل مبعدا الواقع. إذا كان هذا البريق يشكل النواة الوحيدة التي تسمح بتحديد مفهوم متذوق الجمال، فإنّ هذا الأخير غير موجود فعليًا. لا ينتج متذوق الجمال شيئًا ولا يوجد. إن وجوده يتلاشىٰ في المظهر اللامُتعين الخاص به، في لعب مظاهر خال من الوجود ومن التماسك.	الإجابة الثانية: وجود مُوجه ومتمم بالماهية

يستحق لعب متذوق الجمال اللاواقعي رغم ذلك، أن يدرس بعمق. أليس لعاشق الجميل هدفا «ماهويًا»؟ إذا كان يجمّل العالم ويعدم هو إذا كان لا يحققه، أفلا يكون ذلك من أجل إعطاء شكل لحياته بفضل ماهية الجميل ذاتها؟ إن ملك الجمال يخضع وجوده لشكل موحّد أسمىٰ. هل متذوق الجمال موجود؟ إنه يتجلّىٰ في العالم ويشكل حياته علىٰ ضوء الجمال. وليس وجوده بعيدًا عن كل فعل. فهو، باعتباره ذاتًا تتعالىٰ جدليًا حتىٰ تبلغ مثال (eidos): الجميل، ينير وجوده المادي عن طريق الماهية، وبذلك ينير لعب المظاهر بفضل الفكرة الموحدة. يشكل تلميذ ديوتيما هذا، بعيدًا عن كونه ضاع وجودًا معدلًا بوضوح الفكرة. أليس وجود متذوق الجمال مذاك شكلًا ممتلئًا ومكثفًا؟ إذا لم يكن متذوق الجمال فنانًا إذا لم يبدع عملًا فنيًا فإن كل حياته يشكلها أستطيقيا بشمس الجمال الكبرىٰ. إنه يبني ويشكل حياته كلها كعمل فني.	حوصلة النقاش: يعيش متذوق الجمال في رمز الماهية، إن وجوده مشكّل بالفكرة.
إذا كان متذوق الجمال يشير في العمق، إلىٰ تلك الذات الصاعدة جدليًا إلىٰ مثال «eidos» الجميل، وإذا كان في العمق، توسطًا حيًا بين العالم المعيش الذي لا يحققه والماهية، فما قيمة هذا الاختيار النهائي عندئذ، ما معنىٰ هذا التفضيل لإشراق الجمال من زاوية القيمة؟ يجيبنا البعض -ومنهم سارتر- عن ذلك بالقول: ليس متذوق الجمال سوىٰ شرير، يستمتع بالشر والتدمير. فلنحاول إذن أن نحيط بالمشكلة الأخيرة المتعلقة بالقيمة في ضوء كل نقاش.	الانتقال إلىٰ مشكلة القيمة: ماذا لو كان متذوق الجمال شريرًا؟

III- متذوق الجمال: القيمة

في فكرة القيمة الخاصة بواقع أو بكائن نجد فكرة ضرورة وجود هذا الواقع أو هذا الكائن، وقيمتهما العليا: تشير القيمة إلىٰ الميزة التي تجعلنا نقدر شيئًا ما. وَفق هذا المعنىٰ، هل لمتذوق من قيمة؟	تعريف القيمة
كلّا سيجيب بعض المفكرين. ما معنىٰ متذوق الجمال في الواقع؟ هو ذلك الذي لا يجلب انتباهه إلا الجمال، عاشق الجمال المحض. غير أنه يمكننا الكشف داخل هذا الاختيار عن عنف وعن مبدأ احتقار إزاء كل ما يوجد. فمتذوق الجمال يحب الجميل ولكنه لا يحب الأشخاص الفعليين. إن رغبته في العيش تحت رمز الجميل تجعله يمقت الأشخاص وكائنات عالمنا الظاهري المادية. من يحب الجمال المحض يقوم بإعدام كل ما هو موجود. إنّ حب الجميل اللامشروط هو الوجه الآخر لمقت الغير. لقد أشار سارتر بشكل مثير، إلىٰ بعد الموت هذا الموجود في بعض الأحيان لدىٰ متذوق الجمال: إنه شرير لا يحب الناس ويحيا في الحقد وفي مقت الذات والغير. إنه جحيم الجمال الغريب... كيف يمكن أن يكون متذوق الجمال جديرًا بالتقدير؟ «الواقع هو: أن الشرير غالبًا ما يكون متذوق جمال، ومتذوق الجمال دائمًا شرير. يجب أن توجد في طبيعة الشر وفي طبيعة الجميل بعض التوافقات التي تسمح بتقريبهما [...]. إن جمال متذوق الجمال هو الشر مقنعا في شكل قيمة»[١]. بذلك يمكن أن يشير الجمال إلىٰ الوجه المرعب للحقد، للمقت وللانتفاء. إن حب الجميل هو ذريعة نوعًا ما لمقت الناس بشكل أكبر، ذاك هو قدر متذوق الجمال، وبالتالي فلا يمكن تقدير هذا الأخير. جمال متذوق الجمال هو اسم آخر للشر. فبخلقه الشكل استنادًا إلىٰ الجمال، يقوم متذوق الجمال بقتل الناس بشكل أكيد. وعليه فخلف الجمال، يوجد الموت، موت الآخر أو موت الذات.	الإجابة الأولىٰ: لا يمكن أن يكون لمتذوق الجمال قيمة.

(١) Sartre, Saint Genet, comédien et martyr, Op.Cit., p 344 et sq.

ما الأمثلة التي تدعم هذه المحاجة؟ في قصة الكونت هوغو فان هوفمانستال(Hugo von Hofmannsthal) «قصة الليلة ٦٧٢» نجد متذوق الجمال الشاب عاجزًا عن حب الغير: فلا يستهويه سوىٰ الجمال، مُزيحًا كل الكائنات الحية والمادية. وفي النهاية يموت ميتة شائنة. يبدو إذن عاشق الجمال، عند هوفمانشتال وآخرين غيره أيضًا، محكومًا عليه بالموت أو بالجنون. الأمر نفسه في رواية "***A rebours***" أين يقع متذوق الجمال دي سانت في عالم الجنون. ومنه، يبدو أن الأمثلة الأدبية تؤكد مواقف سارتر: فمتذوق الجمال بعيدًا عن كونه محل تقدير، شرير يهدم كل شيء. إنّ علم الجمال الناجم عن الحقد والمقت لا يؤدي سوىٰ إلىٰ الموت.	يبدو أن الأمثلة الأدبية تبرر البرهنة السابقة ويمكن أن تصورها.
رغم ذلك يبدو حكم سارتر المنتقد للوجود الأستطيقي نابعًا في النهاية عن تفسير خاطئ. أليس الصعود الروحي لمتذوق الجمال هو الذي ينكره النقد السارتري؟ فبناء الحياة كعمل فني هو تصورها كصعود وكتطهير روحي. ويصبح تجميل الوجود عندئذ قيمة عليا مثلما تشير إلىٰ ذلك ديوتيما في محاورة المأدبة: «ثم استطردت الغريبة من مانتيني قائلة: إنّ هذه الحياة يا عزيزي سقراط، هي الحياة التي يجب أن يحياها الإنسان فوق كل الحيوات الأخرىٰ، حياة في تأمل الجمال المحض [...] وإذا تمكن الإنسان الفاني من فعل ذلك، فهل ستكون هذه الحياة حياة حقيرة؟»[1] يبدو اختيار الحياة الجميلة إذن المشروع الأجدر بالتقدير. إن متذوق الجمال لا يحركه الحقد، بل إرادة خلق فردية جميلة ونبيلة، علىٰ ضوء الجمال.	
خاتمة	
كانت المشكلة التي يطرحها السؤال مزدوجة: أليس بناء الحياة كعمل فني مشروعًا متناقضًا؟ تلك كانت المشكلة الأولىٰ. فإذا كان تجميل الوجود الذاتي هو إبداع فردي جميل وحسن من خلال الصعود الروحي، فإن التناقض المذكور يزول. كما أن المشكلة الثانية أيضًا حلّت. فنحن نعلم أن متذوق الجمال ليس شريرًا في جوهره، بل عاشق للماهيات الروحية الخالصة. إنّ عداءه الظاهر للواقع يعبر فقط عن حبه اللامشروط للكمال وللجمال المُطْلق. ماذا عن الرهان الآن؟	الإجابة عن المشكلتين المطروحتين
يُضفي متذوق الجمال علىٰ حياته شكلًا جميلًا وحسنًا: فهو ليس شريرًا. يمكننا عندئذ التطلع إلىٰ تحقيق مفهوم (الجميل- الخيّر) kolonkagathon اليوناني ومنه تحقيق مكسب نظري- عملي هام. يقود الجمع بين الجميل، الخيّر والحسن إلىٰ تشكيل كل نظرتنا عن الإنسان، وحتىٰ التطلع إلىٰ خلاص ممكن: أليس الجمال وعد خلاص؟	عودة أخيرة إلىٰ الرهان: الجمال وعد خلاص.

(١) Platon, Op.Cit., Belles-Lettres, 211d.

أفلاطون، سيمبوزيوم (المأدبة)، ضمن: أفلاطون، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، (٤/١٧٦-١٧٧).



القسم الثالث
طريقة تحليل النص



(١٢) المقالة وتحليل النص

يتناول الفصل الثاني عشر هذا، ارتباط المقالة بتحليل النص، وخصوصية هذا الأخير في الوقت نفسه: يُعتبر تحليل النص من حيث هو تحليل يعكس طريقة المؤلف، مدرسة الوفاء للفكر.

بعض الملحوظات حول الصيغة الكتابية والشفوية

نتناول هنا طريقة تحليل النص من زاوية تكاملية، سواء أتعلق الأمر بامتحان كتابي (امتحان عام لمسابقة للدخول إلىٰ السنة الأولىٰ، معهد العلوم السياسية بباريس، وكذا تخصص فلسفة لمسابقة الدخول إلىٰ أولم/سافر، الامتحان التبريز الكتابي.. إلخ) أو الشفوي (الامتحان الشفوي لمسابقة الدخول إلىٰ أولم/سافر، الامتحان الشفوي للدخول إلىٰ المدرسة العليا للأساتذة، ليون، الامتحان الشفوي شهادة الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي. امتحان نظري.. إلخ). بالطبع إنّ هذه الامتحانات لا تطرح بطريقة متماثلة، وكون النشاط كتابيًا أو شفويًا لا يمكن أن يكون غير ذي أهمية: هناك طريقة خاصة للعرض الشفوي، وينتج الاختلاف من وسيلة التواصل، الكلام في الحالة الأولىٰ والتحرير الكتابي في الحالة الثانية.

سنحاول أن نتناول طريقة تحليل النص ككل، مع التركيز علىٰ الصيغة الكتابية. علىٰ الطالب في جميع الأحوال، أن يتمرن كتابيًا حتىٰ عندما يتعلق الأمر بامتحان شفوي: سيتبنىٰ تحضيره عندئذ شكل التعبير المحرر، الذي يضفي الدقة علىٰ التحليل، لكن دون تناسي أن البحث يُعرض بصوت عال وأن عليه أن يكون حيًّا.

المقالة وتحليل النص
شكلان خاصّان من الأنشطة، يخضعان لنفس المتطلبات

إنّ نشاط تحليل النص يُشبه ويتميز في الوقت نفسه، عن نشاط المقالة، وهو ما يجعل منه نشاطًا غير قابل للاختزال في المقالة: فحتىٰ وإن كانت الطريقة هي نفسها من زاوية معينة، إلا أن الأمر لا يتعلق أبدًا بتحرير مقالة حول المؤلف. لنُشر باختصار إلىٰ هاتين النقطتين: وحدة المطالب والاختلاف.

وحدة المطلب

بالمقابل رغم هذا التشابه بين المقالة وتحليل النص إلا أن الاختلاف بينهما فعلي: في المقالة يطلب المصححون من المترشحين تحرير والقيام بعمل شخصي جدًّا (بالاستعانة بالمعارف الفلسفية بالطبع). بالمقابل، يجب أن يخضع تحليل النص، بدون أية إضافة، إلىٰ فكر المؤلف: لا يتعلق الأمر بالاستعانة بالأفكار الخاصة، بل بمعرفة قراءة نص والتأقلم مع أفكاره بليونة وذكاء. فإذا كانت المقالة مدرسة حرية الفكر، فإن تحليل النص يشير إلىٰ مدرسة الوفاء للفكر.

يقتضي تحليل النص إبراز الإشكالية والمشكلة المتضمنة في النص (وهو ما يفترض بالطبع، الإحاطة بموضوع وموقف المؤلف). يتعلق الأمر بتوضيح المشكلة المتضمنة في النص من خلال التعمق في الموضوع والموقف، ثم إبراز الانتظام المفهومي، وأخيرًا القيام احتماليًّا، بتحليل نقدي للنص المقترح. إن هذا القسم النقدي مستحب حتىٰ وإن لم يكن إجباريًّا. وتقوم الخلاصة بوضع حوصلة سريعة.

(١٣) الطريقة ومبادئها الرئيسة

تركيز الانتباه بفعالية، والوثوق في النص، ثم اتّباع استراتيجية مفهومية، تلك هي المبادئ الرئيسة لتحليل النص.

المبادئ الرئيسة
معرفة القراءة

يتعلق المبدأ الرئيس الأول بضرورة القراءة المتأنية، والتي تهدف إلىٰ تحديد المفاهيم المهمة التي تلعب دورًا استراتيجيًّا، ووضع تعريفات قاعدية لها.

لماذا الإشارة إلىٰ أهمية تلك القراءة؟ تقصي أشكال التواصل المرئي والسمعي في ثقافتنا، نشاط القراءة التقليدي وتنزله إلىٰ مستوىٰ ثانوي، وعليه يتعين علينا العمل هنا علىٰ إبراز الوظيفة الأساسية للقراءة في التوجيه الحسن للنشاط الفلسفي. عليك الاحتكاك بالنصوص الكبرىٰ دون الاكتفاء بالمراجع الثانوية أو الشارحة. إنّ نشاط التحليل لا يرتجل. فهو يفترض، من حيث إنه ثمرة تأمل غير منفصل عن الاحتكاك المتواصل بالنصوص، أن الطالب علىٰ دراية فعلًا بكيفية القراءة والتعمق في نص.

«يتطلب تحليل النص [...] قراءة متأنية وحريصة. ولأن النصوص المقترحة لا تتطلب من الطلبة أية معرفة متبحرة (بل تتطلب منهم الانتباه، القراءة والحكم)، فهي نصوص تحمل في ذاتها مبدأ شرحها». (امتحان الدخول إلىٰ معهد العلوم السياسية بباريس، ملحوظات لجنة التصحيح، دورة ١٩٨٩).

تركيز الانتباه

يجب البقاء متحكمًا في الانتباه أثناء قراءة النص المقترح: إذ يلعب ذلك التحكم دورًا مركزيًا في توجيه التحليل. لا وجود لتحليل ناجح دون إرادة التركيز علىٰ جميع العناصر المعروضة، من أجل إبراز أيٍّ من تلك العناصر يلعب دورًا أساسيًا. يتحقق فهم النص بالعمل بشكل منتبه، يقول مالبرانش: «إن انتباه العقل هو [...] صلاة طبيعية، نصل من خلالها إلىٰ أن العقل ينير دربنا».

علىٰ خلاف الذهن الشارد، المنخدع بالتمثلات النادرة، يبدو الذهن المنتبه جزءًا من العمل التأملي المطبق في تحليل النص. ليس الانتباه، كما تشير إلىٰ ذلك سيمون فايل (Simone Weil) عند وصف ماهيته وهدفه، نفعيًّا بل روحيًّا ومتنزه. إنه يسمح، باعتباره قدرة علىٰ التركيز والانفتاح (دون كثرة التفكير في النتائج المباشرة) وباعتباره توقعًا أصليًا، باكتشاف أفضل للموضوع، كما أنه يجعلنا مستعدين ومنفتحين وهو ما يُقرّبنا جدًّا من النصوص.

فضد عدم الانتباه والشرود، يقوم الانتباه الحقيقي بتوجيه الطالب نحو موضوع النص ذاته، نحو معنىٰ الأسطر، المعنىٰ الذي يجب المراهنة عليه.

المراهنة على النص ومعنى النص

عليك بالمراهنة علىٰ معنىٰ النص عوض القيام بنقد «جارح» أو «فظ» بعيد عن الفهم الحقيقي، ذلك ما تدعو إليه جميع لجان التصحيح: «إذا كنت حرًّا في عدم اتّباع موقف المؤلف، فإنه لا يجب أيضًا تحويل سوء فهم موقفه إلىٰ اعتراض ضده. فبرغسون مثلًا، مثله مثل أي فيلسوف آخر، ليس بمنأىٰ عن النقد بالتأكيد. عليك قبل إبراز تناقضاته المحتملة، الحرص علىٰ فهمه وشرحه. إنّ لجنة التصحيح بدأت تلاحظ منذ عدة سنوات، تنامي نوعٍ من التحليل تبدو غايته الوحيدة إبراز لاتناسق ولامعقولية مواقف مأخوذة علىٰ أنها لفلاسفة مختلفين كأفلاطون، كانط وبرغسون [...]». (مسابقة الدخول إلىٰ أولم/ سافر، تقرير لجنة التصحيح، دورة ١٩٨٩).

والحال أن فهم النص يعني تحويل أسطره المطروحة للتحليل إلىٰ كلٍّ قابل للفهم، واضح وموضّح. غير أن كثيرًا من الطلبة لا يثقون في النص: فهم لا يدفعون بتركيزهم إلىٰ أقصىٰ مداه، ولا ينتبهون بذلك إلىٰ عناصر موحية وحاسمة، بل إنهم يقومون أحيانًا بتشويه أسطر النص الحاملة للمعنىٰ. في الواقع، يتعلق الأمر بإدراك المنطق الداخلي للنص ومعناه الحقيقي عن طريق الانتباه. تسمح هذه الغاية بفهم تفكير ستتم، في الخطوة التحليلية، إعادة موضعته وطرحه تاريخيًّا، وربما انتقاده. لكن الوثوق في النص يجب ضرورة أن يسبق كل انتقاد.

تنظيم استراتيجية مفهومية

تشكل كل من القراءة الجيدة، والتحلي بالانتباه والمراهنة علىٰ معنىٰ النص قواعد أساسية. نشير في الأخير أيضًا، إلىٰ «الاستراتيجية المفاهيمية»، باعتبارها مبدأ يُنظم أي نشاط تحليل. إذا كانت الاستراتيجية تشير هنا إلىٰ جملة من الأفعال المنسقة، التي تهدف إلىٰ تسهيل فهم النص، فإنها ستكون قبل كل شيء مفهومية، إذ من خلال عملية تملُّك المفاهيم وتوضيحها، يتوصل الطالب تدريجيًّا إلىٰ تفكيك معنىٰ النص. تلعب بعض المفاهيم دورًا محوريًّا في النص، ولذلك تقتضي الاستراتيجية المطبقة في تحليل النص، العمل علىٰ إبراز هذه المفاهيم وتوضيحها وشرحها قبل كل شيء. (انظر ص١٧٩).

عوائق تحليل النص

إذا كانت هذه هي المبادئ، فإن هناك أيضًا عوائق وعقبات يجب الإشارة إليها؛ كي نجنب الطالب مسارات لامعقولة أو مسالك خطرة.

الدراسة الجزئية، التي تركز على أقسام من النص

يقوم بعض الطلبة بالتركيز علىٰ فقرة واحدة من النص، ويهملون باقي الفقرات الأخرىٰ. مع أن كل دراسة فلسفية موضوعها بالماهية، التسلسل الكلي والشامل. وعليه تظهر المقاربة الجزئية والأحادية الجانب معيبة جدًّا. وهي محل انتقاد من طرف لجان التصحيح. إنّ الدراسة الجيّدة ترتبط بالكل الشامل، وبوحدة الفكر.

الدراسة المدقِّقة

ما الذي تشير إليه الدراسة المدققة؟ هي تلك التي تتوه في تتبع الألفاظ في جميع جزئياتها عوض النظرة الشاملة، والتعلق بما هو جوهري. تسعىٰ المقاربة المدققة إلىٰ التعلق بأجزاء النص المتناهية الصغر، دون إهمال أي مصطلح. إنها تقوم بتهجئة حرفية -ومضنية!- لكل جزء، وتتفحص باهتمام كل العناصر الدقيقة. وحتىٰ وإن كانت النية وراء هذا التدقيق المبالغ حسنة، إلا أنها لا تتفق أبدًا مع العمل التحليلي الحقيقي، الذي لا يتعلق إلا بالعناصر الفعلية، دون تفتيت الكل. رغم ذلك يبقىٰ خطر الجمل الاعتراضية ماثلًا!

الجمل الاعتراضية

«تبقىٰ العقبة الكبرىٰ هي الجملة الاعتراضية، التي يتم في الغالب الخلط بينها وبين الأمانة الحرفية، والتي هي بلا أثر علىٰ الفهم وعلىٰ المعنىٰ». (امتحان التبريز الفلسفة، تقرير لجنة التصحيح، دورة ١٩٨٨).

في الواقع، عوض أن يكون الأمر متعلقًا بشرح المفاهيم والإشارة إلىٰ انتظامها الداخلي، تمفصلها، الحركة التي يستدعي فيها كل مفهوم مهم مفهومًا آخر، معناها الفعلي والديناميكي في منطق الاستدلال، فإن الجملة الاعتراضية تعكس في أصلها الاشتقاقي «جملة جانبية»: إن ماهية الجملة الاعتراضية ونواتها هي الكلام جنب النص ومعناه، والاكتفاء بالقيام بعروض لفظية ومطنبة، وبتكرار المصطلحات ذاتها عوض إبراز معناها. تعمل الجملة الاعتراضية من حيث هي خطر دائم، خارج العرض عوض القيام بشرح فعلي. إنها لا تقوم بتحليل معنىٰ المفاهيم ولا تبررها: إنها تكرر فقط بتغيير بعض العناصر اللغوية. علىٰ خلاف العمل التأويلي -الذي يشر إلىٰ تأويل كل نص يتطلب فهما وشرحًا، والذي هو جزء إذن من نشاط التحليل الفلسفي- لا تقوم الجملة الاعتراضية، السلبية، بأي تأويل: إنها لا تتعالىٰ عن المعطىٰ. علىٰ خلاف الشرح والتحليل التأويلي الفعالين والديناميكيين، تكتفي الجملة الاعتراضية، السلبية والتكرارية، بإعادة قول الشيء نفسه دون أن تجعل القارئ يتقدم. تُعتبر الجملة الاعتراضية عقيمة، مقارنة بإبداع الهرمينوطيقا الخلّاق، الذي يُقدّم خطط فَهْم لم تكن موجودة من قبل.

اختزال التحليل في مقالة

في الأخير، لا يجب بالطبع، اختزال التحليل في المقالة. إنّ خصوصية الأول غير مدركة دائمًا من طرف الطلبة. لا يتعلق الأمر أبدًا بوضع النص جانبًا أو بين قوسين -كما لو كان يمثل عنصرًا غير أساسي- والقيام بنشاط آخر بشكل جيد: فالنص هو ذاته الذي له الأولوية، وعليه أن يكون موضوع النشاط المحوري.



(١٤) منهج التحضير
استراتيجية العمل

سنتناول نصًّا لكانط بغرض دعم مراحل العمل التحضيري، وضبط الخطوط الكبرىٰ للطريقة.

ملحوظات تتعلق باستراتيجيتنا التحضيرية

الهدف المنشود هنا، هو أولًا القيام معًا بعمل أوَّلي للتحكم في النص، ووضع «مخطط تطبيقي». إنّ هدفنا ليس تقديم قواعد شبه آلية بمعنىً ما، من الضروري الالتزام بها بطريقة جامدة. فمثل ذلك المخطط الكريه لا يمكن أن يكون مفيدًا كليًّا في شرح نص مجرد لهيغل أو أسطر مأثورة لنيتشه، وَفق مقاربة متماثلة.

نص كانط الموضح لطريقة التحضير

* سيشكل نص كانط نقطة انطلاق لنا:

- «هذه المشكلة(*) هي من أكبر المشكلات صعوبة، وأيضا من بين آخر المشكلات التي سيتوصل الجنس البشري إلىٰ حلّها. إنّ المعضلة التي تظهر منذ اللحظة التي نتصور فيها فكرة هذه المهمة هي التالية: إن الإنسان حيوان في حاجة إلىٰ سيد، ما دام يعيش بين أفراد آخرين من بني جنسه. لأنه يتعسف حتمًا في استعمال حريته إزاء أقرانه، ورغم أنه يرغب من حيث هو مخلوق عاقل في قانون يحد من حرية الجميع، فإن ميله الحيواني إلىٰ الأنانية يدفعه كلما أمكن ذلك، إلىٰ تفضيل نظام استثنائي خاص به. فهو محتاج إذن إلىٰ سيد يصد إرادته الخاصة ويجبره علىٰ الخضوع لإرادة صالحة كونيًا، يمكن لأي أحد بواسطتها أن يكون حرًا. لكن أين له أن يجد هذا السيد؟ في الجنس البشري بالطبع. إلا أن هذا السيد، مثله تمامًا، هو بدوره حيوان يحتاج إلىٰ سيد. ومهما كان السلوك الذي يسلكه، فإنه ليس في استطاعتنا تصور كيف يمكنه إيجاد سيد

(*) إليك المشكلة كما صاغها كانط في المقترح السابق: «المشكلة الأساسية للجنس البشري، تلك التي تُحتّم الطبيعة علىٰ الإنسان حلها، هي تحقيق مجتمع مدني يدير القانون بشكل كوني».

عادل في ذاته لإرساء العدالة العمومية: سواء اختار لهذا الغرض شخصًا واحدًا أو اتجه نحو نخبة من الأشخاص يتم اختيارهم داخل المجتمع. لأن كل واحد من هؤلاء سيتعسف دائما في ممارسة الحرية إذا لم يجد شخصًا فوقه يفرض عليه سلطة القوانين»[١].

(١) Kant, Idée d'une histoire universelle au point de vue cosmopolitique, in La philosophie de l'histoire, Aubier-Montaigne, pp 67-68.

تحضير التحليل

*** تكمن العملية الأولىٰ في القراءة المتأنية للنص. خلال هذه القراءة سيرتسم، ثم سيتأكد التحضير بأتم معنىٰ الكلمة، هذا الأخير الذي يقتضي:**

- إبراز حركة وتقدُّم النص، تسلسله، «بنيته الديناميكية»، وكل ذلك انطلاقًا من دراسة الشكل اللغوي والتحليل المفاهيمي الدقيق.
- الكشف، انطلاقًا من هذه التحليلات، عن موضوع النص، الفكرة العامة أو الموقف، الإشكالية والمشكلة ثم الرهان.

يندرج النص المقترح للتحليل في سياق محدد. يقتضي التحليل المفاهيمي بشكل خاص، من أجل القيام به علىٰ وجه حسن، امتلاك معارف فلسفية شاملة. حتىٰ وإن كان تحليل النص لا يتطلب في حالات معينة (كامتحان الدخول إلىٰ معهد الدراسات السياسية بباريس. .إلخ) معرفة محددة، فإنّ امتلاك ثقافة فلسفية يُشكِّل سندًا قويًّا في كل بحث.

البنية النحوية

* **النظام والنحو**. تُمثِّل الصور النحوية بِنيات منطقية، تحيل إلىٰ قواعد وأسس الفكر ذاتها، وفي هذه الشروط، تعكس البِنية النَّحْوِيَّة المسار التأملي للمفكر. لذلك يجب إيلاء أدوات الربط انتباهًا خاصًّا: فالأظرف والصيغ المتنوعة دالة جدًّا. كما تُمَفصِل علاماتُ الوقفِ الفكرَ. بين أيدينا هنا عناصر تحليل كثيرة موحية تساعد علىٰ فَهْم النص. فالأدوات «إذن»، «بالنتيجة»، «هكذا» التي تتخلل العرض أو البرهنة، تشير إلىٰ تسلسل القضايا أو الحجج وتُترجم نمط تنظيم الأفكار.

* **مثال**. الجملة الأولىٰ في النص مُبرزة «هذه المشكلة [. . .] إلىٰ حلها» بخط مائل، نحن هنا أمام اقتراح ستفتح الطريق نحو شرح في النص. سوف يتم شرح المشكلة ودمجها في الوقت نفسه ضمن عرض دقيق. علينا التمييز جيدًا بين مشكلة كانط، المطروحة في بداية النص، ومشكلتنا نحن اللاحقة، النابعة من الإشكالية. يجب تجنب الخلط بينهما.

تسمح كلٌ من أداة الربط المؤدية إلىٰ التفسير «لأن» «لأنه يتعسف» وأداة الربط «إذن» التي تسمح بإدراج النتيجة «فهو محتاج إذن»، برؤية بِنية منطقية محددة: إننا أمام محاجة وعرض يقودان إلىٰ نتيجة أولىٰ تشير إليها الأداة «إذن». إن الفكر منظَّم أيضًا بأداة الربط «لكن» «لكن أين»، وكذا «إلا أن»

«إلا أن هذا السيد»، ومرة أخرىٰ بأداة الربط «لأن» «لأن كل واحد من هؤلاء». تشير الأداة «لكن» الأولىٰ خصوصًا في الجملة «لكن أين له» إلىٰ تحول مهم في الاستدلال: إذ سيكون الكلام السابق من زاوية معينة، محل تساؤل. تعكس المصطلحات النحوية في حالة نصنا الخاصة جدًّا، انتظامات منطقية، عروضًا ونتائج. وسيكون من غير المعقول عدم الاستفادة منها.

البنية الأولىٰ للنص عن طريق التحليل النحوي

يسمح العمل المنجَز عن طريق التحليل النحوي بالتوصل إلىٰ هذه النتيجة، المؤقتة تمامًا، الخاصة ببنية تشكلها القضية «هذه المشكلة [. . .] حلها» التي تطرح المشكلة، وكذا بعرض مقسّم إلىٰ قسمين:

- «إن الصعوبة [. . .] أن يكون حرًّا»: القسم الأول من العرض.
- «لكن [. . .] القوانين»: القسم الثاني من العرض.

التحليل المفاهيمي الدقيق
توضيح تقدم العرض والبنية الديناميكية

* **المفاهيم الأساسية**. يقدم التحليل المفاهيمي الدقيق مفتاح «النص» المطروح للتحليل. فلنقم بدراسة المحاور السيمانطيقية الأساسية: ليس بتعريف جميع المصطلحات بدون استثناء -ما سيقودنا إلىٰ التحليل النقطي والتجزئة المطلقة وتشتت التفكير- بل بتعريف المصطلحات الأساسية. نتوصل من خلال هذه المقاربة (التي تضاف إلىٰ التحليل النحوي) إلىٰ إدراك

ووصف ديناميكية الفكر، وأيضا الكشف فيما وراء الموضوع، عن الفكرة العامة، الإشكالية والمشكلة الضمنية (تلك التي سنكشف عنها، لا تلك التي يطرحها كانط).

علينا إذن اختيار المصطلحات الأساسية التي لها أهمية فعلية والتي تلعب دورًا محوريًّا. إنّ عددها يختلف بالطبع مع المقتطف المدروس، ولكن كيف يمكن ملاحظتها؟ إنّ الفهم يلعب بالتأكيد دورًا، لكن مرة أخرىٰ تؤدي «الثقافة» دورها. فبفضلها يستطيع الطالب إدراك الأفكار أو المفاهيم الحاملة فعليًّا للمعنىٰ. يجب التوقف عند المصطلحات ذات الطابع الفلسفي، من خلال التأكد من أن لها دورًا محوريًّا في النص. ثم نبحث بعد ذلك عن مصطلحات مهمة أخرىٰ غير فلسفية (تشكل هذه القاعدة بالطبع إشارة منهجية مرنة جدًّا). هذه هي قائمة تلك المصطلحات: المشكلة، الإنسان، الحيوان، السيد، الحرية، المخلوق، العاقل، القانون، الأنانية، الإرادة الخاصة، الإرادة الصالحة كونيًّا، الكائن الحر، العدالة العمومية.

يتعلق الأمر بعد ذلك بالانتقال من المصطلحات إلىٰ المفاهيم، أي من عبارات أو ألفاظ لا تزال عامة وغير مضبوطة، حاملة في الغالب لمعانٍ عدة، إلىٰ مفاهيم فلسفية دقيقة، تتمتع بصلاحية وصدق داخل النص، وليس فقط في الإطار العام لفكر المؤلف. هنا تصبح المهمة في الواقع، معقدة وصعبة جدًّا. ذلك أنه يمكن لمصطلحات مهمة لدىٰ مؤلف واحد، أن تكون حاملة لمعانٍ عدة (مثال: «الترنسندنتالي» يعني في بعض نصوص كانط، «ما يشكّل الشرط القبلي للمواضيع»، وفي نصوص أخرىٰ «ما يدّعي تجاوز مجال التجربة».

وعليه فإن التحديد الدقيق لمعنىٰ المفاهيم هو الذي سيلعب الدور المركزي في عملية البحث. يجب بمعنىٰ ما اصطياد المعاني المناسبة للنص. ويستحسن هنا الاستعانة بمعجم جيّد، متناسب مع التعليم العالي؛ للقيام بعملية انتقاء، والتفكير في المعاني المتعددة المقدَّمة. لدينا التعاريف التالية:

- «**مشكلة**»: تعني هنا، معضلة نظرية وعملية يبقىٰ حلها من الناحية القبلية غير أكيد (يتعلق الأمر بتحقيق مجتمع مدني يدير القانون بشكل كوني).

- «**إنسان**»: يتناول نص كانط كله الإنسان كواقع غامض، ككائن بيولوجي ينتمي إلىٰ النوع الحيواني الأكثر تطورًا علىٰ الأرض وكشخص يتطلع إلىٰ مملكة الكون والقانون معًا. يجب الإشارة إلىٰ هذا الغموض وإلىٰ المعاني المتعددة لهذا المصطلح: ينتمي الإنسان إلىٰ عالم الطبيعة ومملكة الغايات.

- «**حيوان**»: يعني هنا، كائن حي ينتمي إلىٰ عالم الطبيعة. يشير كانط بإسهاب إلىٰ هذا المظهر من ماهية الإنسان: يندمج الإنسان في عالم الطبيعة، وهو يوجد ككائن حي يبحث عن مصلحته الخاصة لتلبية حاجاته (الفردية).

- «**سيّد**»: يشير السيد إلىٰ شخص يمارس سيطرة وَفق شكل غير إكراهي؛ لأن غايته هي -ما يشير إليه النص- الارتقاء بالكائن البشري (الخصوصي) إلىٰ الكوني، أي إلىٰ ما هو عام لجميع العقول.

- «**حرية**»: تشير أولًا إلىٰ ملكة الفعل بعيدًا عن الإكراه، بتجاوز كل الحدود إزاء أقرانه، وهي ملكة طبيعية فينا. سنلاحظ فيما بعد عبارة «أن يكون حرًّا» التي تتعارض في جميع النقاط مع الحرية الطبيعية.

- «**مخلوق عاقل**»: هو الإنسان أو الذات من حيث هي متصفة بالعقل، الذي هو ملكة الحكم التي تجعلنا نبلغ الكوني. «عاقل» يُطبق بالأحرىٰ علىٰ السلوك، بينما يصف «العقلاني» المعرفة.

- «**قانون**»: يعني هنا قاعدة أمرية كونية، ملزمة للجميع، ومسيّرة للسلوك البشري. إن هذا القانون (المدني، السياسي . . . إلخ) هو وحده الذي يجعل الإنسان قادرًا علىٰ الإفلات من مملكة نزواته الحيوانية والأنانية.

- «**أنانية**»: استعداد للسعي وراء اللذة والمصلحة الفردية فقط.

- «**إرادة خاصة**»: تقابل جذريًا الإرادة الكونية. في الواقع تشير الإرادة إلىٰ القدرة علىٰ الفعل وفق قواعد. إذا كانت هذه القواعد خاصة، أي لا تنتمي سوىٰ لفرد واحد أو إلىٰ بعض الأفراد، فإن القدرة علىٰ الفعل تبقىٰ خاصة ذاتية.

- «**إرادة صالحة كونيًّا**»: يتعلق الأمر هنا بالقدرة علىٰ الفعل وفق قواعد ملزمة لكل كائن عاقل.

- «**أن يكون حرًّا**»: من الظاهر أن العبارة «أن يكون حرًّا» لا تشير هنا إلىٰ واقع، بل إلىٰ مثل أعلىٰ وصيرورة، أي بلوغ وجود معقول خاضع للكوني.

- «**عدالة عمومية**»: في هذا النص، حالة قانونية يتمتع فيها البشر، داخل الدولة، بحقوقهم بشكل متساوٍ، وفق فكرة الإرادة المشرعة الكونية.

كثير من المعاني المفاهيمية مصحوبة بالمصطلح «هنا»: ذلك أن الألفاظ مشروحة في سياقها. عندما ينظر كانط إلىٰ الحرية باعتبارها مشاركة في العقل ومثلا أعلىٰ، فإن هذا التصور خاص به (حتىٰ وإن كانت جذوره في التيار العقلاني الكبير).

ما الغاية من هذا البحث المفاهيمي؟ إنه يسمح بإدراك أفضل للمعنىٰ وللبنية الديناميكية للنص.

هكذا، يساعد الكشف المفاهيمي وتحليل المصطلحات الأساسية علىٰ فهم معنىٰ النص المقتطف، وأيضًا نظامه وتسلسله. لا يجب فهم المفاهيم في منعزل عن بعضها البعض، بل من خلال الوحدة العضوية للنص (هذا واضح فيما يخص مفهومَيْ «إرادة» و«أن يكون حرًّا».

* **البنية الديناميكية للنص:** وسمه. يجب أن يقود تنسيق التحليل النحوي (الذي قاد إلىٰ هيكلة أولىٰ) مع التحليل المفاهيمي المنجز للتّو، إلىٰ إبراز انتظام وفق أقسام، انتظام ليس ساكنًا أبدًا، بل متحركًا، يعكس مسارًا.

إننا أولًا، أمام منطوق مشكلة (الجملة المكتوبة بخط مائل). هذه المشكلة غير مصرح بها مباشرة من طرف كانط في بداية النص المقتطف ولذلك قمنا بطرحها علىٰ الطلبة لإزالة الغموض. يهدف القسم الأول كله (والثاني) إلىٰ شرح طبيعة الإحراج ذاته، والمشكلة التي يعتبرها كانط أساسية. يمكن النظر إلىٰ هذا القسم الأول ككل وصفي يفضي إلىٰ نتيجة أولىٰ مشار إليها بالأداة «إذن» (فهو محتاج إذن إلىٰ سيد). إلا أن القسم الثاني يشكل هو أيضًا، «عرضًا/محاجة» قويًّا يدعم القسم الأول. يبدو أن القسم الثاني هذا يخضع جزئيًّا لصورة استنتاجية.

يقودنا تنسيق التحليل المفاهيمي والنحوي إذن إلىٰ طرح استدلال مزدوج، تشرح فيه طبيعة المعضلة المشار إليها في بداية النص المقتطف. إننا أمام سلسلة محاجات، حجج تلي أخرىٰ. بهذا الشكل تطرح هذه السلسلة للقارئ المنتبه، «العرض/المحاجة» المنظم بأدوات الربط:

(١) «هذه المشكلة [. . .] حلها». تبرز المعضلة (الخاصة بإرساء نظام سياسي عادل).

(٢) «إن الصعوبة [. . .] أن يكون حرًّا». العنصر الأول من الإحراج ومن المعضلة: «السيد ضروري للإنسان»؛ لتحقيق الارتقاء من الخصوصي إلىٰ الكوني.

حدود الاستدلال في هذا الكل: تعريف الإنسان كحيوان يتطلب سيدا «إن الصعوبة [. . .] من بني جنسه»، تبرير المنطوق السابق: تخضع إرادة الإنسان إلىٰ النَّزوات الأنانية الخاصة «لأنه [. . .] خاص به»، إن السيد يرفع إذن الإنسان إلىٰ الكوني «فهو محتاج [. . .] أن يكون حرًّا».

لقد بيّنت المحاجة/العرض التي قام بها كانط بدقة، أن السيد ضروري للإنسان لكَبح جِمَاح رغباته الخاصة. غير أن الإحراج لا يزال قائمًا. ولذلك سيتجه كانط في القسم الثالث من النص إلىٰ صُلب المشكلة. إن العرض سيوضح نواة المعضلة. تشير أداة الربط «لكن» إلىٰ عائق رئيس. ومنه طرح العنصر الثاني من المعضلة:

(٣) «لكن [. . .] القوانين». توضيح المعضلة (المذكورة في١). السيد في حاجة هو ذاته إلىٰ سيد. إن إرساء العدالة يمثل مهمة صعبة.

حدود الاستدلال في هذا الكل: السيد في حاجة هو ذاته إلىٰ سيد «لكن [. . .] الجنس البشري بالطبع»، كل قائد (بشري) سيحاول التعسف في حريته «إلا أن [. . .] القوانين».

النتيجة النهائية: ليس الإنسان في حاجة إلىٰ سيد فحسب، بل إنّ السيد نفسه في حاجة إلىٰ سيد. وعليه تصطدم عملية إرساء العدالة بمشكلة أنتروبولوجية أساسية. لقد لاحظنا تسلسلًا من النتائج المنطقية، وفي النهاية تبرز النتيجة الأخيرة صعوبة المشكلة المبرزة في بداية النص بخط مائل.

كيف تم إبراز البنية الديناميكية؟ إن التنسيق بين التحليل النحوي والمفاهيمي هو الذي أدىٰ إلىٰ توضيح مسار فكر المؤلف. علينا ملاحظة ما يلي: كنا نعلم منذ البداية، أن الأمر يتعلق بطرح معضلة «هذه المشكلة». تتناول الفقرة الأولىٰ فكرة المشكلة «المعضلة» وتمضي في تفسيرها. تشرح تسلسلات العرض في بقية النص، المشكلة التي يطرحها كانط في بداية النص. وبذلك يسمح التركيز المُولَىٰ للمفاهيم والتحليل النحوي بالتقدُّم بشكل فعلي في تبيان البنية الديناميكية.

موضوع وموقف النص

كيف نتوصل الآن إلىٰ الموضوع والأطروحة؟ أولًا الموضوع: يبقىٰ منضويًا في أسطر النص ومُتضمنا فيها حتىٰ القسم الثالث. عندما يؤكد كانط في الأخير أن الأمر يتعلق بـ «إرساء العدالة العمومية»، يبرز لنا التحليل المفاهيمي أننا أمام الموضوع، أي تحقيق نظام سياسي عادل، يخص الدولة وعلاقاتها بالمواطنين «العمومية»، نظام يدير القانون بصورة كونية.

ماذا عن الموقف أو الفكرة الأساسية؟ يبدو ممكنا لأجل التوصل إليها، إيجاز مختلف أقسام النص من جديد (في سطرين أو ثلاثة) -التي سبق إجمالها في تحليل البنية الديناميكية- ومنه استخراج الفكرة العامة المطابقة دائمًا تقريبًا لموقف صاحب النص. لدينا هنا علىٰ الموقف الآتي: «تعتبر مشكلة العدالة العمومية المرتبطة بالدولة مشكلة عويصة جدًا؛ لأنّ الحكام أشخاص أنانيون وخاضعون لنزوات فردية، لا تأخذ في الحسبان الطابع الكوني للقانون: وعليه فكل سيد يتطلب سيدًا».

تُعبّر الفكرة الأساسية للنص في العموم، عن موقف المؤلف -مادة عرضه- المتميز عن الموضوع، الذي يكون أكثر عمومية في الغالب. إن الانتقال من الموضوع إلىٰ الموقف هو انتقال من الصريح إلىٰ الضمني، بشكل نتوصل معه إلىٰ الفكرة المحورية التي تنتظم حولها أسطر النص.

المشكلة والرهان

*** نتوصل من خلال مساءلة النص والفكرة العامة إلىٰ إبراز المشكلة، أي الإحراج الرئيس للنص. هذه بعض من تلك الأسئلة:**

- كيف ننتقل، في المجتمع المنتظم، من مملكة الأهواء إلىٰ مجال القانون الكوني (أي التحكم عقلانيًا في هذه الأهواء الخاصة)؟
- ولكن، أليس الحاكم نفسه إنسانًا، أي كائنًا متناهيًا يجب ترويض أهوائه (من طرف سيد)، وغير قادر علىٰ بلوغ الكوني إلا بصعوبة بالغة؟
- كيف نحقق نظامًا سياسيًا عادلًا وكونيًا إن لم يكن في وسع أي حاكم الإفلات من الأنانية وليس في إمكانه التعالي عن الرغبات الخاصة المحايثة لطبيعته البشرية؟
- هل الإكراه وسيلة ضرورية لتحقيق نظام سياسي عادل؟

يمثل السؤال الأخير المشكلة الرئيسة المطروحة من طرف الفيلسوف. إن تحديد المشكلة هذا، يُشكّل اللحظة الأكثر خطورة من التحليل. (مرة أخرىٰ، يجب تمييز المشكلة التي يطرحها كانط عن تلك الناجمة عن التحليل التأويلي الشخصي).

وفي الأخير، يتعين إبراز الرهان أو الرهانات، إبرازًا تُحدد صياغته نوعية التحليل النقدي اللاحق، ما المكسب الفكري المُتوخَّىٰ؟ وما أثره؟ تسمح هذه الأسطر بتوضيح ماهية المشكلة السياسية، وهو ما يكتسي أثرًا عمليًّا.

القسم النقدي

يشير القسم النقدي في هذه الحالة الخاصة، إلىٰ أهمية السؤال والمشكلة المتناولة أكثر من تعلقه بالإجابة، لأن كانط في هذا النص، يوضح في الحقيقة مشكلة دون إبراز الحل. **علينا رغم ذلك أن لا ننخدع**: فالطرح الجيد للمشكلات، هو إسهام بشكل ما في حلها. لنركز في هذا القسم النقدي إذن، علىٰ بعض العناصر التي توحي بحل منبثق من المشكلة:

- إن الإنسان «سيئ»؛ لأنه حر في تلبية رغباته الفردية علىٰ حساب القانون الكوني الذي يساهم فيه.

- لا يمكن إرساء نظام سياسي عادل إلا بالإكراه.

- لقد استطاع كانط ربط المشكلة السياسية بالأنثروبولوجيا بشكل مثير: من وجهة النظر هذه، يُعتبر تساؤله خصبًا جدًّا. يربط كانط الفلسفة السياسية والأنثروبولوجيا الفلسفية دون أن يتُوه في التّنظير المحض. أليس هذا طرحًا مثيرًا للمشكلة السياسة؟

نتيجة التحضير النهائية
طريقة العمل

- لدينا الآن أداة مهمة تسمح بالتحرير المنهجي الدقيق للتحليل.

إليك «طريقة عمل» تساعدك علىٰ الإدراك والدخول في الخطوات التحضيرية لتحليل النص. لكن عليك باستعمالها دون أي تحجر، وذلك بتجاوز الخطوات التي لا طائل منها (مثلًا: البحث عن الصور النحوية في حالات معينة ... إلخ).

تحضير تحليل النص
طريقة العمل

(١) تحليل الصور النحوية أو العامة:

(١) التقديم العام للنص (الفقرات.. إلخ).

(٢) المصطلحات أو أدوات الربط.

(٣) الصيغ، العبارات، المفاهيم المشار إليها من طرف الكاتب (بخط مائل أو بارز.. إلخ).

(٤) علامات الوقف الموحية.

(٥) البنية الأولية.

(٢) التحليل المفاهيمي:

(١) وسم المصطلحات الأساسية.

(٢) ضبط المصطلحات والمفاهيم (في إطار النص).

(٣) البنية الديناميكية.

(٤) الأقسام.

(٥) مسار الاستدلال والمحاجة.

(٣) الموضوع والموقف:

(١) الموضوع.

(٢) الموقف (أو الفكرة الأساسية).

(٤) المشكلة والرهان (ات):

(١) التساؤل

(٢) المشكل

(٣) الرهان (ات).

(٥) القسم النقدي:

(١) موضع النص في تاريخ الأفكار.

(٢) فائدة النص الفلسفية (والحل المحتمل الذي يقترحه المؤلف).
التحليل النسقي لأهمية النص المقتطف

(٣) احتماليًّا، تحاليل مختلفة.

(١٥) أمثلة عن تحضير وتحرير تحليل النص
بعض القواعد الخاصة بالتحرير

إنّ الوفاء للنص هو القاعدة الأساسية.

*** يمكن لعملية التحرير أن تتم عبر أربع لحظات:**

- **المقدمة (اللحظة الأولىٰ) تُموضِع النص في الكتاب الأصلي الذي اقتُطف منه:** إنها تعيد وضع النص في سياقه الفلسفي. كما أنها تصوغ المقدمة، الموضوع، والموقف أيضًا (أي الفكرة الأساسية التي تهيكل النص) بالإضافة إلىٰ المشكلة الضمنية في النص، دون محاولة حلها. وتضع في الأخير الخطة المختصرة للنص.

علىٰ المقدمة رغم هذا المحتوىٰ الكثيف (المطابق لمطلب لجان التصحيح) أن تلتزم بهذا الحد الأدنىٰ. علىٰ الطالب أن يبتعد عن كل تخطيط لا طائل منه.

- **شرح النص (اللحظة الثانية):** يبرز المضمون الذي يشتمل عليه النص، عن طريق شرح المصطلحات، التي تتحول بذلك إلىٰ مفاهيم دقيقة ومحددة. يكتسب الطالب من خلال الارتباط منهجيًّا بالتعريفات، واعتبارها ركائز وقواعد العمل التحليلي والتركيبي، دلائل قوية ويبقىٰ متصلًا بالنص (وتمامًا مثل المقالة يبقىٰ الخروج عن الموضوع تهديدًا مستمرًّا).

لا يكفي هذا الشرح التحليلي: يجب التركيز علىٰ العلاقات القائمة بين المصطلحات التي تستدعي بعضها البعض، ويتم التعبير عن هذا الكل من خلال مسار تفكير المؤلف. إنّ تناسي هذا البُعد التأليفي سيعرّضك إلىٰ خطر التشتت ويقضي علىٰ المعنىٰ الفعلي لعملك التأويلي.

يستحسن عند عملية التحرير فحص النص بالنظر إلىٰ النظام الذي تعرض فيه مختلف البنيات. يشير نظام الأسباب (الخاصة بالمؤلف) في الغالب، التسلسل المنطقي الذي عليك احترامه.

يمكن أن يتم الشرح التحليلي والتركيبي للنص، الوفي لنظام الفكر، بواسطة اللجوء إلىٰ مصطلحات ومفاهيم أو عبارات مستعملة في مذهب المؤلف.

يجب الابتعاد عن كل محاولة لاختصار المذهب.

ستبرز عندئذ وبشكل تدريجي، عناصر من شأنها أنْ تُطوّر في الدراسة النقدية.

- **الدراسة النقدية (اللحظة الثالثة)**: وإن لم تكن إجبارية، إلا أنها تسمح بالقيام بحوصلة خاصة بالحلول المقترحة للمشكلة الفلسفية الرئيسة. سيقوم الطالب بالتركيز علىٰ نجاعة هذه الحلول وسيقوم بشرح الرهانات والآثار الخصبة، بإمكانه أيضًا أن ينتقد أو أن يشير إلىٰ بعض الصعوبات أو التناقضات في النص، ليس لهذه الأخيرة غالبًا من معنىٰ إلا من الناحية التاريخية.

- **الخلاصة (اللحظة الرابعة)**: تبرز باختصار طبيعة الحل المُقدَّم للمشكلة الأساسية. يمكن لهذه اللحظة الرابعة احتماليًّا أن تندمج في اللحظة الثالثة.

أمثلة على التحضير والتحرير

سيسمح المثالان المقترحان للتحليل برؤية كيفية تطبيق «طريقة عمل» (انظر ص١٨٥) التحضير وكيف تسمح العناصر المبرزة (المشار إليها في خانة اليمين في الجدول النهائي) بتحرير موفق.

*** المثال الأول:**

الموضوع: نص كانط المذكور في الفصل الرابع عشر (ص١٧٧)

*** التحضير:**

سنعيد التذكير بطريقة تحضير هذا النص المذكور في الفصل الرابع عشر، بشكل يجعلها أكثر صورية، وبالاستناد إلىٰ «طريقة العمل» المشار إليها آنفا.

*** تحليل الأشكال النحوية أو العامة:**

(١) أدوات وصيغ الربط:

- «لأن»: أداة ربط تُفضي إلىٰ تفسير «لأنه يتعسف».
- «إذن»: أداة ربط تسمح بإدراج النتيجة « فهو محتاج إذن».
- «لكن»: تبرز أداة الربط هذه فكرة جديدة ضرورية، وكذا ضبطًا وشبه اعتراض، أو علىٰ الأقل عنصرًا أولًا لصعوبة إضافية «لكن أين».

- «إلا أنّ»: تشير أداة الربط هذه إلىٰ بداية عرض، من خلال التذكير بقضية سابقة «إلا أن هذا السيد».

- «لأن»: أداة ربط تفضي إلىٰ شرح «لأن كل واحد من هؤلاء».

(٢) المصطلحات أو العبارات المشار إليها من طرف المؤلف (بخط مائل أو بارز ... إلخ):

يقود استعمال الخط المائل إلىٰ الإشارة إلىٰ وجود قضية «هذه المشكلة [. . .] حلها»، أهمية المصطلح «حيوان» (كائن حي منظم)، والعبارة «في حاجة إلىٰ سيد». هذا المصطلح الأخير مبرز وبالتالي فهو يلعب دورًا محوريًّا.

(٣) البنية الأولىٰ:

- «هذه المشكلة [. . .] حلها»: طرح القضية محل الإشكال.

- «إنّ الصعوبة [. . .] أن يكون حرًّا»: القسم الأول من العرض.

- «لكن [. . .] القوانين»: القسم الثاني من العرض.

* التحليل المفاهيمي:

(١) وسم المفاهيم الأساسية:

تلعب المصطلحات: المشكلة، الإنسان، الحيوان، السيد، الحرية، المخلوق، العاقل، القانون، الأنانية، الإرادة الخاصة، الإرادة الصالحة كونيًّا، الكائن الحر، العدالة العمومية، دورًا محوريًّا في النص.

(٢) ضبط المفاهيم:

- «**مشكلة**»: تعني هنا، معضلة نظرية وعملية يبقىٰ حلها من الناحية القبلية غير أكيد (يتعلق الأمر بتحقيق مجتمع مدني يدير القانون بشكل كوني).

- «**إنسان**»: يتناول نص كانط كله الإنسان كواقع غامض، ككائن بيولوجي ينتمي إلىٰ النوع الحيواني الأكثر تطورًا علىٰ الأرض وكشخص يتطلع إلىٰ مملكة الكون والقانون معًا. يجب الإشارة إلىٰ هذا الغموض وإلىٰ المعاني المتعددة لهذا المصطلح: ينتمي الإنسان إلىٰ عالم الطبيعة ومملكة الغايات.

- «**حيوان**»: يعني هنا، كائن حي ينتمي إلىٰ عالم الطبيعة. يشير كانط بإسهاب إلىٰ هذا المظهر من ماهية الإنسان: يندمج الإنسان في عالم الطبيعة، وهو يوجد ككائن حي يبحث عن مصلحته الخاصة لتلبية حاجاته (الفردية).

- «**سيد**»: يشير السيد إلىٰ شخص يمارس سيطرة وفق شكل غير إكراهي؛ لأن غايته هي -ما يشير إليه النص- الارتقاء بالكائن البشري (الخصوصي) إلىٰ الكوني، أي إلىٰ ما هو عام لجميع العقول.

- «**حرية**»: تشير أولًا إلىٰ ملكة الفعل بعيدًا عن الإكراه، بتجاوز كل الحدود إزاء أقرانه، وهي ملكة طبيعية فينا. سنلاحظ فيما بعد عبارة «أن يكون حرًّا» التي تتعارض في جميع النقاط مع الحرية الطبيعية.

- «**مخلوق عاقل**»: هو الإنسان أو الذات من حيث هي متصفة بالعقل، الذي هو ملكة الحكم التي تجعلنا نبلغ الكوني. «عاقل» يُطبق بالأحرىٰ علىٰ السلوك، بينما يصف «العقلاني» المعرفة.

- «**قانون**»: يعني هنا قاعدة أمرية كونية، ملزمة للجميع، ومسيّرة للسلوك البشري. إن هذا القانون (المدني، السياسي ... إلخ) هو وحده الذي يجعل الإنسان قادرًا علىٰ الإفلات من مملكة نزواته الحيوانية والأنانية.

- «**أنانية**»: استعداد للسعي وراء اللذة والمصلحة الفردية فقط.

- «**إرادة خاصة**»: تقابل جذريًّا الإرادة الكونية. في الواقع تشير الإرادة إلىٰ القدرة علىٰ الفعل وفق قواعد. إذا كانت هذه القواعد خاصة، أي لا تنتمي سوىٰ لفرد واحد، أو إلىٰ بعض الأفراد فإن القدرة علىٰ الفعل تبقىٰ خاصة ذاتية.

- «**إرادة صالحة كونيًّا**»: يتعلق الأمر هنا بالقدرة علىٰ الفعل وفق قواعد ملزمة لكل كائن عاقل.

- «**أن يكون حرًّا**»: من الظاهر أن العبارة «أن يكون حرًّا» لا تشير هنا إلىٰ واقع، بل إلىٰ مثل أعلىٰ وصيرورة، أي بلوغ وجود معقول خاضع للكوني.

- «**عدالة عمومية**»: في هذا النص، حالة قانونية يتمتع فيها البشر، داخل الدولة، بحقوقهم بشكل متساوٍ، وفق فكرة الإرادة المشرعة الكونية.

(٣) البنية الديناميكية للنص:

* أقسام النص:

- «هذه المشكلة [...] حلها». تبرز المعضلة (الخاصة بإرساء نظام سياسي عادل).

- «إن الصعوبة [. . .] أن يكون حرًّا». العنصر الأول من الإحراج ومن المعضلة: «السيد ضروري للإنسان» لتحقيق الارتقاء من الخصوصي إلىٰ الكوني.

حدود الاستدلال في هذا الكل: تعريف الإنسان كحيوان يتطلب سيدًا «إن الصعوبة [. . .] من بني جنسه»، تبرير المنطوق السابق: تخضع إرادة الإنسان للنزوات الأنانية الخاصة «لأنه [. . .] خاص به»، إن السيد يرفع إذن الإنسان إلىٰ الكوني «فهو محتاج [. . .] أن يكون حرًّا».

- «لكن [. . .] القوانين». (توضيح المعضلة المذكورة في القسم الأول). السيد في حاجة هو ذاته إلىٰ سيد. إنّ إرساء العدالة يمثل مهمة صعبة.

حدود الاستدلال في هذا الكل: السيد في حاجة هو ذاته إلىٰ سيد «لكن [. . .] الجنس البشري بالطبع»، كل قائد (بشري) سيحاول التعسف في حريته «إلا أن [. . .] القوانين».

مسار الاستدلال والمحاجة: يطرح كانط معضلة جوهرية تتعلق بتطبيق العدالة العمومية ويتجه نحو النواة الأنثروبولوجية المفسرة لهذه المعضلة: الماهية الحيوانية جزئيًّا للإنسان، فهذا الأخير ينتمي من زاوية ما إلىٰ عالم الطبيعة، وهو في حاجة إلىٰ سيد يتطلب هو بدوره سيدًا أيضًا، ومن حيث إنه ينتمي هو أيضًا إلىٰ عالم الطبيعة فإنه يتطلب هو أيضًا سيدًا . . .

* الموضوع والموقف:

(١) يخص الموضوع تحقيق نظام سياسي عادل، يدير الحق بشكل كوني (وهو يتطابق مع المشكلة التي يطرحها كانط صراحة).

(٢) الموقف. مشكلة العدالة العمومية عويص لأن الحكام، الخاضعين لنزواتهم الأنانية، لا يدركون الطابع الكوني للقانون.

المشكلة (تلك التي نطرحها نحن وليست المشكلة التي يتناولها كانط بالتحليل).

(١) التساؤل:

- كيف ننتقل، في المجتمع المنظم، من مملكة الأهواء إلىٰ مجال القانون الكوني (أي التحكم في تلك الأهواء)؟
- أليس الحاكم نفسه إنسانًا، أي كائنًا متناهيًا يجب ترويض أهوائه (من طرف سيد)، وغير قادر علىٰ بلوغ الكوني إلا بصعوبة بالغة؟
- كيف نحقق نظامًا سياسيًا عادلًا وكونيًّا إن لم يكن في وسع أي حاكم الإفلات من الأنانية وليس في إمكانه التعالي علىٰ الرغبات الخاصة المحايثة لطبيعته البشرية؟

(٢) المشكلة: أليس الإكراه وسيلة ضرورية لتحقيق نظام سياسي عادل؟

(٣) الرهان: توضيح ماهية المشكلة السياسية، توضيحًا ذا بُعد عملي.

*** القسم النقدي:**

(١) مكانة النص في تاريخ الأفكار: لقد رسم كانط قبل هيغل، صورة معبّرة للسيد، باعتباره شكلًا موصلًا إلىٰ الكوني. فهو يبرز لنا الدور (الغامض) للسيد في التشكيلات التاريخية.

(٢) المغزىٰ الفلسفي للمشكلة: تظهر وساطة الإكراه ضرورية لفرض عدالة عمومية نابعة من سلطة القوانين.

تحرير التحليل

I- المقدمة	
بداية هذا النص هي المقترح السادس من كُتيِّب كانط «**فكرة تاريخ كوني من وجهة نظر كوسموبوليتية**» الذي نشر سنة ١٧٨٤، والذي يحاول فيه كانط الكشف عن غاية للطبيعة في مجرىٰ الأفعال الإنسانية العبثي: والحال أنه يطور تفكيرًا حول التاريخ الموحد، المطابق لخطة محددة. لقد اعتبر كانط في المقترح الخامس، أن مشكلة الجنس البشري الأساسية هي تحقيق نظام سياسي عادل، يديّر القانون بشكل كوني. وهي المشكلة التي يواصل طرحها وتناولها في هذا المقترح السادس.	موضعة النص
يشكل تحقيق نظام سياسي عادل قائم علىٰ القانون والحق الكوني، موضوع النص، وهو يندرج إذن في مجال العدالة. أما فيما يخص الأطروحة ذاتها فيمكن تحديدها كالتالي: إن مشكلة العدالة العمومية يقول كانط، عويصة جدًّا؛ لأن الحكام أشخاص أنانيون، خاضعون لنزوات فردية، ومن هذا الواقع فهم لا يأخذون في الحسبان الطابع الكوني للقانون.	الموضوع والموقف (الفكرة الأساسية)
يطرح النص سلسلة من الأسئلة: كيف ننتقل في المجتمع المنظم، من سيطرة الأهواء إلىٰ دائرة القانون الكوني؟ أليست المعضلة ناجمة من واقع أن الحاكم هو ذاته كائن متناه، لا يسمو إلىٰ الكوني إلا بصعوبة كبيرة؟ عندئذ ألا يكون الإكراه وسيلة ضرورية لبلوغ (بصعوبة) نظام سياسي عادل؟ يمثل هذا السؤال الأخير المشكلة المحورية، مشكلة خاصة بهذا النص ومختلفة عن تلك التي يتناولها كانط، والتي تشكل موضوع النص. يتعلق مذاك رهان النص بتوضيح ماهية المشكلة السياسية، توضيح لا يخلو من معنىً عملي.	الإشكالية
ينقسم النص إلىٰ ثلاثة أقسام: في القسم الأول «هذه المشكلة [...] حلها»، يطرح كانط مقترحه السادس المتعلق بصعوبة حل مشكلة العدالة العمومية. ويشير في القسم الثاني «إن الصعوبة [...] أن يكون حرا» إلىٰ أن السيد ضروري للارتقاء بالإنسان، باعتباره حيوانًا أنانيًا، إلىٰ الكونية. وفي القسم الثالث «لكن[...] قوانين» يبيّن كانط أن إرساء العدالة العمومية يمثل مهمة صعبة؛ لأن السيد هو ذاته في حاجة إلىٰ سيد.	إشارة موجزة لخطة النص

II- شرح النص	
- القسم الأول: الإحراج النظري والعملي «هذه المشكلة [. . .] حلها».	الإحراج
المقترح السادس مطروح باختصار من طرف كانط: وهو علىٰ وعي بأن ذلك له علاقة منذ البداية بإحراج أساسي وأن الموضوع الأول الهام الذي يواجهه القارئ هو موضوع المشكلة، أي المعضلة النظرية والعملية التي يبقىٰ حلها غير أكيد. سيضعنا النص كله بالطبع أمام مشكلة محورية، وسيشحذها إلىٰ أقصىٰ حد، دون أن يسمح بحلها كليا. إنّ كانط يتصور ويطرح بوضوح مشكلة غير قابلة للحل تقريبا، ومن شأنها في جميع الأحوال أن تجد حلًا بالنسبة إلىٰ الجنس البشري، أي الكل الموحد للإنسانية. إن المعضلة المتصورة (المتميزة عن المشكلة المتناولة سابقا)، ليس لها علاقة إذن بمصير الفرد الخاص، بل بمصير الإنسانية المعتبرة ككل. فقط في هذا المنظور الشامل هناك مشكلة وأيضا حل ممكن. لكن ما هي هذه المشكلة المعقدة؟ إن حرف الإشارة «هذه» يحيل إلىٰ المقترح الخامس من الكتيب المتعلق بمشكلة إرساء نظام سياسي عادل يدير القانون بشكل كوني. وعليه فبالنظر إلىٰ إمكانية إرساء معايير سياسية كونية يكتسي النص معناه التام.	- الإشارة (التلميحية) إلىٰ المشكلة. حذار: إن الأمر يتعلق بالمشكلة التي يتناولها كانط وليس بالمشكلة التي أبرزناها نحن (انظر ص ١٩١). - تحيل إلىٰ تاريخ شمولي خاص بالجنس البشري.
ما هي هذه المعضلة المندرجة في صلب التفكير السياسي؟ هذا ما سيعيننا كانط علىٰ الإحاطة به من خلال سلسلة من الحجج الموجهة إلىٰ توضيحها وإبرازها في نواتها الجوهرية.	الانتقال: فيما تتمثل هذه المعضلة؟
- القسم الثاني: ضرورة وجود السيد والإكراه «إن الصعوبة [. . .] أن يكون حرًّا»	ضرورة وجود سيد كوسيط بين الطبيعة والثقافة:
الحركة الأولىٰ: «إن الصعوبة [. . .] في حاجة إلىٰ سيد». لنعُد إلىٰ فكرة المعضلة أو المشكلة، النظرية والعملية خصوصًا، مثلما يشير إلىٰ ذلك مصطلح «المهمة»: يبدو السعي الإنساني وراء البناء السياسي العادل صعب التحقيق. لكن أين تكمن الصعوبة؟ يتجذر العنصر التفسيري الأول في الإكراه الذي يجب أن يتلقاه ضرورة كل إنسان: فعلًا إنّ الإنسان حيوان -أي كائن حي له حاجات عضوية، ينتمي إلىٰ عالم الطبيعة ويسعىٰ وراء مصلحته الخاصة- يتطلب سيدًا، أي شخصًا يمارس سيطرة، وفق نمط غير تعسفي، لأن هدف السيد ليس امتلاك السلطة في ذاتها ولذاتها، بل توجيه من هو تحت حكمه، التابع أو التلميذ نحو طريق الثقافة أو التكوين الكوني. يشير كانط إذن بشكل مباشر، من خلال إدخاله لفكرة «السيد»، إلىٰ الوظيفة الأولىٰ لهذا الأخير: الارتقاء بطبيعتنا الحيوانية إلىٰ دائرة الثقافة والتعايش معًا «ما دام يعيش بين أفراد آخرين من بني جنسه». إن السيد لا يشير إلىٰ الكائن الباحث عن السلطة بأتم معنىٰ الكلمة، بل إلىٰ الوسيط بين الطبيعة والثقافة.	السيد ضروري للإنسان في فضاء التعايش الاجتماعي.

الحركة الثانية: «لأنه [. . .] خاص به». لكن لماذا يحتاج الإنسان إلىٰ سيد؟ يشرح كانط في هذه الحركة الثانية السبب العميق للجوء إلىٰ الإكراه، وهو ثنائية الطبيعة الإنسانية وتعارض العالمين، عالم الطبيعة وعالم القانون، اللذين يرتبط بهما الإنسان: تشير الحرية أولًا، ليس إلىٰ الدخول إلىٰ الأخلاقية والعقل، بل إلىٰ ملكة الفعل بلا إكراه وذلك من خلال تجاوز كل الحدود إزاء أقرانه، وهي ملكة تشكل جزءًا من طبيعتنا. إن الحرية، بعيدًا عن كونها تمثل الخضوع للقانون من خلال احترام الآخرين، واستقلالية متشبعة بالعقلانية، هي قبل كل شيء فعل طبيعي أعمىٰ إزاء الأشخاص الآخرين. هذا هو عالم الطبيعة، عالم الإنسان متصورًا ككائن حي منظم خاضع لحاجات أنانية. بالطبع إنّ الإنسان، من حيث كونه «مخلوقًا عاقلًا» يشترك في ملكة الحكم التي تجعلنا نرتقي إلىٰ الكوني، فهو يتطلع إلىٰ قانون -أي قاعدة أمرية كونية يتعرّف فيها الجميع علىٰ ذواتهم ويدركون بذلك أن حد الحرية ليس شيئًا آخر سوىٰ وجود الآخرين- قانون يكبح التعسفات الفردية: إن العقل يتطلب معايير صالحة للجميع ومنه غياب الامتيازات، غير أن الإنسان لا يدرك دائمًا كيف يمكنه احتواء حريته في الحدود التي يسمح بها القانون الكوني النابع من العقل. يتحدث كانط هنا عن «ميله الحيواني إلىٰ الأنانية»، التعلق المفرط بالذات الذي يجعل الإنسان لا يبحث إلا عن مصلحته الشخصية حصرًا. ترتبط هذه الأنانية دائمة الحضور بوجودنا الطبيعي والبيولوجي وتتجذر في حاجاتنا الحيوية. مذاك يتطلع الإنسان إلىٰ كونية القانون، لكنه يبقىٰ باعتباره كائنا حيا يسعىٰ وراء مصلحته الخاصة، منغمسا في خصوصية حاجاته. سيسمح لنا هذا التعارض بين الطابع الكوني للقانون وبين الخصوصية المميزة للإنسان الطبيعي، بفهم ضرورة اللجوء إلىٰ إكراه السيد.	إذا كان الإنسان يتطلع إلىٰ قانون كوني فإنه خاضع لحاجات خاصة.
الحركة الثالثة: «فهو محتاج إذن [. . .] أن يكون حرًّا». ينهي عرض كانط المتعلق بضرورة الإكراه، القسم الأول من التحليل. والحال أننا أمام نتيجة. تكمن وظيفة السيد في إخضاع خصوصية الحاجات إلىٰ كونية القانون، والسيطرة علىٰ الإرادة الخاصة التي تشير إلىٰ ملكة الفعل وَفق قواعد خاصة بفرد أو ببعض الأفراد. من هذه الزاوية لا تفلت الإرادة بعد من المصالح الذاتية. وعليه السيد إذن، أي الشخص الذي يمارس سلطة، هو الذي يعمل استنادًا علىٰ الإكراه، علىٰ ضمان خضوع المحكوم لمصالح كونية. إنه «يرغم» الذوات علىٰ الخضوع: تقوم عملية الإكراه هذه، بعيدًا عن كونها تشكل مفارقة أو أن تكون مسا بحريتنا، بتحيين الحرية الطبيعية بشكل عقلاني، إنها تسمح لكل شخص «بأن يكون حرًّا»، أي أن يرتقي إلىٰ وجود معقول وخاضع للكوني. فأن يكون المرء حرًّا، لا تعني إذن القيام بأفعال وفق الرغبات الخاصة، بل الخضوع للقانون الملزم للجميع، خضوع يجعله إكراه السيد ممكنًا. نلاحظ أن هناك تعارضا في كل شيء بين «أن يكون المرء حرًّا» وبين «الحرية» المذكورة قبل ذلك بأسطر قليلة «يتعسف [. . .] حريته». فإذا كانت هذه الأخيرة لا تختلف عن «فعل» طبيعي، تخارج تحكمه اللذة يمكن أن يمس بشخص الغير، فنحن الآن أمام حرية أخلاقية، وارتقاء إلىٰ الوجود المعقول: إنها إرادة صالحة كونيًّا، أي ملكة فعل وفق قواعد تطبق علىٰ كل كائن معقول، يبدو أنه أصبح قادرًا علىٰ تنظيم عمل المجتمع المدني. لقد انتقلنا فعلًا من الطبيعة إلىٰ الثقافة، أي إلىٰ مجتمع يسيّر الحق بشكل كوني.	السيد هو الذي يرغم الإنسان علىٰ الخضوع إلىٰ القانون: فالإكراه إذن ضروري. الحرية الحقيقية عقلانية: إنها الارتقاء إلىٰ الوجود المعقول. بهذا يتم الانتقال من الطبيعة إلىٰ الثقافة عن طريق السيد. تبدو المعضلة محلولة.

أهذا كل شيء؟ يبدو أن المعضلة تزول هنا، وأن السيد يشير إلى الشخص ذاته الذي يحقق، عن طريق الإكراه، الانتقال المرغوب. غير أن بقية نص كانط ستبرز التعقيد الفعلي للمشكلة.	
- القسم الثالث: الدائرة السياسية (لكن [. . .] القوانين)	السيد ذاته في حاجة إلىٰ سيد.
الحركة الأولىٰ: ليس السيد بالمتعالي عن الطبيعة «لكن [. . .] الجنس البشري». تقودنا الحركة الأولىٰ من هذا القسم الثالث، إلىٰ النواة الأنثروبولوجية التي تجعل حل المشكلة السياسية مستعصيًا. يعتبر السيِّد، الحاكم الذي يسمح بالارتقاء إلىٰ وجود معقول قائم علىٰ القانون الصالح للجميع، هو ذاته جزء من الجنس البشري. أين سيجد الإنسان إذن «قائدًا» إن لم يكن من بني جنسه، أي من مجموع الأفراد المتماثلين الذين يشتركون في الصفات وتحركهم المصالح الأنانية المتجذرة في الطبيعة؟ يشير الجنس البشري إلىٰ حقل مشترك طبيعي ينتمي إليه السيد ذاته وليس في إمكانه الإفلات منه يذكّرنا كانط هنا بطبيعية السيد، الذي لا يتعالىٰ هو ذاته عن الدائرة الحيوانية، حتىٰ وإن كانت وظيفته توجيه الإنسان نحو القانون. سيفسر كانط هذا الانتماء للطبيعة في الجزء الأخير من محاجّته.	ينتمي السيد إلىٰ الجنس (البيولوجي): طبيعية السيد.
الحركة الثانية: تطبيق العدالة من أصعب المشكلات السياسية «إلا أن [. . .] القوانين». مع هذه الحركة الثانية تنغلق الدائرة: إن السيد، ذلك الحاكم الذي يسمح بالارتقاء إلىٰ الكوني، هو نفسه حيوان، أي كائن حي منظم يسعىٰ إلىٰ تلبية حاجات أنانية ولا يعيش تحت سلطة ما هو صالح للجميع. وعليه فالدائرة السياسية مطلقة، لأن الكوني يتطلب وساطة كائن خاضع هو نفسه للخصوصي. بذلك يمكن لبقية النص كلها أن تحيط بنواة الصعوبات المحايثة للعدالة العمومية: تعرّف هذه الأخيرة بكونها الوضع القانوني الذي يتمتع فيها الأشخاص داخل الدولة، بحقوقهم وفق فكرة الإرادة المشرعة الكونية. تتطلب سلطة القانون هذه قائدًا عادلًا في ذاته، أي في وسعه الاحتكام مباشرة إلىٰ القانون دون أي ارتباط بالمصالح الأنانية. من شأن القائد العادل بذاته، أن يحقق الاعتراف بحقوق وباستحقاقات كل فرد واحترامها، دون أي خضوع للخصوصي. لكن سواء تعلق الأمر بقائد واحد أو بنخبة من الأشخاص، بحاكم واحد أو بجماعة، فإنه ليس بإمكانهم الإفلات من الحرية الطبيعية الطاغية علىٰ حقوق الآخرين، إن لم تقدهم قوة عليا بالإكراه، نحو الطابع الكوني للقانون. بذلك يبدو انتهاء الدائرة السياسية: فبدون هيئة تمثل القانون الكوني، سيمس الحكام من حيث هم أشخاص يطبعهم جفاء الطبيعة، بحقوق الغير. بهذا تتراءىٰ لنا شيئًا فشيئًا صعوبات العدالة العمومية كلها. كيف يستطيع السيد، القائد أو الحاكم أن يولّدوا لدىٰ المحكومين احترام القانون ويجعلونهم يرتقون إلىٰ الكوني، في الوقت الذي ينعدم فيه احترام العدالة والقانون لديهم، وتشير فيه الحرية عندهم إلىٰ الفعل الطبيعي والتعسف؟ أليسوا هم أنفسهم في حاجة الىٰ أسياد؟	السيد خاضع للخصوصي ويتطلب هو ذاته سيدا للارتقاء إلىٰ الكوني. صعوبة كبيرة في تحقيق الحق. نرىٰ جيدًا هنا ظهور المشكلة الرئيسة: ضرورة الإكراه.
لقد أحالنا كانط تدريجيا إلىٰ المشكلة الرئيسة للسياسة (مثل التربية أيضًا): كل سيد يحيا في ظل الخصوصي وينزع إلىٰ فرض حكمه. كيف نستطيع تطبيق القانون إذا لم يكن الحاكم نفسه سوىٰ مجرد كائن أناني؟	النواة الإحراجية في السياسة

III- القسم النقدي	
إن تعريف كانط للسيد هو أولًا، الغني بالامتدادات والآفاق النظرية والعملية. يقود السيد لدىٰ كانط، المحكوم إلىٰ الخضوع لإرادة وقانون كوني يمكن في ظله لأي شخص أن يصبح حرًّا. إنه يكسّر، باعتباره وسيطًا بين الطبيعة والثقافة، الخصوصيات وتعسف الإرادات الفردية. وهو يقود إلىٰ احترام القانون، مع كونه هو نفسه خاضعًا لنزوات أنانية ناجمة عن طبيعته الحيوانية. تجعلنا التحليلات الكانطية نرىٰ إذن صورة غنية للتاريخ وللسياسة. لقد أظهر لنا كانط قبل هيغل، الدور (المبهم) للسيد في التشكّلات التاريخية.	السيد الكانطي: صورة غنية للتاريخ.
يسمح لنا كانط، من خلال رسمه لهذه الصورة الغنية للسيد، أي ذلك الشكل الذي يقود إلىٰ الكوني رغم خصوصية النزوات، بفهم أفضل لمعضلة المشكلة السياسية الرئيسية. عندما يكون علىٰ السيد أو القائد إرساء العدالة، فإنه ينزع إلىٰ نسيان المصلحة الكونية للعقل: مزيدًا من السلطة دائما إن هذه الصيغة المتداولة في السياسة تجد تفسيرًا مثيرًا في التحليلات الكانطية. بذلك استطاع كانط طرح المشكلة السياسية من خلال ربطها بالأنثروبولوجيا. لقد بيّن أن مسألة الحكم الصالح من بين أعقد المعضلات.	مزيدا من السلطة دائما!
لكن ألا يعتبر الطرح الجيّد للمشكلة حلًّا لها تقريبًا؟ إن قيمة نص كانط تتمثل أيضًا في إبراز أن الإكراه (أو علىٰ الأقل، الحد الأدنىٰ منه) يرتسم كأفق ضروري للسياسة. يجب إيجاد نظام، مكره احتماليًّا، يشكل شرط العدالة العمومية. أليست الدولة وأشكال قانونية أخرىٰ للإكراه ضرورية، من أجل جعل التعايش الآمن والعادل بين الناس ممكنا؟ يؤكد كانط في كتابه «نظرية الحق» المنشور سنة ١٧٩٦، والمتأخر جدًّا عن نصّنا هذا، أن الحق مرتبط بملكة الإكراه[١]. إذا كانت الأشكال الإكراهية حاضنة للحق والعدالة، فإنها تجيب جزئيًّا عن الإحراج الذي حللناه. إن التفسير الكانطي لماهية المشكلة السياسية ليس بلا معنىٰ عملي.	الإكــراه الــضــروري: الدولة عودة أخيرة إلىٰ الرهان.
VI- خاتمة	
هكذا نجيب عن المشكلة المتعلقة بضرورة الإكراه لإرساء العدالة العمومية، وهي مشكلة يطرحها النص: إنّ التقدم الحقيقي للحضارة والتاريخ لا يمكن بلوغه إلا عن طريق الإكراه، الذي يجبر الناس علىٰ أن يكونوا أحرارًا. إنّه الدرس الكبير للأنثروبولوجيا الكانطية.	الإجابة عن السؤال المطروح.

(١) Kant, Doctrine du droit, Vrin, p 105.

* المثال الثاني

- **الموضوع نص لهيغل مقتطف من كتاب «الأستطيقا».**

- «لا تكتفي الروح بالتلقي البسيط للمواضيع الخارجية عن طريق السمع والبصر، إنها تستعملها في وجودها الباطني المدفوع هو الآخر إلىٰ اتخاذ شكل الحساسية، وذلك بالتحقق في مواضيع العالم الخارجي، هذا النوع من العلاقة مع مواضيع العالم الخارجي هو الرغبة. يجد المرء نفسه في هذه العلاقة بصفته فردًا حساسًا أمام أشياء فردية أيضًا. هنا لا يتدخل لا المفكر ولا ترسانته التحديدية، بل الإنسان هو الذي يتوجه، نزولًا علىٰ رغبته ومصالحه الشخصية، نحو مواضيع فردية هي أيضًا، يستلهم منها بقاءه من خلال استعمالها واستهلاكها، والتي يُضحي بها من أجل رضاه. في هذه الشروط لا تكتفي الرغبة بالمظهر السطحي للأشياء الخارجية بل تسعىٰ إلىٰ الإمساك بها في وجودها الحسي والمادي. إنها لا تهتم باللوحات التي تمثل الخشب الذي يستعمله أو الحيوانات التي يريد استهلاكها. لا يمكن للرغبة أيضًا ترك الموضوع في حريته، لأنّ طبيعتها تدفعها إلىٰ إلغاء استقلالية وحرية المواضيع الخارجية وتبيان أن هذه الأخيرة ليست موجودة هنا إلا لغرض هدمها واستعمالها حتىٰ النضوب. ولكن بالموازاة ليست الذات، التي هي حبيسة المصالح الفردية الضيقة والتافهة لرغباتها، حرة لا في ذاتها؛ لأن التحديدات التي تتخذها ليست نابعة من إرادة كونية ومعقولة في الجوهر، ولا إزاء العالم الخارجي؛ لأن الرغبة تبقىٰ محددة أساسا بالمواضيع ومرتبطة بهم.

إنّ علاقات الإنسان بالعمل الفني غير متوقفة على الرغبة، فهو يتركه يوجد لذاته أمامه، بكل حرية. وهو يقدّره دون الرغبة فيه، كموضوع لا يتعلق إلا بالجانب النظري من الروح. لهذا السبب، ورغم أن العمل الفني يتمتع بوجود حسي، فإنه ليس في حاجة في أن يكون له واقع مادي ملموس ولا أن يكون فعليًّا حيًّا. ولا ينبغي له حتى المغامرة في هذا الاتجاه؛ لأنه لا يسعى إلى إرضاء إلا مصالح روحية وبالتالي عليه أن يُقصي كل رغبة»[1].

التحضير:

* تحليل الصور النحوية أو العامة:

(١) العرض العام في فقرتين أساسيتين هنا ويؤدي إلى البنية الشاملة للنص.

(٢) غياب معالم نحوية أخرى دالة.

(٣) البنية الأولى. قسمان يحيلان إلى فقرتين (يجب إعادة هيكلتهما لاحقًا):

- **القسم الأول:** «لا يكتفي [. . .] بهم».
- **القسم الثاني:** «إن علاقات [. . .] الرغبة».

* التحليل المفاهيمي:

(١) وسم المفاهيم الأساسية:

تلعب مصطلحات: الروح، الرغبة، الوجود الحسي والمادي، الحرية، الإرادة الكونية والمعقولة، العمل الفني، دورًا محوريًّا هنا.

(١) Hegel, Esthétique, Textes choisis, P.U.F., pp 16-17.

يمكن الرجوع إلى الطبعة الكاملة لموضعة النص في سياقه الأصلي.

(٢) ضبط المفاهيم:

- «روح»: يعني هنا مبدأ التفكير الإنساني (لا يتعلق الأمر بالمعنىٰ الهيغلي الخاص بالضبط، أي التفكير الموضح لذاته تدريجيًا حتىٰ بلوغ المطلق، وإن كان بالإمكان تقريب المعنيين).

- «رغبة»: الميل والحركة التي يتخارج بهما الإنسان، ينفي الموضوع بتجاوز ذاته نحوه ويضحّي به لرضاه الفردي.

- «حرية»: عدم الخضوع لواقع آخر أو لكائن آخر.

- «تكون حرة»: التوصل إلىٰ فهم ما هو صالح للجميع، القيام باختيار نابع من العقل ومن الكوني.

(الحرية متناولة في هذا النص وفق معنيين مختلفين إذن).

-«وجود حسي ومادي»: حضور فردي آني، معطىٰ للحواس، ومرتبط بأشياء يمكن رؤيتها أو لمسها.

- «إرادة كونية ومعقولة في الجوهر»: تعني هنا ملكة التحديد الذاتي لأسباب متصورة أساسًا من خلال بُعدٍ صالح لجميع العقول، ووفق تطابق مع ملكة تمييز (المطلقة) الصحيح من الخاطئ.

- «عمل فني»: مجمل المواد والرموز التي تعبّر عن الجميل وليست لها أية علاقة مع نفي الرغبة.

(٣) البنية الديناميكية:

الأقسام: يعرض النص أربع حركات:

- الحركة الأولىٰ «لا يكتفي [. . .] الرغبة»: يعرض فيه هيغل ماهية الرغبة، ويجعل منها مفهومًا سيتم شرحه بدقة في القسمين الثاني والثالث.

- الحركة الثانية «يجد المرء [. . .] استهلاكها»: إبراز للسلب الكامن في الرغبة.
حدود الاستدلال في هذه الحركة: النفي الهدام للرغبة «يجد المرء [. . .] الشخصية». التباعد والتباين بين الرغبة والعمل الفني، تبيان يوضحه سلبية الرغبة «يجد المرء [. . .] استهلاكها».

- الحركة الثالثة «لا يمكن للرغبة [. . .] بهم»: يشير الفيلسوف إلىٰ «انتفاء الحرية» عن الرغبة.
حدود الاستدلال: توجد هوة بين الرغبة وحرية الموضوع «لا يمكن للرغبة [. . .] حتىٰ النضوب»، أيضًا تتعارض الرغبة وحرية الذات في العمق «ولكن [. . .] بهم».

- الحركة الرابعة «إن علاقات [. . .] كل رغبة»: بعد وصف الرغبة كسلب خاص للحرية الفعلية، أصبح بإمكان هيغل التأكيد أن الفن يتموضع فيما وراء كل رغبة ولا يتعلق إلا بحاجاتنا الروحية فقط.
حدود الاستدلال: شرح طبيعة علاقات الإنسان بالعمل الفني «إن علاقات [. . .] من الروح»، نتيجة التحليل: تتعلق ماهية العمل الفني بحاجاتنا الروحية « لهذا [. . .] رغبة».
مسار الاستدلال والمحاجة: يبيّن هيغل بعد الإشارة إلىٰ سلبية ولا-حرية الرغبة، أن العمل الفني يتجاوز هذه الدائرة ويتعلق بالملكات النظرية للروح.

* الموضوع والموقف:

(١) يتعلق الموضوع العام بماهية العمل الفني.

(٢) الموقف أو الفكرة الأساسية: يرتبط الفن بالجانب النظري من وجودنا، ومن حيث إنه مرتبط بتأمل روحي حر، فهو يتموضع فيما وراء كل حركة سلب للموضوع.

* المشكلة:

(١) التساؤل

- ماذا يعني التباين بين السلبية الراغبة وفضاء التأمل الأستطيقي؟

- كيف نبتعد عن غياب الحرية (من جانب الذات ومن جانب الموضوع) الناتج عن سلبية الرغبة؟

- أليس التأمل (النظري) للواقع، بعيدًا عن أي استنجاد بالسلبية الراغبة، هو في النهاية أعلىٰ المراحل التي يبلغها الروح الإنساني؟

(٢) المشكلة:

ما هي الحاجات الروحية الأكثر سُمُوًّا للإنسان؟

(٣) الرهانات:

- بناء تصور واضح لماهية العمل الفني.

- تصور الماهية الإنسانية الأكثر سموًّا: التأملية والنظرية.

* **القسم النقدي:**

(١) مكانة النص في تاريخ الأفكار: هذا المقتطف هو امتداد من زاوية ما، لتحليلات كانط في كتاب «**نقد ملكة الحكم**». لقد أشار كانط إلىٰ اللامبالاة المحايثة للتأمل الأستطيقي. فهيغل يجدد المشكلة من خلال تركيزه علىٰ «وحشية» الرغبة، تلك الحركة الهادمة.

(٢) القيمة الفلسفية للمشكلة: التوصل إلىٰ تأمل الروح في شفافيتها من خلال وساطة العمل الفني، أليس هذا من أشد مُتع الإنسان؟ في هذا النص يجعلنا هيغل ندرك، من وجهة النظر هذه، أحد دوافع النفس. (في الدين والفلسفة، تتطهر هذه المتعة أكثر).

تحرير التحليل

I- المقدمة	
موضعة النص	هذا النص مقتطف من الفصل الثاني -المعنون «النظريات الإمبريقية للفن»- من المجلد الأول لـ«أستيطيقا» هيغل. لقد ركز هيغل في دراسته للعلاقات بين المحسوس والعمل الفني، على الحدس الحسي الفردي أولًا، ثم على الرغبة العملية، التي هي موضوع نصنا.
الموضوع والمشكلة الفكرة الأساسية والرهانات	إذا كان الموضوع العام هو ماهية العمل الفني، فإن المشكلة التي يطرحها النص -فيما وراء هذا السؤال الأول المندرج فيها: هل يهدف الفن إلى إشباع الرغبة؟- تتعلق بمعرفة ما هي حاجات الإنسان الروحية الأكثر سموًّا. ترتسم هذه الإشكالية بين ثنايا تساؤل ممكن لنص هيغل. أما فيما يخص الفكرة الأساسية، فيمكن إيجازها كالتالي: إنّ الفن يرتبط بالجانب النظري لوجودنا، ولأنه يرتبط بتأمل روحي حر فهو يتموضع فيما وراء كل رغبة. تبدو رهانات الموضوع الفلسفية عديدة: فهو يسمح لنا بضبط تصور (واضح) لماهية العمل الفني، وأيضا بإدراك الماهية الإنسانية الأكثر سموًّا: التأملية والنظرية.
عرض موجز لخطة النص	يتألف النص من حركات أربع (تشكل أقسامًا رئيسة): في الحركة الأولى «لا يكتفي [...] الرغبة»، يعرض هيغل ماهية الرغبة، ويجعل منها مفهومًا سيعمل على شرحه بشكل دقيق في القسمين الثاني والثالث. خلال الحركة الثانية «يجد المرء [...] استهلاكها» يتم إبراز السلبية الكامنة في الرغبة، وفي الحركة الثالثة «لا يمكن للرغبة [...] بهم» يشير الفيلسوف إلى «لا-حرية» الرغبة. يمكن لهيغل بعد أن وصف الرغبة كسلبية لا تتمتع بحرية فعلية، أن يشير عند الحركة الرابعة «إن علاقات [...] كل رغبة» إلى أن الفن يتموضع فيما وراء كل رغبة.

II- شرح النص	
- القسم الأول: تعريف أول للرغبة «لا يكتفي [...] الرغبة». إنّ الحركة داخل هذا القسم الأول، مهيكلة جدًّا. المشكلة هي في إدراك الهدف الحقيقي للروح، الذي يخصصه هيغل بداية، في أحد أشكاله الأولىٰ من خلال الحدس البسيط أو «التمثل الحسي»، ثم تحت مظهر سلبية الرغبة، التي هي شكل روحي أسمىٰ من «التلقي البسيط لمواضيع الخارجي عن طريق السمع والبصر». ما الذي يشير إليه هذا التلقي؟ من دون شك الإدراك الحدسي للوقائع، ولكن أيضًا البنية الإدراكية التي ينظم فيها العقل مجال التجربة. يشير هذا التلقي للعالم الخارجي، إلىٰ شكل أول، لا يزال رديئا، من عمل الروح، هذا المصطلح الأخير يرتبط في نصنا بمقاربة لا أحادية المعنىٰ. فإذا كان الروح الهيغلي في مقصده العميق، هو التعبير عن الفكر المتضح تدريجيًّا من أجل الوصول في النهاية إلىٰ المطلق، فإن مفهوم الروح هذا يشير هنا أيضًا، إلىٰ مبدأ التأمل الإنساني. علينا الحذر من واقع أن الأمر يتعلق بالروح (وليس بالعقل)، لكن النزعة الغائية الهيغلية ترتسم رغم ذلك، وراء مبدأ التأمل والتفكير. إن مبدأ التفكير، المرتبط في البدء الحدس الحسي المجرد للأشياء، يجد نفسه ويعبر عنها بعمق، «بالتحقق في مواضيع العالم الخارجي»: ولا يشير هذا التحقق إلىٰ السلوك «السلبي»، «الحدسي»، أو «التمثلي» إزاء العالم، ولا إلىٰ الإدراك الحسي المجرد، بل إلىٰ حركة التخارج الفعالة، الديناميكية والنافية التي تشكل، في مستوىٰ أعلىٰ، روح وكينونة الإنسان ذاته. سنلاحظ التقلب بين «الحياة الداخلية»/ «الأشياء الخارجية»، أي بين الوجود الذاتي/الحياة الموضوعية: إن ما هو مميز للإنسان هو هذه الحركة التي يخارج بواسطتها وجوده الروحي الذاتي. توافق سلبية الرغبة تحديدا، مسار التخارج هذا. ماذا تعني الرغبة؟ إنها ذلك النزوع الذي يقوم الإنسان بواسطته بمخارجة مبدأه الروحي (الداخلي) إلىٰ الخارج. إن الإنسان يتخارج بواسطة الرغبة، وينفي الموضوع بتجاوز ذاته نحوه وبالتضحية به بهدف إشباعه الفردي. لقد توصلنا إلىٰ مبلغ الحركة الأولية هذه بفضل تعريف أول للرغبة، باعتبارها شكل ارتباط بالأشياء الخارجية يفهم من خلال علاقة عملية، وموضعة في العالم الخارجي. هنا يستولي الإنسان علىٰ الموضوع الذي ينفيه ويستعمله كي يشكّل ذاته. فالرغبة تشير بذلك إلىٰ تحوّل أول للعالم، وتحقق أول في العالم الموضوعي. لكن دراسة الرغبة تقتضي رغم ذلك، تعمقا يسمح بإدراك أفضل لعلاقتها المحتملة بالعمل الفني. هذا التحليل هو الذي سيقوم به هيغل في القسمين الثاني والثالث.	العلاقة العملية بالواقع هي رغبة. مستوىٰ التمثل الحسي، مستوىٰ النفي الحسي. التعريف الهيغلي للرغبة:
- القسم الثاني: الهدم الكامن في الرغبة «يجد المرء [...] استهلاكها». يتواصل تحليل هيغل في هذا القسم الثاني. وسيشرح بذلك الطبيعة العميقة للرغبة، والسلب الكامن فيها، للإشارة بشكل أفضل إلىٰ عجز هذا المظهر الخالص المميز للعمل الفني. يتم التحليل هنا في زمنين، قسم فرعي أول مخصص لفينومينولوجيا الرغبة «يجد المرء [...] الشخصي»، والثاني للبعد بين هذه الأخيرة والفن («في هذه الشروط [...] استهلاكها»).	- إذا كانت الرغبة سلبا، فإنها بعيدة عن العمل الفني، المتصور كمظهر للأشياء.

في القسم الفرعي الأول يبرز هيغل الطبيعة الفردية والحسية للرغبة. وتتموضع هذه الأخيرة باعتبارها نزوعًا يدفع الإنسان إلىٰ نفي الموضوع، تحت رمز الفردي أي ما ينتمي خصيصا إلىٰ كائن مادي يشكل كلا قابلًا للمعرفة. نلمس هنا بشكل مباشر نوعًا من، الدونية الروحية للرغبة، دونية تبعدها هذه الأخيرة جدًّا عن العمل الفني. إن الإنسان الراغب يبقىٰ كائنا متجذرًا في الحسية. ومن حيث هو حبيس تحديدات حسية وفردية بسيطة، فإنه لا يستطيع بلوغ الفن بما هو كذلك. إنسان الرغبة ليس الإنسان المفكر، أي ذلك الذي يفضل شكلًا من النشاط الفكري أو العقلاني الخالص، ويستخدم الأفكار العامة. هدف هذا التعارض بين الإنسان الراغب والإنسان المفكر هو تبيان أن الرغبة وإن كانت الصورة الأولىٰ للنشاط الروحي فإنها ليست صورته الأعلىٰ.	- يبقىٰ نفي الرغبة خاضعا للفردي.
ليست التحديدات العامة أو الكونية هي المفروضة في الرغبة: فمجال الإنسان الراغب يبقىٰ مندرجًا في الفردي. يضع هيغل إذن العام، المرادف هنا تقريبًا للكوني من حيث إنه يخص جميع الحالات أو جميع الأفراد بدون استثناء، في مقابل الفردي، غير المنفصل عن مختلف الوقائع المفردة. إن إنسان الرغبة ينتمي إلىٰ الدائرة الثانية، إنه مرتبط «بدوافع» (قوىٰ نفسية ميالة للفعل) أو «بمصالح» (استعداد إزاء شيء ما) لا تفلت أبدا من الخصوصي. بذلك يتوصل هيغل في نهاية هذا القسم الفرعي الأول، إلىٰ وصف هذه الحركة «الوحشية» نوعًا ما، الكامنة في الرغبة: إن الإنسان الراغب يستهلك، أي أنه يقود الأشياء نحو دمارها باستعمال مادتها، ومن خلال استعمالها لبقائه الشخصي، فهو يفنيها نوعًا ما (يضحي بها) ويهدمها. وبذلك يبقي علىٰ واقعه الفردي الخاص من خلال القضاء علىٰ الواقع المغاير لواقعه، إلا أن هذا القضاء «الوحشي» لا يسمح له فعليًّا ببلوغ أنا روحي وكوني. إنّ الرغبة المتعلقة بالموضوع لا تزال عاجزة عن إيصالنا إلىٰ الروح الحقيقي.	-الفعل(الفردي) للرغبة يتعارض مع العمل (العام) للمفكر.
بذلك يبين لنا القسم الفرعي الثاني «في هذه الشروط [. . .] استهلاكها» أن الرغبة النافية والهدامة تبعدنا عن الدائرة الفنية. في مقابل «المظهر السطحي» للعمل الفني نجد «الوجود الحسي والملموس» الذي هو موضوع الرغبة ذاته. ما الذي يُشير إليه الأول؟ ما هو ببساطة معطىٰ من الأشياء، في تمثلنا الفني، بعيدًا عن كل موضوع ملموس. يُظهر الوجود الحسي علىٰ العكس من ذلك، حضورًا آنيًا، «فرديًّا» معطىٰ للحواس، ومرتبط بأشياء يمكننا رؤيتها أو لمسها. إنّ العمل الفني يكتفي بالمظهر، فهو يُفضّل الشكل الأشياء البسيطة بعيدًا عن كل حضور مادي. لكن الرغبة النافية لا يمكن أن تتخذ كموضوع لها شكلا أستطيقيًّا بسيطًا: عليها أن تهدم، وأن تنفي وأن تُحقق مصالح أو ميولات من طبيعة فردية أو بيولوجية محضة. فهي إذن ليست منزهة: إذ ليس في استطاعتها من حيث إنها مرتبطة بمصالح مباشرة، إلا نفي وهدم -لأجل غايتها الخاصة واستعدادها الحيوي الخاص- واقع حسي مباشر.	لا يمكن للمظهر (الأستطيقي) البسيط أن يُرضي الرغبة
تبعدنا الرغبة إذن عن الروح الحقيقي، وكذا عن العمل الفني وعن الطابع الكوني للفكر. تشير جدلية الرغبة كلها إلىٰ دونيتها الروحية. يبقىٰ لنا أن نتعمق في ماهية الرغبة وتلك الدونية للإحاطة بشكل أفضل بعلاقتها بالعمل الفني.	حصيلة القسم الثاني من النص: دونية الرغبة الروحية.

- القسم الثالث: ليست هناك حرية ولا استقلالية في الرغبة «لا يمكن للرغبة [...] بهم». سيعمل القسم الثالث هذا، من خلال تحليل مهيكل في حركتين، علىٰ التركيز علىٰ الدونية الروحية للرغبة، دونية روحية تُفضي إلىٰ الاعتقاد أن الفن يجب أن يبتعد عن كل رغبة.	الرغبة لا تعني الحرية: - لا حرية من جهة الموضوع.
تبرز حركه الأولىٰ (لا يمكن للرغبة [...] النضوب) الهوة بين الرغبة -باعتبارها نفيًا هدامًا- والحرية الموضوع، من حيث أن الحرية متصورة علىٰ أنها عدم الخضوع لواقع آخر أو لذات أخرىٰ، كحالة شيء غير مرتبط بشيء آخر، كوضع كائن مستقل بذاته غير خاضع لإرادة شخص آخر. بالطبع لا يمكن للرغبة المعرّفة كميل يدفع الإنسان إلىٰ نفي الموضوع، أن تترك هذا الموضوع علىٰ حاله، أي هذا الواقع المعطىٰ. يشير نص هيغل إلىٰ هذه الملاحقة اللانهائية، إلىٰ حركة الوعي هذه التي لا تحترم الوجود المعطىٰ، بل تنفيه وتسعىٰ بلا توقف إلىٰ الاستيلاء ماديا علىٰ الأشياء وتملّكها. كل هذا التحليل كلاسيكي ومركزي لدىٰ هيغل. وهو متناول في كتاب «فينومينولوجيا الروح»: أين يبيّن لنا هيغل أن الموضوع الفردي للرغبة ليس أبدًا شيئًا موضوعًا في استقلاليته. إنّ حقيقة كل موضوع هي أن ينفىٰ كي يستطيع الوعي بذلك التشكل والائتلاف، في حركة متواصلة ومتولدة باستمرار.	- الإحالة: فينومينولوجيا الروح
تضع الحركة الثانية من هذا القسم الثالث (ولكن [...] بهم)، الرغبة في مقابل حرية الذات. فأن يكون المرء حرًّا يعني بلوغ العقل والكوني، وفهم ما هو صالح للجميع. إلا أن الإنسان الراغب لا يلج هذه الدائرة. لقد أشار هيغل إلىٰ أن الذي يرغب لا يبلغ الفكر والتحديدات العامة أو الكونية. هنا كذلك يستند تحليله علىٰ محدودية الرغبة، الخاضعة للمصالح المباشرة والفردية، والتي لا تتجاوز بأي حال مستوىٰ الوجود الملموس المشكّل لكل قابل للمعرفة (وهو ما يتعلق بالفرد والفردي).	- في الرغبة ليست الذات بأكثر حرية من الموضوع.
تبقىٰ الرغبة محدودة علىٰ صعيدين: من جهة لا يمكن أن يرتبط السلب (الفردي) بنشاط واعٍ يسعىٰ وراء خيار صالح للجميع، ومطابق للمعيار المطلق للفكر الإنساني «أي لإرادة كونية ومعقولة بالأساس». إن الرغبة ليست كونية ولا معقولة. ومن جهة أخرىٰ، تبدو ثنائية الرغبة ظاهرة في مستوىٰ ثانٍ: إن الإنسان الراغب، المنخدع بالمواضيع الخارجية والمتعلق بها، والمجبر علىٰ الارتماء نحو الأشياء في سعي دائم التجدد، لا يبلغ الحرية الحقيقية. ليست الرغبة النافية والهدّامة للموضوع بشكل مستمر، طريقا للروحي ولا للحرية. يبقىٰ الآن اعتبار نتائج هذه التحليلات فيما يخص العلاقة بالعمل الفني.	المحدودية المزدوجة للذات الراغبة.
- القسم الرابع: يتموضع الفن فيما وراء كل رغبة «إن علاقات [...] كل رغبة». ينهي هذا القسم الأخير تمامًا فينومينولوجية الرغبة التي قام هيغل بوصفها طيلة تحليله. لقد بين لنا الصفة «الوحشية» والسالبة التي تميز حركة ثنائية خاضعة للأشياء ومتوقفة علىٰ الحاجات الآنية، والعاجزة عن الابتعاد عن هذه الدائرة البيولوجية والحيوية. فإذا كانت هذه هي ماهية الرغبة، فما النتائج الممكنة فيما يخص العلاقة بالعمل الفني وبماهية العمل الفني؟ سيفحص هيغل وجهة النظر المزدوجة هذه في حركتين، ويبرز في الوقت ذاته، طبيعة الحاجات الحقيقية والمصالح الروحية للإنسان، والتي هي المشكلة الرئيسة كما رأينا كامل العرض. يستجيب العمل الفني القائم علىٰ تأمل حر للروح الإنساني، إلىٰ حاجاتنا الروحية الأكثر سموًّا.	تخص نتيجة هيغل العمل الفني. الفكرة العامة لهذا القسم الرابع: العمل الفني مرتبط بتأمل روحي.

لنفحص أولًا الحركة الأولىٰ، أي علاقة الإنسان بالعمل الفني (إن علاقات [...] الروح). سنلاحظ أن مفهوم العمل الفني يظهر للمرة الأولىٰ في النص. فما الذي يشير إليه؟ إنه جملة من المواد والرموز التي تُظهر قصدًا أستطيقيًا. لا يمكن لهذا الكل الذي يعبّر عن الجميل أن يتضمن أدنىٰ علاقة بسلب الرغبة. لأجل ذلك يقوم هيغل، الذي بيّن آنفًا الاندفاع الوحشي والحسي الكامن في هذه الأخيرة، بوضع التأمل الأستطيقي الحر في مقابل تلك الحركة المتهورة. علينا التركيز هنا أساسًا علىٰ العبارة «الجانب النظري»، فلنتذكّر بأصل الكلمة: النظري مشتق من الأصل اليوناني «theorein» أي التأمل. يشير الجانب النظري إلى جانب التأمل الخالص، في مقابل الفعل والتطبيق. ما يبرزه هيغل هنا، هو التملص من الواقع الحسي المباشر الذي يتم في التأمل الأستطيقي، فالموضوع الأستطيقي ليس مرغوبًا، ولا منفيًّا ومهدمًا: إنه يبقىٰ مستقلًا وحرًّا. لقد ألح هيغل قبل هذا علىٰ الطابع الثنائي للرغبة. في التأمل الأستطيقي تتأكد علىٰ العكس، علاقة حرّة ومنزهة. إنّ الرغبة في الموضوع هي عدم فهمه أستطيقيًا. في المقابل تبعد المساهمة في الجميل المصالح الجسدية والحسية، إنها تخص التأمل الغريب عن كل سلب.	- علاقة منزهة ونظرية.
في الحركة الثانية (لهذا [...] رغبة) من هذا القسم الأخير، حركة تنهي العرض يتم إبراز ماهية العمل الفني. من المؤكد أن لها «وجودًا محسوسًا»، واقعا فعليًّا ومتجسدًا مُتأتٍّ آنيًا من خلال تحديدات إمبريقية. لكن لا يتعلق الأمر بواقع مباشر حقيقي، معطىٰ فعليًّا في العالم: يتعلق الأمر في الواقع، بمظهر للمحسوس. إن العمل الفني من خلال ارتباطه بالملموس هو عمل روحي رغم ذلك، وباعتباره كذلك فلا يمكنه أن ينتمي إلىٰ المحسوس. لنتذكر أن هيغل يشير في كتاب **الأستطيقا** إلىٰ أن الجميل هو وحدة الشكل الحسي والفكرة. ندرك عندئذ أنه لا يمكن أن يكون للعمل الفني بأي حال وجود-هنا مباشر: إذ ذلك سيكون نفي فكرة الروح في ذاتها. إذا كان العمل الفني يعبّر عن الروح من خلال شكل حسي، فإنه ليس لهذا الأخير رغم ذلك أي امتياز: ليس اللون ولا الصوت معطيان في عالمنا، إنهما يرمزان لشيء آخر ويدلان علىٰ الروحي. هذا ما يشير إليه هيغل بقوة في كل هذا المقطع. كل شيء يجرّني في الفن نحو الفكرة والروح. إن الواقع الإمبريقي المعطىٰ مشكل بدقة منهما.	العمل الفني، «شبه موضوع».
نفهم بهذا أهمية الجملة الأخيرة: غاية العمل الفني الفعلية هي «إرضاء مصالح روحية»، بمعنىٰ إرضاء تطلعنا الأسمىٰ، ذلك الذي تسعىٰ به إلىٰ إدراك الذات باعتبارها روحًا. ولكن نحو ماذا يتطلع الإنسان فعليًّا؟ نحو إدراك ذاته في الأشياء، ليس كتعبير عن ذاتية حسية ومتناهية، بل كتفكير كوني وكشكل يعكس الفكرة. عندما يرىٰ الإنسان في الفن تجليًا خارجيًا للروح، فإنه يرضي بذلك مصالحه الأكثر سموًّا. بهذا يمنح العمل الفني، المبتكر أو المتأمل، رضًا للجزء الأكثر نُبلًا من الإنسان، الروح. إن الفن هو الروح معتبرًا نفسه شيئًا. لذلك لا يمكنه أن يخيّبنا.	حوصلة: يرضي العمل الفني التطلعات الروحية الأكثر سُموًّا.
وعليه يصبح الفن الذي هو تعبير روحي مغترب في المحسوس، والأقرب إلىٰ الروح منه إلىٰ الحس، مختلفًا عن الرغبة ومتموضعًا فعلًا فيما وراء هذا الاندفاع الإمبريقي المحض.	يتموضع الفن فيما وراء الرغبة.

III I- التحليل النقدي	
لا يمكن فهم تحليلات هيغل هذه إلا في سياق تاريخي: يرث هيغل هنا أطروحات كانط التي يُعمِّقها ويُثريها. لنتوقف بداية عند هذه الخلفية الكانطية.	الخلفية الكانطية.
في الواقع، إنّ التأكيد علىٰ أن الفن، التأمل الروحي الحر، يتموضع فيما وراء الرغبة، يعني ضمنيًا العودة إلىٰ نقد ملكة الحكم. في هذا الكتاب بيّن كانط (وهي التحليلات التي تشكّل في العمق محور كل تفكير أستطيقي ممكن) أن الرضا المتولّد عن الجميل مستقل عن كل مصلحة حسية: إذا استجاب موضوع ما في ذاتي، إلىٰ رغبة أو إلىٰ حاجة، إذا كان يشعرني بلذة مرتبطة بإرضاءات ممكنة، فأنا بصدد تجريب الممتع (المرتبط بالرغبة) وليس إدراك الجميل بأتم معنىٰ الكلمة. وعليه، لا يمكن للمحسوس والممتع أنْ يُوصلا إلىٰ حكم أستطيقي محض. لقد بيّن لنا كانط قبل هيغل أن الجميل ينتمي إلىٰ مجال آخر غير مجال المتعة أو الرغبة. وبذلك يُشكّل مذهب كانط من زاوية ما، أفق مذهب هيغل، حتىٰ وإن اتخذت أفكارهما الأستطيقية مسارات متباينة.	
إذا كان تحليل هيغل غير منفصل عن هذه الخلفية، فإنه لا يمكننا رغم ذلك اختزالها في الإيضاحات الكانطية. إنّ ما يبدو محوريًا في النص المقترح للتحليل، هو الانشقاق الذي أشار إليه هيغل بين سلبية الرغبة الحسية وفضاء التأمل الأستطيقي. هنا تتمظهر عبقرية هيغل. فتبيانه، من خلال تحليلات هي امتداد لفينومينولوجيا الروح، أنّ الأشياء في العلاقة الراغبة، تهدم باستمرار من طرف الذات، وبتوضيحه أن الموضوع والذات ليسا حرين ومستقلين في الرغبة، فإن هيغل يقدم لنا هنا عناصر تفكير مهمة ويوضح الانشقاق بين المجال الحسي والحيوي وبين العمل الفني، من زاوية جديدة مقارنة بكانط.	قيمة نص هيغل: الانشقاق بين السلب وفضاء التأمل الإستطيقي.
جدة التحليل الهيغلي:	
بهذا يكون الأمر الأساسي والحاسم بالنسبة إلىٰ لقارئ، هو التحليل الهيغلي للرغبة، باعتبارها حركة هدم مستمرة، البعيدة عن المتأمل للعمل الفني. بعيدًا عن سلب الرغبة، يبشّر الفن بمعرفة العقل الحقيقية، أين يترك الجميل والفن المكان كما نعلم، للدين وللفلسفة: أي للفكر بما هو كذلك.	يبشّر الجمال الهيغلي بمعرفة الروح الحقّة.
iv- خاتمة	
فيما وراء هذا السؤال الأول، المندرج في نصّنا (هل يهدف الفن إلىٰ إرضاء الرغبة؟)، اكتشفنا مشكلة أعمق: ما هي الحاجات الروحية الأكثر سموًا للإنسان؟ يخبرنا النص أنّ إحدىٰ الحاجات الروحية الأكثر سُموًا، تتمثل بالنسبة إلىٰ الإنسان، في إدراك صورته الروحية في العالم، وفَهْم ذاته باعتباره روحًا، في الواقع وفي الأشياء. عندما يتأمل الإنسان روحه خارج ذاته، فإنه يمكنه عندئذ بعد التوافق مع نفسه، أن يبلغ السكينة. وهذا أحد امتيازات الفن.	الإجابة عن المشكلة التي يطرحها السؤال.



خاتمة

لقد عملنا طيلة هذا الكتاب، علىٰ إبراز الطرق المختلفة التي تسمح بالإنجاز الحسن للأنشطة الفلسفية. لهذا الغرض، قمنا بوصف وشرح قواعد و«طرق عمل» هدفها توجيه الطلبة.

لكن لا يمكننا أن يلتبس علينا الأمر فيما يخص هذه الآليات. فالمنهج (الحقيقي) ليس -أبدًا- مجرد جملة من الآليات. لذلك، ومن أجل تفادي كل سوء فهم، يجب التذكير في الخلاصة بالطابع المرن لقواعد المنهج. ولا يجب أن تجُرَّك المخططات المنهجية المتناولة في هذا الكتاب إلىٰ الخطأ. إن غايتها، بعيدًا عن كونها موجهة آليا لتوليد نتيجة، هي تعلم التفكير -برنامج طموح ...-. يمثل المنهج الذي قمنا بإبرازه في هذا الكتاب قبل كل شيء، سلوكًا منظمًا ومُتَّسِقًا ومواضيع معتبرة. بهذا المعنىٰ أردناه أنْ يكون أداة ثقافة وحرية فكرية.



قائمة مراجع خاصة بالمنهج

هذه قائمة مراجع قصدنا فيها الاختصار، فلم نذكر إلا المراجع المهمة بالنسبة إلىٰ موضوعنا.

* الفلسفة:

- Platon, Menon, Budé-Belles Lettres ou Garnier-Flammarion;
- La République, Livre 6 et 7 Budé-Belles Lettres ou Garnier-Flammarion .
- Aristote, Les Premiers Analytiques, Vrin;
Les Secondes Analytiques, Vrin;
Les Topiques, Vrin;
Rhétorique, Budé-Belles Lettres ou Livre de poche.
- Descartes, Règles pour la direction de l'esprit, Vrin;
Discours de la méthode, Garnier-Flammarion.
- Pascal, L'esprit de la géométrie- De l'art de persuader, Bordas; Pensées, "Folio", Gallimard.
- Kant, E., Logique, Vrin.
- Hegel, G., Sciences de la logique (introduction in T.1, en particulier), Aubier.
- Bergson, H., "L'intuition philosophique", in La pensée et le mouvant, P.U.F.
- Husserl, E., La philosophie comme science rigoureuse, P.U.F.; Méditations cartésiennes, Vrin.
- Merleau-Ponty, M., Phénoménologie de la perception (avant-propos), N.R.F. Gallimard.

- Sartre, J.P., "Questions de méthode", in Critique de la raison dialectique, t.1, N.R.F., Gallimard.
- Deleuze, G., Différence et répétition, (chap. 3 et 4), P.U.F.
- Deleuze, G., Guattari F., Qu'est-ce que la philosophie? Minuit.
- Grenier, H., La connaissance philosophique, Masson.

Rhétorique :

- Fontanier, P., Les figures du discours, "Champs", Flammarion.
- Perelman, C., Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, P.U.F.; L'empire rhétorique, Vrin.
- Reboul, O., La rhétorique, P.U.F.

Art de lire:

- Bellanger, L., Les méthodes de lecture, P.U.F.

Ouvrages de méthodologie philosophique :

- Gourinat, M., Guide de la dissertation et du commentaire composé en philosophie, Hachette-Université.
- Péna Ruiz, H., Philosophie - La dissertation, Bordas.
- Sève, B., Exercices philosophique, Hachette-Université.

You've just finished

